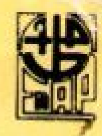
محمد الهادي حارش

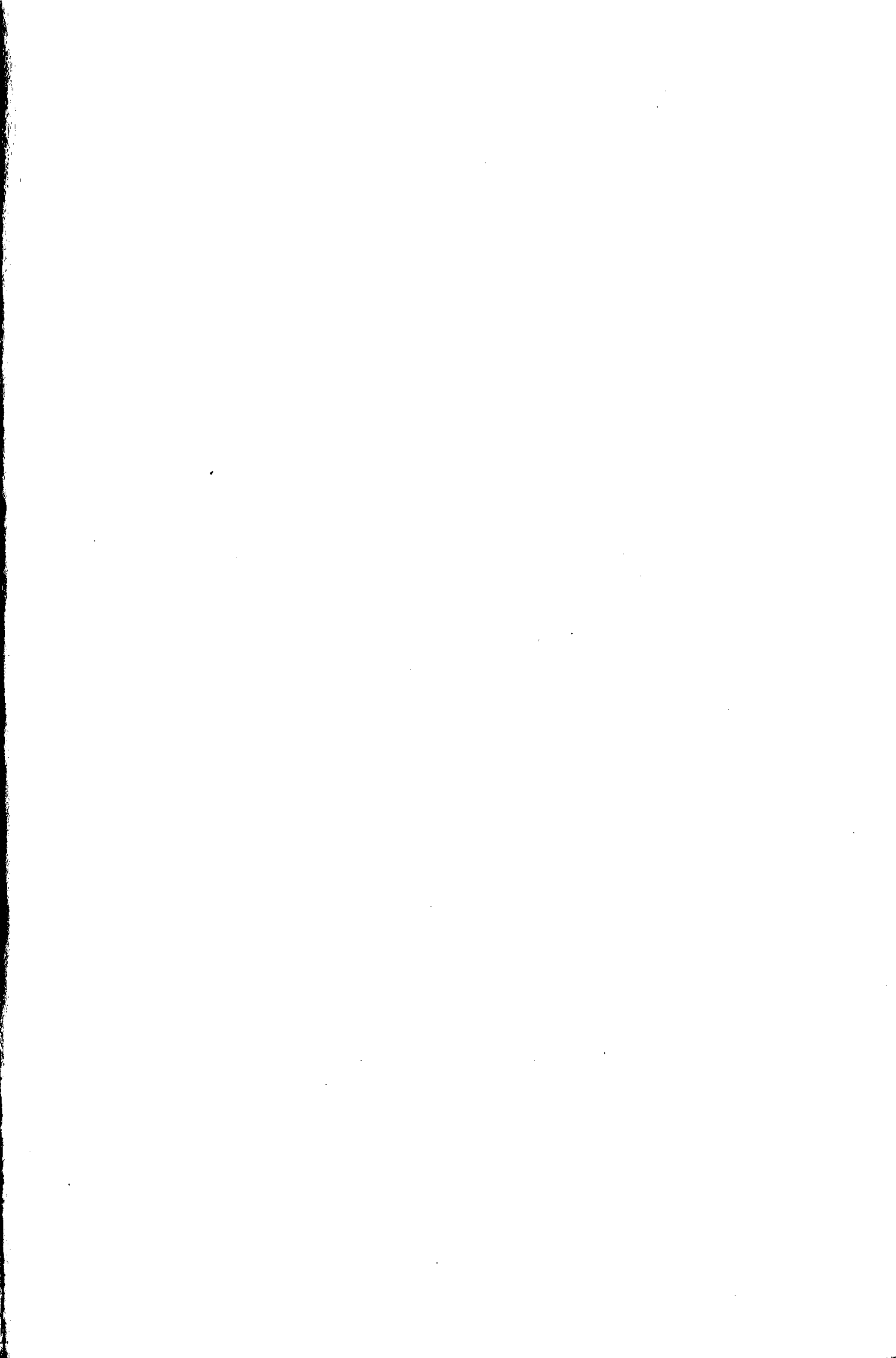
التاريخ المغاربي القديم

السياسي والحضاري

منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي

المؤسسة الجزائرية للطباعة



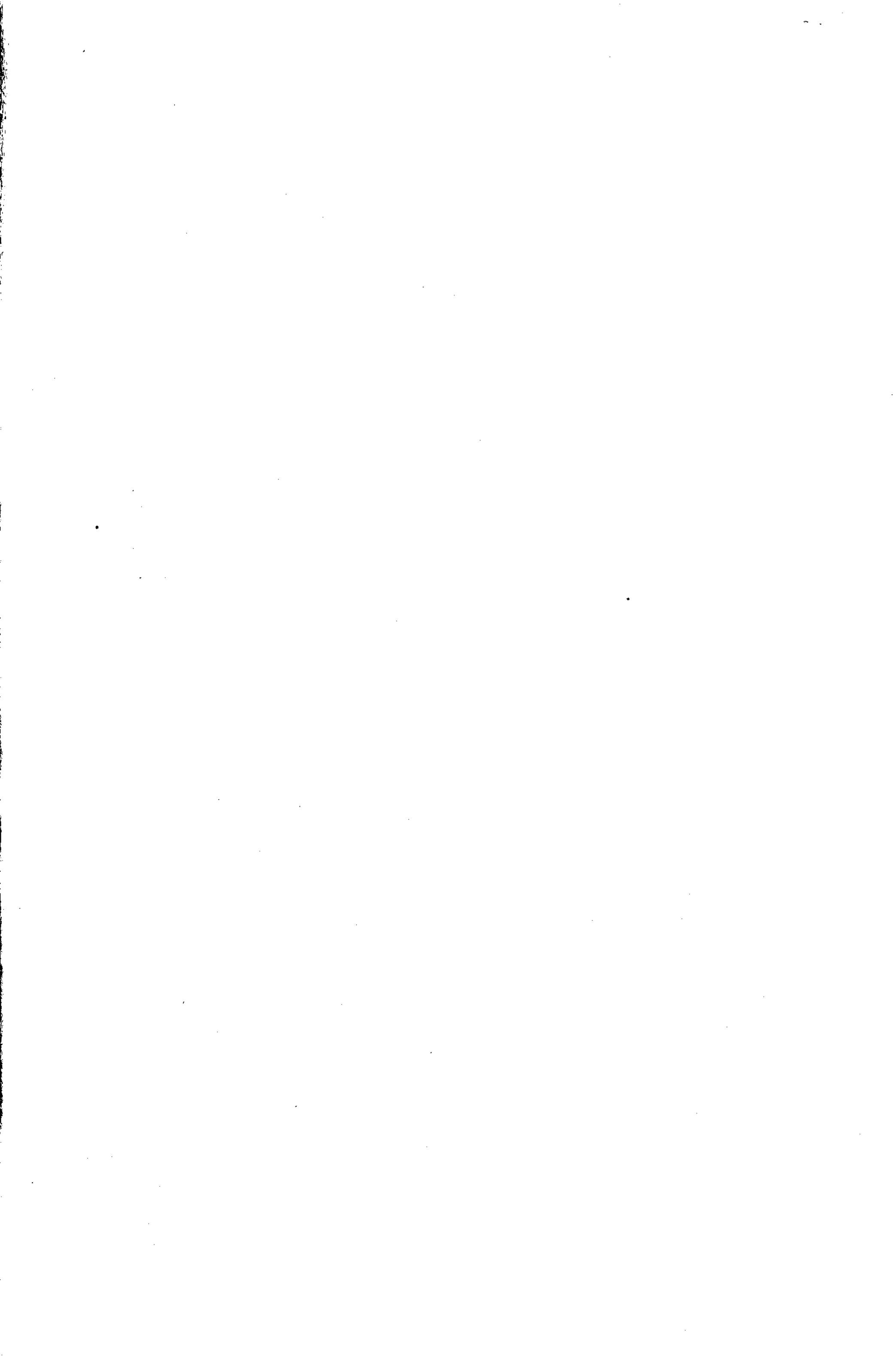


محمد الهادي حارش

التاريخ المغاربي القديم

السياسي والحضاري

منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي



المقـــدمــة :

امام النقص الملحوظ لكتاب التاريخ القديم بصفــة عامــة ، وكتاب التاريخ المغاربى القديم بصفة خاصة فى المكتبة العربية، واستجابة لرغبة الكثير من الطلبة ، الذين الحوا على مــرارا ، لنشر المحاضرات التى كنت ألقيهــا على طلبة السنـــة الثانيــة ليسانس « التاريخ » بجامعة الجزائر ، دونت هذا الكتاب الذى يعرض المحاضرات التى القيتها على هؤلاء الطلبة فى الفترة مــا بين 1986 — 1990 •

الكتاب موجه اذن فى الاصل لهؤلاء الطلبة ، كما هو موجــه للجمهور المثقف عامة، ولهواة التاريخ منه خاصة ، ولهذا رعيت فيه الحرص على شرح المادة التاريخية بالقدر الذى نسمح بــه ضرورة الاختصار ، فليس ممكنا هنا أن أعطــى التوضيحــات الشاملة لكل الفترة المدروسة ، التى تحتــاج فى الواقــع الــى مجلدات وتضافر جهود مجموعة من الباحثين •

الكتاب اذن لا يستهدف عرض تاريخ شامل مفصل للفترة التى يمتد عبرها التاريخ المغاربى القديم ، بقدر ما هو محاولة لابراز المراحل الرئيسية لهذا التاريخ التى يسترشد بها كل باحث يريد المزيد من التعمق والمعرفة •

وقد قسمت المحاضرات الى مدخل وخمسة فصول ، تعرضت فى المدخل الى البلاد والسكان ، بينما تناولت فى الفصــل الاول

التوسع الفنيقى فى غربى المتوسط مستعرضا العوامل والاسباب التى دفعتهم الى التوسـع ، ثـم تأسيس قرطاجـة وتشكـل الامبراطورية القرطاجية قبل التعرض الى الحضارة البونيقيـة فى البلاد المغاربية • أما الفصل الثانى فقد خصصتـه للممالـك الوطنية : أصولها وتطورهـا ، مركـزا أساسا على الجـوانب الحضارية ، بينما تناولت فى الفصل الثالث المغـرب فى العهـد الرومانى منـذ سقوط قرطاجـة سنـة 146 ق•م الى التدخل الوندالى فى المنطقة سنة 429 م ، واستعرضت فى الفصل الرابع الجوانب المتعلقة بالفترة الوندالية فى البلاد المغاربية والفتـرة البيزنطية فى الفصل الخامس •

وللتعرض لكل هذه الجوانب ، تتوفر لدينا الكثير من المصادر التى يصعب على الباحث الالمام بها كلها واستعراضها فى مثل هذا العرض الموجز ، وفضلت أن أضعها فى متناول القارىء فى ثنايا الكتاب ، اضافة الى المصادر ، حرصنـا على الاستفـادة مـن البحوث والدراسات الحديثة وكذا تقارير البعثات الاثرية التى تكمل نقائص المصادر الاصلية التى هى اغريقيـة أو لاتينية ، وهنا تكمن احدى هذه النواقص ، اذ لا يهتم هـؤلاء بالمنطقـة المغاربية الا عندما تكون على احتكاك بهم ، وفى هذه الحالة أيضا يتناولون تاريخ المنطقة من زاوية ووجهة خاصة كثيرا ما تحتاج الى وقفة وتأمل ، وهو ما حاولنا القيام به بالغوص فى أعماقهـا واستجلاء خفاياها ، ومع ذلك أشعر دائما أن تاريخنـا القديم ما زال فى حاجة الى المزيد من الدراسـة فى مختلـف جوانبـه ومراحله ، ولا يمكن أن نستوفيه فى مثل هذه المحاضـرات وفى

خلال سنة جامعية واحدة ، ولهذا فضلت التركيز على الجوانب الحضارية على الغوص فى تتبع الاحداث السياسية الا الضرورى منها لاستيعاب الاحداث ٠

وانى فى هذه اللحظة التى أنتهى فيها من هذا العمل اشعر بالعرفان بالجميل لكل عمال المكتبتين : الوطنية والجامعية ، لما بذلوه معنا من جهد أثناء تحضير هذه المحاضرات ، فلهم كل الشكر والامتنان ٠

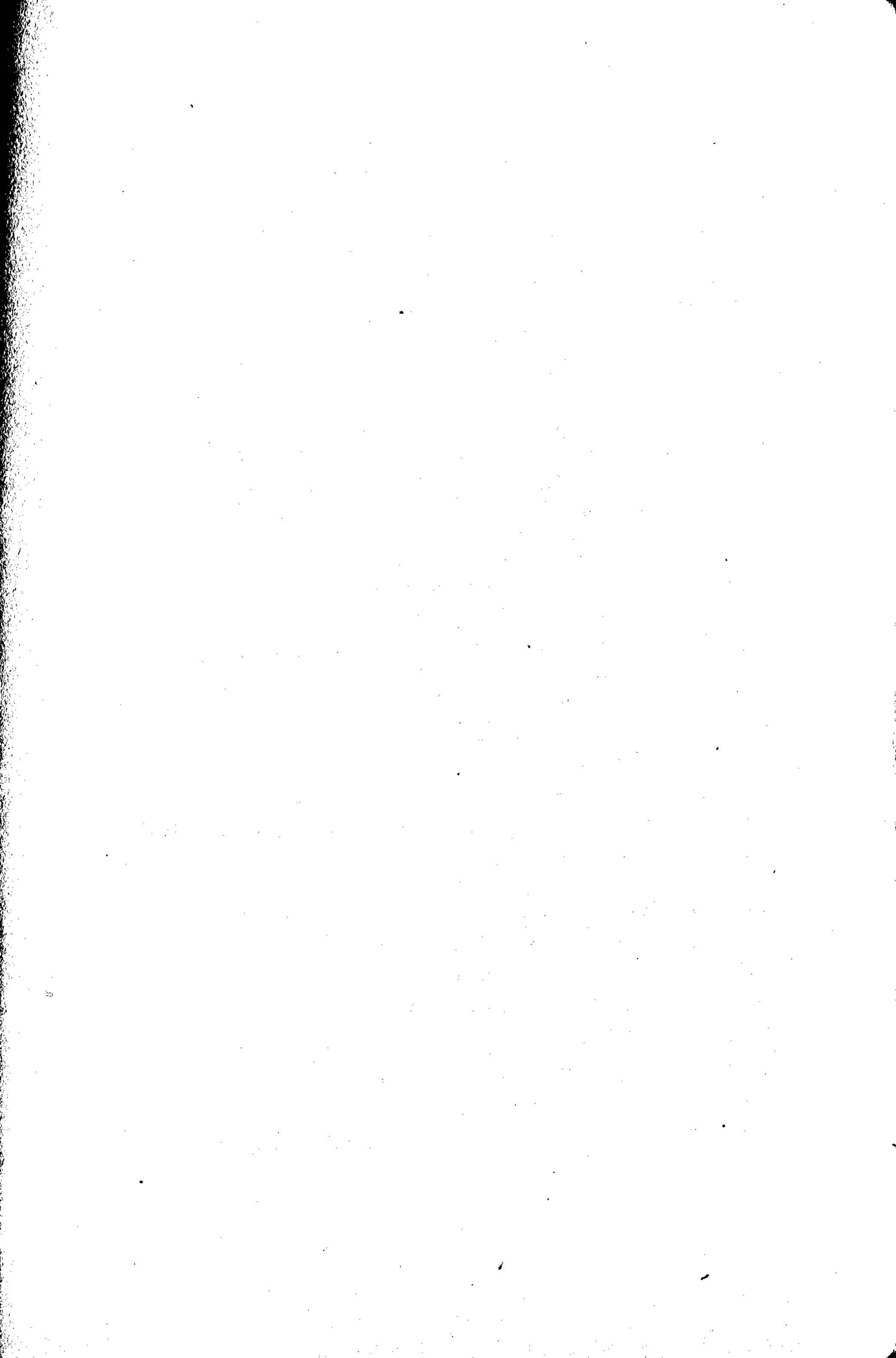
محمد الهادى حارش

الجزائر فى 28 — 02 — 1992



ـ قائمـــة المختصــرات ـ

A.A. : Annuaire Archeologique.
Ant Ar. : Antiquités Africaines.
Ant. Clas. : Antiquités Classiques.
B. A. : Bulletin Archeologique.
B.A.C.T.H : Bulletin d'Archéologie du Comité des Travaux Historiques.
B.A.M. : Bulletin d'Archeologie Marocaine.
B.S.A.F. : Bulletin de la Société des Antiquaires de France.
B.S.G.O. : Bulletin de la Société de Géoraphie de la province d'Oran.
C.B. : Cahier Byrsa.
C.H.M. : Cahier d'Histoire Mondial.
C.SA. : Cahier de la Société Asiatique.
C.I.L. : Corpus Inscriptionum Latinarum.
C.R.A.I. : Compte Rendu d'Academie des Inscriptions et Belles-Lettres.
C.T. : Cahiers de Tunisie.
J.A. : Journal Asiatique.
J.S. : Journal des Savants.
M.A.H : Melange d'Archeologie et d'Histoire.
M.A.I : Memoires d''Academie des Inscriptions et Belles Lettres.
P.U.F : Presse Universitaire de France.
Rec. de Constantine : Receuil des Notices et Memoires de la Société Archeologique de Constantine.
R.A.F. : Revue Africaine.
R.A. : Revue Archeologique.
R.E.A. : Revue des Etudes Anciennes.
R.E.L : Revue des Etudes Latines.
R.H : Revue Historique.
R.H.C.M. : Revue d'Histoire et Civilisation Maghrebine.
R.T. : Revue Tunisienne.



المدخل

البلاد والسكان

اولا ـ البـــلاد

تبدو البلاد المغاربية على رأى البعض فى شكل رباعى الاضلاع غير منتظم ، تحده شمالا جبـــال ذات قمم مسننـــة ، يتجـــاوز ارتفاعها 2000 م ، والمعروفة بجبـــال الاطلس ، التى يمكننـــا تقسيمها الى سلسلتين من الجبال ، احداهمـــا ساحليـــة تمتـــد متواصلة ، باستثناء فى الوسط ، بين الريف ومنطقـــة القبائل ، حيث تترك الجبال المكان لهضاب وتشكل الخلجـــان . وأخـــرى داخلية تشكل جبال تسالا (Tessala) ومرتفعات الونشريس والبيبان أهم حلقاتها . وبين هاتين السلسلتين تمتد السهـــول متتابعة شبه ساحلية مثل سهول الشلف والمتيجة ، وأخرى تمتد نحو الداخل مثل سهول معسكر وسيدى بلعباس . هذا حـــول الحد الشمالى لهذا المضلع ، بينمـــا يكـــون الاطلـــس الاعلـــى والصحراوى حده الجنوبى ، اذ يكون الاطلس الاعلى بمرتفعاته التى تتجاوز أحيانا 4000 م حاجزا أمام الرياح المحملة ببخـــار الماء ، بينما يتميز الاطلس الصحراوى بقلة الانحدار والارتفاع وكذا اتصاله شمالا بالبحر وجنوبا بالصحـــراء دون أن يكـــون عائقا للاتصال بين الشمال والجنوب بفضل المعابر التى تتركهـــا حلقات هذه السلسلة .

ولاكتمـــال حلقات هـــذا المضلع نجد فى الغرب كتلة الاطلس الاوسط التى تشكل حلقة وصل بين الاطلس الاعلى فى الجنوب

الغربى والاطلس التلى ، وفى الشرق نجد جبال الظهر التونسى، التى تعد امتدادا للاطلس الصحراوى ، تجتاز تونس ممتدة من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى لتصل فى النهاية الى رأس الطيـــب •

ان امتداد الجبال شمالا حتى البحر وغربا حتى المحيط وجنوبا حتى الصحراء لا يعنى غياب السهول على طول السواحل حيث نجد سهول مجردة والسهول الساحلية الشرقيـــة فى تـــونس ، والسهول الساحلية الغربية بالمغرب الاقصى ، والسهول العليـــا الجزائرية ــ المغربية ، التى تظهر فى شكل أحواض مغلقة •

ورغم تعدد وتنوع هذه السهول ، فالمرتفعات تبقى هى الغالبة على البلاد المغاربية ، فمتوسط الارتفاع فى الجـــزائر 900 م ، و 800 م فى المغرب رغم وجود أعلى المرتفعات فى المغرب ، أمـــا تضاريس تونس فهى أكثر بساطة ، فمتوسط الارتفاع لا يتجاوز 300 م ، وأعلى قمة فى اقليم قصرين لا تتجاوز 1554 م •

تلك هى تضاريس الشمال الافريقى ، التى كانت نتيجة حركات القشرة الارضية وكذا العوامل الطبيعيـــة التـــى ساهمـــت فى التشكيل المورفولوجى لافريقيا الشمالية الـــواقعة ما بين خطى عرض 18 ــ 38 شمالا ، فى موقـــع تخضع معه لتأثير البحـــر والمحيط والصحراء •

وقد أدى تباين التضاريس والموقع من البحر أو الصحـــراء الى تباين الاقاليم المناخية ، فقساوة المناخ القارى تقابلها لطافة

المناخ البحرى الذى لا يشمل غير شريط ساحلى ضيق بالقياس الى مجموع البلاد •

أما فيما يخص الثروة الغابية ، فهى تنتمى الى مثيلاتها فى الحوض الغربى للمتوسط ، حيث نجد البلوط ، والعرعار ، والعفصية ، والعناب والخلنج ، وكذا الارز الذى تراجع نحو المرتفعات فى قمم الاطلس الاوسط والونشريس والاوراس ، أما التنوب (Sapins) النوميدى فما زال يغطى قمم جرجرة •

أما بالنسبة للتساقط فأهم خصائصه هى : الاختلاف وسوء التوزيع الفصلى والاقليمى ، وعلى العموم نجد أن أراضى شمال افريقيا تعانى نقصا فى الماء ، فاذا كانت للمغرب الاقصى الافضلية بفضل تأثير المحيط ففى الجزائر وتونس لا يفلت من الجفاف غير الشريط الساحلى الضيق ، وهو شريط لا يتجاوز عمقه فى كل الحالات 100 — 200 كيلومتر ، وأبعد من ذلك تسيطر السهوب مع متوسط التساقط السنوى يقل أحيانا عن 100 ملم مكعب •

كما انعكس الاختلاف وسوء توزيع الامطار على المجارى المائية التى نجد بعضها دائمة الجريان ، مثل وادى سباو ، وأم الربيع ، والملوية ، والشلف ، ومجردة وغيرها مع اختلاف المنسوب بين فصل وآخر وحتى أثناء الفصل الواحد •

وتعتبر ظواهر التساقط وجريان المياه والارض من العوامل الاساسية التى تتحكم فى الغطاء النباتى ، الذى يتنوع بشكل

كبير ، من الغابات الكثيفة فى مرتفعات الاطلس الى السهوب العارية التى لا تنمو بها غير بعض النباتات العشبية التى تربى عليها قطعان الماشية من غنم وماعز •

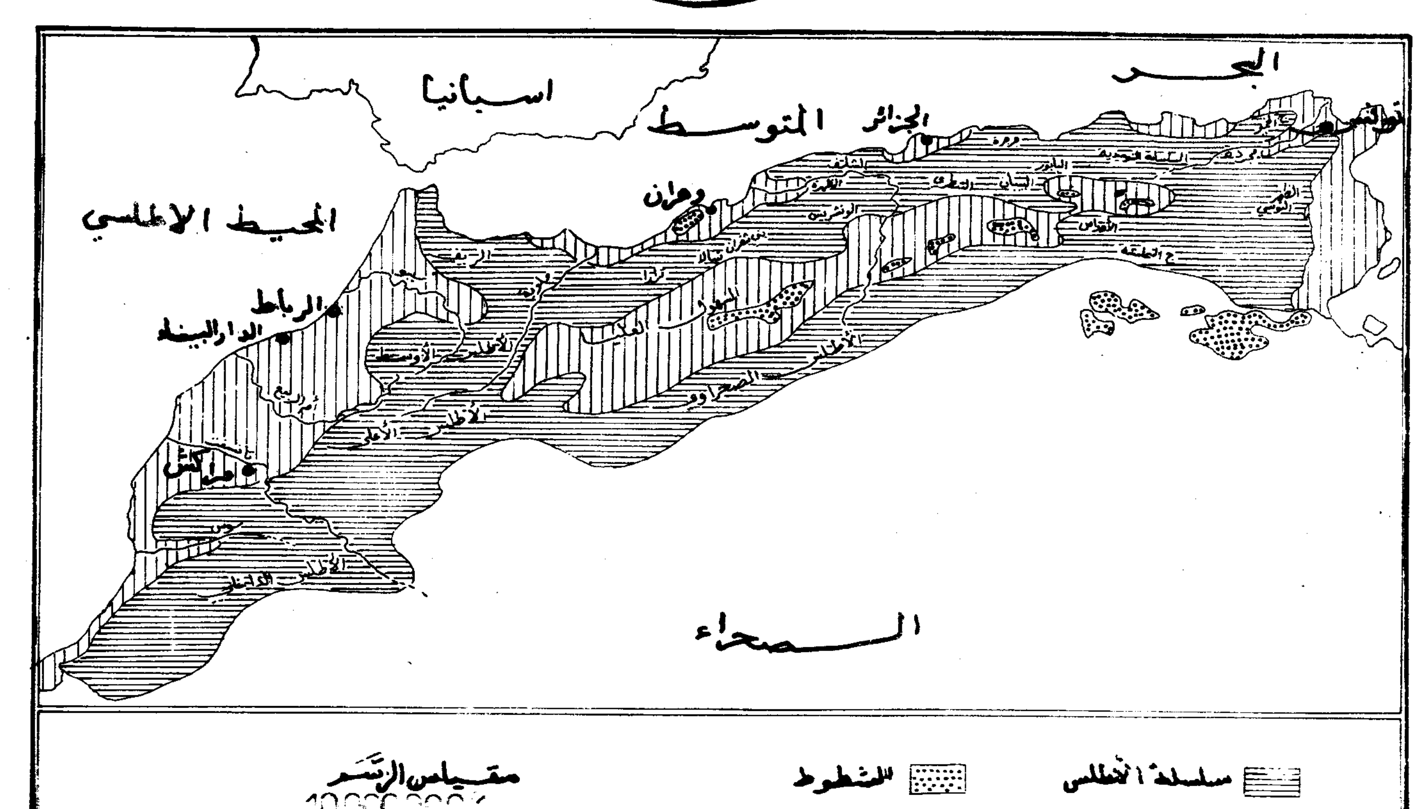
الى جانب هذه النباتات الاصلية ، نجد نباتات أخرى دخلت الى المنطقة من الاقاليم النباتية المجاورة ، مثل السنط ، التى تنتمى الى الاقاليم الاستوائية الجافة ، والرجراج والبقس ، التى يبدو أنها دخلت من أوروبا • وظل الغطاء النباتى يزداد تنوعا ، باقتناء أنواع جديدة مثل الصبار والاغاف ، أصيلا أمريكا ، وأخيرا الكاليتوس الذى أدخل من استراليا •

فتنوع الغطاء النباتى الذى أشرنا اليه ، هو فى ذات الوقت نتيجة العوامل الطبيعية وعمل الانسان ، فالانسان قد غير بشكل عميق النسيج النباتى لافريقيا الشمالية ، فالى جانب تراجع الغابات أمام زراعة الحبوب والبقول ، يجب الاشارة الى خطر الرعى على الغابة ، فالمواشى تؤثر على الشجيرات والبراعم الضرورية لتجديد واستمرارية الغابات ، اضافة الى الزراعة والرعى ، استخدم الانسان الغابة لتغطية احتياجاته لمواد البناء والوقود •

فى ختام هذا التقديم ، نقول ان تباين التضاريس والمناخ والغطاء النباتى وكذا صعوبة الاتصال بين مختلف الاقاليم وانعدام الاودية الكبرى وقساوة الصحراء اضافة الى ثنائية النمط المعيشى « الحضر والوبر » جعل بعض المؤرخين الاستعماريين يؤمنون بنقمة الطبيعة ويحكمون بالعجز الابدى عن قيام وحدة فى المنطقة المغاربية ، وهو ما يفنده الواقع اذ لم

تصمد العوامل الجغرافية أمام التاريخ ، فهناك شواهد كثيرة ، تعود الى عصور عتيقة ، تبين أن قساوة الصحراء لم تستطع أن تكون حاجزا ، وتمكن الانسان دائما أن يقيم اتصالات ، رغم ما يكلفه ذلك من جهود وتضحيات وتمكن من تحقيق الوحدة عبر العصور ، كلما أمكنه ذلك ، فهذا ما تحقق فى عهد الملك مسينيسا قديما وعهدى الموحدين والمرابطين فى التاريخ الاسلامى ، ومـا نعمل على تحقيقه فى اطار الاتحاد المغاربى حاليا •

الخريطة ١٠: طبيعة أرض بلدان المغرب



ثانيا ــ السكــان :

1 ــ أصــل التسميــة :

ا ــ ليبيـــا :

ذكرت النصوص الهيروغليفية الشعوب القاطنة الى غرب نهر النيل تحــت اسم الليبيــو (1) (L.B.W.) ، كمــا ورد اسم « الليبيين » فى التوراة (2) ، وعند الاغريق نعثــر كثيرا علـــى مصطلحى « ليبيا ــ والليبيين » • والجدير بالذكر أن مصطلح « ليبيا » عند الاغريق يطلق على كل القارة (3) • و « الليبيون »

---

(1) CF. Gsell St) **Herodote, textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord,** ed, A. Jordan et E, Leureux (Alger-Paris 1916) P. 70 par suite Gsell Herodote. **chabas, études sur l'antiquité historiques d'après les sources Egyptiennes et les monuments reputes prehistorique** 2eme ed. Maison Neuve (Paris 1873) P.191 et suite, 229, 232, 242, Maspero, **Histoire Ancienne des peuples de l'orient classique,** ed. Maspero (Paris 1876) PP. 430 n° 4 431-2, 456

(2) الفقرة 13 من السفر العاشر ، وكذا الكتاب الثانى من الوقائع 3, XII (8, XVI) الذى يتحدث عن الليبيين الذين حاربوا فى جيش الفرعون ضد روبعــام •

(3) انظر على سبيل المزــال :
Herodote, Histoires trad A. Barguet ed. Gallimard (Paris 1964), II. 32; IV 197; **Strabon, Geographie, (4 vol.) trad. A. Tardieu, ed. Hachette, (Paris 1867-1890), II,5,33**

هم القاطنون على طول سواحلها الشمالية من حدود مصر الى المحيط ، بينما يقطن الاثيوبيون (4) جنوب ليبيا (5) •

ظل مصطلحا « ليبيا — والليبيون » يستخدمان فى المصادر الاغريقية واللاتينية حتى أواخر العصور العتيقة ، فقد تحدث فيرجيليوس على مدن ليبيا ودببة ليبيا (6)، كما استخدم بلينوس الكبير مصطلح « الليبيين » للاشارة الى سكان شمال افريقيا • ويصف بـ « الليبية » بعض المنتوجات الحيوانية والنباتية الاصلية فى هذه المنطقة (7) ، كما نعثر على هذين المصطلحين فى النقوش البونيقية والبونيقية — الجديدة تحت شكل (LBT LBY) فى سلامبو ، وكذا في معبد الحفرة الذى عثر فيه على مجموعة من النصب ، بها مصطلح (LBY) (8) • وفى نقش ليبى — بونيقى فى مكثر

---

(4) تعنى البشرة السوداء (Aithos المحروق) • بينما أطلق العبرانيون على اثيوبيا اسم بلاد كوش التى تعنى اسود أو محروق •

(5) Herodote, Loc. Cit.

(6) Virgile, Eneide (2 vol), trad. M. Rat, ed. Flammarion (Paris 1944)

(7) Pline (l'ancien), **Histoire Naturelle**, XIII, 24; XIV. 3; XXXI, 49 trad Ajassen de Grandsagne, ed. Panckoucke (Paris 1829-33)

(8) Cf. Decret (F.) et Fantar (M.), **l'Afrique du Nord** dans l'antiquite des origines au Veme Siecle. Ed. Payot, (Paris 1981), PP. 15 16.

تمكن فيفرى (J. G. Fevrier) من قراءة BSD LBYM تترجم « فى بلاد الليبيين » (9) ، وكذا النقش الذى اكتشف فى اقليم طرابلس RB MHNT BSD LWBYM الذى يترجم « رئيس الجيوش في بلاد الليبيين » (10) •

وحول أصل هذه التسمية « ليبيا ــ والليبيين » قام جدل كبير بين المؤرخين جعل كومس ، بعد أن أستعرض مختلف الاراء ، يدوصل أن التسمية افريقية الاصل (11) ، وهــو رأى محمد فنطر الذى يخلص الى أن شعوب البحر المتوسط قد أخذت هذه التسمية من أصولها المحلية (12) •

اختلف حقل استخدام « ليبيا ــ والليبيين » من فترة تاريخية الى أخرى ومن مؤرخ الى آخر (13) ، فاذا كان هيرودوت وكثير من المؤرخين الاغريــق من هومــيروس الى ستــرابون يعنون بالليبيين كل القبائل التى تسكن السواحل الشمالية لافريقيا من مصر حتى المحيط الاطلسى ، فان بوليبيوس ، وهو مؤرخ اغريقى

---

(9) Février (J.G.), l'Inscription Punico-Libyque de Mactar, J. A., t. 237, (1949) PP. 85-91.

(10) Cf. Clermont - Ganneau (Ch), d'apres Decret (F) et Fantar (M'), **OP.CT** p. 16.

(11) **Camps (G), Aux Origines de la berberie Massinissa ou les debuts de l'histoire,** Imp. officielle (Alger 1961), pp. 24-25 (par suite Massinissa).

(12) Decret (F) Fantar, OP. Cit. pp. 19-20.

(13) حول مختلف مفاهيم مصطلح « الليبيين » انظر :
Gsell (St), **Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord,** (vol. 8), ed. Hachette (Paris 1913-106. (par suite **H.A.A.N).**

أيضا من القرن الثالث ق.م يعنى « بالليبيين » السكان الاصليين الخاضعين لقرطاجة (14) .

وهو شأن الموقع « ليبيا » الذى نجده عند هيرودوت وسترابون يطلق على كامل القارة بينما يطلق على شمال افريقيا فقط عند البعض الاخر .

ب — افريقيا : نحن هنا أمام مصطلح حديث نسبيا ، اعتمادا على الشواهد الكتابية التى لا تتجاوز أواخر القرن الثالث ق.م ، اما عن اشتقاق الاسم فهو محل أخذ ورد بين المؤرخين ، فرأى البعض أنه مشتق من جذر (F.R.G) التى تعبر عن فكرة تفريق المستوطنات ، أو من كلمة (Frigi) أو (Pharikia) التى تعنى بلاد الفواكه (15) ، بينما فكر آخرون في الكلمة اللاتينية apricus و Aprica التى تعنى المناخ الحار نسبيا (16) . ولم يتردد المؤرخون العرب فى العصور الوسطى من ايجاد بطل اسطورى « افريقش » أخذت هذه المنطقة اسمه (17) .

---

(14) Polybe, **Histoire** 1.77 trad. D. Roussel, ed. Gallimard (paris 1970).

(15) cf. Cric Louis, "Afrique" **dans la grande encyclopedie** (30 vol.) ed. H. Lamirault et Cie, Paris (S.D) T. I,p. 714.

(16) cf. Decret (F.) et Fantar (M.), OP. Cit p. 24.

(17) انظر : ابن خلدون (عبد الرحمان) ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر (7 مجلدات) ، مطبعة بولاق (القاهرة 1284هـ) المجلد السادس ، ص 87 .

وافريقيا (Africa) مشتقة من أفر (Afer) وهو ما جعل محمد فنطر يفضل البحث في أصل هذا المصطلح ، ورغم الشروح الكثيرة والغريبة التى قدمت حول هذا المصطلح ، يخلص فى الاخير الى ربط (Afer) بجذر ليبى اشتقت منه مختلف الكلمات المتداولة فى المنطقة ، والميل بالتالى الى الاصول المحلية للتسمية (18) ، التى أطلقها الرومان بادىء الامر على الاراضى القرطاجية التى احتلوها سنة 146 ق•م ، وشيئا فشيئا بدأ اسم المقاطعة يتوسع ليشمل كل شمال افريقيا من طرابلس الى المحيط حتى أصبح يطلق على كامل القارة عوض اسم ليبيا عند الاغريق (19) •

ج ــ البربر : نحن هنا أيضا أمام فرضيات عديدة ، فبعض المؤرخين العرب ربطوا هذه التسمية بالجد الاول « بر » (Ber) والبعض الاخر على ما يذكر ابن خلدون ، نسبوها الى افريقش الذى قال عندما سمعهم يتحدثون « ما أكثر بربرتكم فسموا بالبربر » بمعنى كثرة الاصوات غير المفهومة (20) • وعمل البعض الاخر على ربط هذه التسمية ببعض الاسماء والمواقع فى الهند أو فى وادى النيل وهو ما اعتبره فنطر بمثابة هذيان مفتعل علقوا عليه افتراضات أخرى متعلقة بأصل السكان (21)•

(18) Decret (F.) Fantar, (M.) OP. Cit, pp. 246-26.

(19) Crie (Louis), Loc. Cit; Gsell (St), H.A.A.N T.7 p. 7.

(20) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 87 .

(21) Decret (F.) Fantar (M.), OP. Cit. pp. 26-27

واذا كان العرب هم الذين نشروا اسم « البربر » على السكان الاصليين لافريقيا الشمالية ، فان اشتقاق الاسم يرتبط بالكلمة اللاتينية (Barbarus) المتداولة عند المؤرخين اللاتين للاشارة كما يحدد قزال لـ : « الاهالى المستعصين عن الحضارة اللاتينية » (22)

د ـ أمازيغ : الانتشار الواسع لهذه التسمية فى كامل البلاد المغاربية واطلاقها على المواقع جعل كومس يميل الى اعتبارها الاسم الحقيقى لسكان شمال افريقيا (23) ، ويتعلق الامر هنا في نظره بالجذر (M.Z.G.) أو (MZK) نجده فى : Mazazeces, Mazaces, Mazices من الفترة الرومانية . Mazyes عند هيرودوت و Maxyes عند هيكاتايوس و Imusagh الذى نجده الى الغرب من فزان، Imagighen فى الصحراء ، و Imazighen فى الأوراس والريف والاطلس ، و tamasegt لغة الطوارق الذين يسمون أنفسهم Imouchar (24) (Imusagh)

اذا كان قزال يعتقد أن كلمة « مازيغ » (أمازيغ) تعنى « النبيل » أو « الحر » (25) فان ابن خلدون ينسبهم الى أبيهم مازيغ (26) .

---

(22) Gsell (St), H.A.A.N T.I, p. 337.

(23) cf. Camps (G.), Massinissa p. 26.

(24) حول هذه التسميات وغيرها انظر :
Camps (G.), Massinissa, pp. 26-27.

(25) cf. Gsell (S.), H.A.A.N , T. 5, p. 119.

(26) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 97 .

2 ـ أصـــل السكـــان :

في اطار حديثه عن سكان (ليبيا) يذكر هيرودوت أن ليبيــا تقطنها أربع أمم لا أكثر ، اثنتان منهما أصليتان ، واثنتان غـير أصليتين ، فالليبيون في الشمـــال والاثيوبيون في جنوب ليبيــا أصليون ، أما الفنيقيون والاغريـــق فانهم استقـــروا فيها فيما بعد (27) . وفي موضع آخر يقول : « المنطقة الساحلية من ليبيا الممتدة من مصر الى رأس سوليس الذى يسجل نهاية القـــارة الليبية الى الغرب آهلة بالليبيين (28) » ، وهو ما يسجل ضمنيا الوحدة الاثنية (éthnique) لسكان شمـــال افريقيا من مصر الى المحيط الاطلسي .

والى جانب السكان الاصليين يميز هيرودوت المهاجرين الذين قدموا من مناطق أخرى : الاغريق في برقة والفنيقيين في قرطاجة وبعض المدن الساحليـــة .

في وقت لاحق ميز سالوستيوس ضمن سكان افريقيا عمـــق ليبي وآخر جيتولي « السكان الاوائل لافريقيـــا هم الجيتول والليبيون » قبل أن يتحدث بدوره عن الميديين والارمن والفرس الذين انتقلوا من اسبانيا الى افريقيا بعد وفاة قائدهم هرقل . ويقـــول أن الميـــديين والارمـــن أمتـــزجـــوا بـــالليبيـــين ،

---

(27) Herodote, IV, 197.

(28) ID, II, 32.

(29) Sallustius, Bellum Jugurthinum, XVII trad, F. Richard, ed. Flammarion, (Paris 1966).

بينما امترج الفرس بالجيتول ، ونتيجة للمزيج الاول ظهـر « المور » الذين سرعان ما أصبحـت لهم مدنا ، بينمـا اضطر الجيتول و الفرس الى حياة الترحال ، وعرفوا بالرحل (Nomades) غير أن قوتهم تزايدت وتمكنوا تحت اسم « النوميديين » من فتح كامل البلاد حتى حدود قرطاجة (30) •

مهما كان ، ادراج الفـرس والميديين فى هذه الروايـة يمكن تبريره بالنسبة للفرس Persac) يقترح قزال حلا يبدو مقبولا، فهو يقرب (Persae) عند سالوستيوس بسكان أفارقة سماهـم بلينوس : (Pcrorsi) أو (Pharusi) الذين توجد أراضيهم على السواحل الاطلسية في المغرب الحالـى (31) • فالانتقـال من (Pcrorsi) أو من Pharusi الى (Persae) سهل بكل تأكيد ، ويكون بالتالى الهدف من ذكر الفرس تبيان اشتقاق (Pcrorsi) أو (Pharusi) •

وادراج الميديين (Medes) يهدف الى تفسير اسم « المور » ، وهى عملية معروفة عند الاغريق الذين اشتقوا « النوميديين » من النرماد (Nomades) عندهم • وهو ما يفسر فى نظر فنطر مشاركة الاغريق فى بناء رواية سالوستيوس (32) •

ومهما كانت هذه الرواية ، فيمكننا أن نستشف منها حاليـا السبق الذى منح لـ الليبيين والجيتول ، وهى الرواية التى يفهم

---

(30) I BI D.

(31) Gsell (S.), H.A.A.N T.I, p. 334.

(32) Decret (F.), Fantar (M.), OP. Cit. P. 30.

منها وجود عنصرين من السكان : الجيتــول والليبيين ، الذيــن مكنوا سالوستيوس من اثبات بعض التمايز ، ان لم يكن اختلافا فى نمط المعيشة (الحضر والترحال) وهو وليد البيئة الجغرافية التى يعيش فيها كل شعب (33) • وقد ذهب كومس الى ربط هؤلاء الليبيين والجيتول بشعوب ما قبل التاريخ ، ومقابلة هذه الرواية بالمعطيات الانثربولوجية فى موضــوع أصول البربر ، ويذكر وجود سلالتين تتقاسمان البلاد المغاربية أواخر ما قبــل التاريخ بالاخص خلال النيوليتيك : انسان المشتى الذى كــان امتداده تليــا ساحليا خاصة ، بينمــا كان الانســان القفصى (فجر متوسطى) يشغل المناطق الداخلية ، التى ستصبح مناطق تنقل الجيتول (34) وهو ما يميل اليه بعض المؤرخــين الــذين يرون بعض سمــات انسان النيوليتيكى أو حتــى الباليوليتيكى الاعلى فى البربر الحاليين (35) •

آخر رواية خاصة بسكان البلاد المغاربية فى التاريخ القديــم نعثر عليها عند المؤرخ البيزنطى بروكوبيوس الذى يتحدث عن هجرة فينيقية نحو بلاد المغــرب بعد دخــول العبرانيين بلاد الشام ، ونفس المؤرخ يقول : « ان ليبيا قبل هؤلاء كانت آهلة بشعوب أخرى كانت هنا منذ عهود قديمة جدا ، وكان ينظر اليها

---

(33) Camps (G.), Massinissa, p. 16.

(34) I BI D.

(35) Le blanc (Ely), Le Problème des Berberes (études d'enthographic physique) dans **Histoire et Historiens de l'Algérie** pp. 85-86.

على أنها الاصلية » (36) • لكن عن هؤلاء الاصليين لا يقول شيئا تقريبا •

بعد رواية بروكوبيوس ، نجد أنفسنا أمام مؤرخى العرب في العصور الوسطى ، واعتبارا لكون ابن خلدون أبرز هؤلاء المؤرخين الذين تعرضوا لاصل البربر بالدراسة ، فاننا نرى الاكتفاء بنقل وجهة نظره فى الموضوع •

بعد أن يستعرض ابن خلدون مختلف النظريات يقول : « واعلم أن هذه المذاهب كلها مرجوحة وبعيدة عن الصواب ، فأما القول بأنهم من ولد ابراهيم فبعيد لان داود الذى قتل جالوت وكان البربر معاصرين له ليس بينه وبين اسحاق ابن ابراهيم أخى نعشان الذى زعموا أنه الا نحو عشرة أبناء ذكرناهم أول الكتاب، ويبعد أن تشعب النسل فيهم مثل هذا التشعب ، وأما القول أنهم ولد جالوت أو العماليق وأنهم نقلوا من ديار الشام وانتقلوا فقول ساقط يكاد يكون من أحاديث خرافة ! ومثل هذه الامة المشتملة على أمم وعوالم ملأت جانب الارض لا تكون منتقلة من جانب آخر وقطر محصور والبربر معروفون في بلادهم وأقاليمهم متميزون بشعارهم من الامم منذ الاحقاب المتطاولة قبل الاسلام ••• » (37) الى أن يقول : « وهما ــ يقصد برنس ومادغيس سلفى البربر ــ والحق الذى

---

(36) procopius, Bellum Vandalicum, II, 10 et suite, trad Dureau de la Malle dans Algéric ou Manuel Algérien ed Firmin-didot (Paris 1852).

(38) ابن خلدون (عبد الرحمان) ، المصدر السابق ، ص 97 .

لا ينبغى التعويل على غيره فى شأنهم أنهم ولد كنعان بن حام بن نوح ، كما تقدم فى أنساب الخليقة ، وأن اسم أبيهم مازيغ ••• وأما نسابة البربر فيزعمون فى بعض شعوبهم أنهم من العرب مثل لواته يزعمون أنهم من حمير ومثل هوارة يزعمون أنهم من كندة بن السكاسك ، ومثل زناتة تزعم نسابتهم أنهم من العمالقة فروا أيام بنى اسرائيل وربما يزعمون فيهم أنهــم من بقايا التبابعة ومثل عمارة أيضا وزواوة ومكلاتة يزعم في هؤلاء كلهم نسابتهم أنهم من حمير حسبما نذكره عند تفصيل شعوبهم فى كل فرقـــة منهم وهذه كلها مزاعم ، والحق الذى شهد به المواطن والعجمة أنهم بمعزل عن العرب الا ما تزعمه نسابة العـــرب في صنهاجة وكتامة وعندى أنهم من اخوانهم » (38) •

وحديثا أفرز الاستعمار الغربى نظريات حول أصول « البربر » يمكننا اجمالها فى مدرستين : مدرسة تدعى الاصـــول الشرقية الكنعانية أو الحميرية (39) ، وأخرى الاصول الهندو — أوروبية : الكلتية أو الفريجية الـــخ ••• (40) ، وهمـــا مدرستـــان ذات توجهات ايديولوجية ، مرتبطتان في نظرنا بسياسة الدمج التـــى مارسها الاستعمار فى بلادنـــا •

---

(38) Gscil (St); H.A.A.N T. 5, pp. 342-343.

(39) Camps (G.); **Les Berberes; Memoire et Identité** (Coll des Hesperides); ed. Errance (Paris 1987), pp. 21-22

(40) Bertholon, Origine et Formation de la LangueBer-bere, R.T. , T. 10, (1903), p. 108; ID. Essai sur la Repartition des premiers Colons de Souche Eu-ropeenne dans l'Afrique du Nord moins la Tunisie Actuelle, R.T T. 6, (1899), pp. 123-138 et 285-309.

فالمغاربة الحاليون الذين سماهم القدامى بـ « الليبيين » أو « البربر » يمكننا أن نرى فيهم ذريـة انسان المشتـى وانسان قفصة الذين وجدوا فى افريقيا منذ عصر الحجر المصقول (41) •
فالليبيون يرتبطون بانسان المشتى ، أصيل شمـال افريقيـا ، والذى يفهم من أرمبورغ أنه عاش مدة معتبرة تمتد على طول الباليوليتيك الاعلى والنيوليتيك ، وأبعد من ذلك مازالت بقاياه محفوظة ضمن الشعوب البربرية الحالية (42) المنحدرة منه (43) •

كيفما كان هذا العمق مشتوى أو قفصى (44)، يجب ألا ننسى أنه حتى أينما أن التركيبـة الاساسية لسكان البـلاد المغاربية تنتمى الى هذا العمق البربـرى القديم الذى كـان موجودا فى المنطقة منذ ما قبل التاريخ كتركيب لم يتوقف عن الاثراء بواسطة مساهمات أثنية وثقافية لـم يتوقف التاريخ عـن نقلها الينا ، فالفنيقيون والرومان والعرب ، حتـى لا نذكر غـير الفتوحات الكبرى ، أثروا كثيرا الالوان الثقافية للبربر ، لكن أثنيا لا يبدو أن المساهمة كانت كبيرة ، فكلما تمت ظاهرة الدمج ، كانت تتـم على مستويين : على المستوى الاثنـى كان المهاجرون يشكلون

---

(41) Decret (F.), Fantar (M.), OP. Cit., p. 35.

(42) كان امتداد انسان المشتى امتـدادا ساحليا ، بينما كان امتداد انسان قفصة امتـدادا داخليا وهو ما دفـع كومبس الى ربط الاوائل بالليبيين والاواخر بالجيتول ، انظر أعلاه ، ص 12و13 .

(43) Arambourg (C.), la Génèse de l'Humanité, Coll. que-saisje ?) ed. P.U.F (Paris 1948), pp. 55-56

(44) الانسان القفصى : انسان فجر متوسطى ، يقـال أن انسان كرومانيون وانسان جريمالدى الذى عمر منطقة البحر المتوسـط منحدران منـه .

أقلية ينتهون بالذوبان في العنصر البربرى الغـالب ، بينما على المستوى الثقافى كانت المساهمة أنشط وأكثر تأثيرا ، لكن دون أن تتمكن من الغاء الركيزة القديمة (45) •

والذين اعتبروا أنفسهـم كنعانيين أو قرطاجيين أو رومـان قديما ، كالذين يعتبرون أنفسهم اليوم عربا ، ساهموا كلهم فى هذا العمق الليبى القديم دون الغائـه (46) •

---

(45) cf. Decret (F.), Fantar (M.), Loc. Cit.

(46) نفسـه .

الفصـــل الاول

التوسع الفنيقى في غربى البحر 'لابيض المتوسط وتاسيس

قـــرطـــاجـــة

الفنيقيون في الشـــرق

1 ــ التعريف بالفنيقيين :

اذا كـــان الكنعانيون الذين خلفهـــم الفنيقيون ، قد أقاموا حضارتهم في فلسطين ولبنان وجزء من سوريا ، وكانوا يعرفون بهذا الاسم منذ منتصف الالـــف الثانية ق•م (1) ، فانه خلافا لهؤلاء لا نجد ذكرا للفنيقيين قبل الربع الاخير من الالف الثانية ق•م (1) ، لذلك يمكننا أن نجعل هذه الفترة بداية لتاريخ هذا الفرع من الشعب الكنعانـــى (2) •

تعرض الكنعانيون خلال تاريخهم الطويل لاقسى الضربات من الامبراطوريات التى تنامت حولهم : الامبراطورية المصرية ، والامبراطورية الحيثية ، والامبراطورية الاشورية • لكن مع ذلك تبقى غزوة شعوب البحر (1230 ــ 1195) (3) الاكثر عنفـــا

---

(1) cf. Decret (F.), **Carthage ou l'Empire de la Mer,** (Collection le point), ed. du Seuil, (Paris 1977), pp. 11 et 12.

(2) ID. p. 15.

(3) cf. Moret (A.) et Davy (G.), **Des Clans Aux Empires (l'organisation sociale chez les primitifs et dans l'orient Ancien),** (Collection l'Evolution de l'Huma nité), ed. La Renaissance du Livre, (Paris 1923) p. 385.

وأثرا (4) ، اذ اكتسحت الامبراطورية الحيثية فى آسيا الصغرى ، ثم تابعت الغزو نحو الساحل الكنعانى الذى دمرت عددا من مدنه مثل أوغاريت ، ووضعت حدا للنفوذ المصرى ، رغم تمكن رمسيس الثالث من صدها عند الحدود المصرية (1195م) فاستوطن بذلك فرع من هذه الشعوب المنطقة الساحلية الممتدة بين غزة جنوبا وجبل الكرمل شمالا (5) والتى عرفت فيما بعد بفلسطين نسبة الى قبائل الفلسطو التى استوطنتها (6) •

وكان على كنعانى هذه المناطق الانسحاب تحت ضربات هؤلاء القادمين الجدد ، الذين حاولوا توسيع مجالهم الحيوى ، لكنهم اصطدموا بمنافسين آخرين مثل بنى اسرائيل الذين كانت قبائلهم تتطلع الى أخذ مكانتها فى الساحل الفنيقى منذ القرن الثالث عشر ق•م ووصلت جنوب فلسطين (7) •

---

(4) R. de Vaux, "La Phenicie et les Peuples de la Mer" **Melanges de l'Université de Saint-Josef de Beyrout,** T. 45, (1969), pp. 479-498.

(5) انظر الخريطة رقم 2 ، ص 39 .

(6) انظر : محمد الصغير غانم ، التوسع الفنيقى فى غربى البحر المتوسط ، ديوان المطبوعات الجامعية (الجزائر 1979) ص 45 .

(7) انظر : غانم (محمد الصغير) ، المرجع السابق ، ص 47 .

الخريطة 2: الساحل الفينيقي

أنطاكيا
جبل كاسيوس
رأس الشمرة (أوغاريت)
حماة
أرواد
قادش
طرابلس
جبيل
بعلبك
نهر الكلب
بيروت
صيدا
دمشق
جبل حرمون
صور
عكا
جبل الكرمل
مجدو
يافا
القدس
عسقلان
غزة
البحر الميت

المفتاح
مواقع المدن
أودية
جبال

مقياس الرسم
1000000

2 ـ عوامل التوسع الفنيقى فى غرب المتوسط :

رغم هذه النكبات التـــى توالت علـــى « بلاد كنعـــان » فقد استطاعت المدن التى أفلتت من قبضة الجيران الجدد مثل جبيل وصيدا وصور أن تنتهز فترة عودة السلم لتنهض من جديد في ظل عهد ثرى بمعطيات « أثنية وتقنية » جديدة ناجمة عن غزوة شعوب البحـــر :

1 ــ ظهور شعـــوب جديدة فى المنطقة ، أدى الـــى نزوح الكنعانيين من الارياف والمـــدن الداخليـــة نحو المـــدن الفنيقية الساحلية التى عجزت عن تحمل ثقل التزايد الديموغرافى •

2 ــ سقوط مكيناى على اثر غزوة الدوريين أبعد المنافس الايجى الذى وقف في وجه الملاحة الكنعانية ، وانفتحت آفـــاق واسعة أمام البحرية الفنيقية التى كان عليها أن تملأ الفراغ •

3 ــ استغل الفنيقيون التطورات المنجزة فى مجال التعدين والبناءات البحرية بعد غزوة شعوب البحر مثل استخدام المسمار الحديدى الذى حل محل الترصيع ، والوتد الخشبى • وفى مجال السفن نجحوا من الان فصاعدا فى صنـــع سفن أقـــوى وأخف بكثير ، بفضل اختراع الصالب (8) ، الذى يعد العمود الفقرى

(8) الصالب : عارضة رئيسية تمتد على طول قعر المركب .

الحقيقى فى السفينة التى تشكل أضلع قفصها ـ الاختراع الاخر لعصر الحديد ـ فسمح اذن الصالب والاضلع والمسمار الحديدى بصناعة وحدات قادرة على أن تشق بسهولة الامواج مع مقاومة ثقلها ، كما ضمن استخدام القار أحكام السد وطبقة حامية ، وهى امكانيات فتحت بلا شك أبواب البحر أمام الفنيقيين المحصورين حتى ذاك فى بلاد ضيقة بين الجبال والبحر ، فراحوا يبحثون عن مصادر الثراء في الغرب بعيدا عن موطنهم •

3 ـ مراحل التوسع الفنيقى فى غربى المتوسط :

يمكننا أن نميز لهذا التوسع مرحلتين : مرحلة الارتياد والاستكشاف المتبوعة بمرحلة الاستيطان والاستغلال •

ا ـ مرحلة الارتياد والاستكشاف : من الصعب علينا أن نضع حدا زمنيا فاصلا بين المرحلتين ، لكن تسهيلا للدراسة واعتمادا على النصوص وانعدام البقايا الاثرية الفنيقية تقريبا في السواحل المغاربية لما قبل القرن الثامن قبل الميلاد ، يمكننا أن نفترض أنهذه المرحلة تبدأ فىأواخر القرن الثانى عشر ق•م ، بتأسيس مستوطنة أوتيكا سنة 1101 ق•م ، في السواحل التونسية الحالية ، وقبلها مستوطنتى قادس باسبانيا وليكسوس على السواحل الاطلسية بالمغرب سنة 1110 (9) ، وتمتد حتى القرن الثامن • والمصادر بشأنها نادرة سواء المادية أو الكتابية ، ذلك أن الفنيقيين فى هذه المرحلة اكتفوا بتأسيس مؤسسات

---

(9) Decret (F.), OP.Cit, p. 41-2

« اسكالات » مؤقتة ، تنجز بمواد سهلة التلف ، وبالتالى سهلة الاندثار بمجرد التخلى عنها دون أن تترك أثرا ، وغياب المقابر فى هذه الاسكالات جعلت بعض المؤرخين يستنتجون أن هؤلاء الفنيقيين أنفسهم عندما يشعرون بتقدم السن يعودون الى الوطن الام حيث يدفنون (10) •

رغم أننا لا نعرف جيدا كيفية اقامة الفنيقيين فى البلاد المغاربية أثناء هذه المرحلة ، غير أنه يمكننا الاعتقاد أن ذلك تم في ظروف سلمية ، اعتمدت أساسا على التبادل التجارى بمقايضة سلع بلدان المتوسط : الانسجة المبرقشة ، لآلىء زجاجية ، فخار ، مواد معدنية ، بمنتجات الارض والمنتجات الحيوانية والنباتية : كالاخشاب والجلود والعاج (11) •

ب ـ مرحلة الاستيطان والاستغلال : تعد هذه المرحلة مكملة للمرحلة الاولى تترجم فى تحول تلك الوكالات التجارية المؤقتة الى مستوطنات دائمة ، اختارها المهاجرون كوطن جديد لهم ولابنائهم • وقد يعزا هذا التحول بالدرجة الاولى الى نمو قوة الفنيقيين نتيجة ممارسة التجارة لمدة طويلة ، وهو ما دفعهم لاحقا الى ارسال جاليات كبيرة الى الغرب (صقلية ، سردينيا ايبيريا) لانشاء مستوطنات (12) ،وقد يستجيب أيضا هذا الاستعمار الرسمى للمتطلبات الداخلية والخارجية للمدن الفنيقية

---

(10) Decret (F.) et Fantar (M.), **OP. Cit.** p. 50.

(11) نفسه .

(12) Diodore de Sicile, **Biliotheque Historique,** (7. vol), trad. A. F. Milot ed. Imprimerie Royale, (Paris 1834 - 1837).

كامتصاص الفائض السكانى الذى تعانى منه المدينة الام من جهة وحماية المكتسبات فى الحوض الغربى للمتوسط من الاطماع الاجنبيـــة مــن جهـــة أخــرى والعمــل عـــلــى استغــلال أحســن للبــلاد ، ودعــم الــوطـــن الام مـــن جهـــة أخــرى ، لتصبـــح فى الاخــير هــذه المستوطنات ملجــأ بعد الضغط الاشورى•وقد دفع هذه المستوطنات،ضعف الفنيقيين فى الشرق وتصاعد قوة الاغريق فى الغرب الى ضرورة تسليم الامر لاحداهن التى تبدو أكثـــر قـــدرة على تنظيم المقاومة ، ومد التوسع الفنيقى الى أبعد ما هو فيه ، وهكـــذا تعتلى قرطاجة عرش الحـــوض الغربى للمتـــوسط علـــى رأس المستوطنات الفنيقية (14) •

الفنيقيون فى الغــرب

1 ــ تــأسيس قــرطـاجـــة :

تكاد تتفق المصادر على اعتبار سنة 814 ق • م (15) سنة تأسيس قرطاجة من طرف الاميرة عليسة التى فرت من شقيقها بقماليون بكنوز زوجها عشرباص الذى أغتاله صهره (16)•

---

(13) Salluste, Bellum Jug. XIX.

(14) انظر : محمد ابو المحاسن عصفور ، المدن الفنيقية ، دار النهضة العربية (بيروت 1981)، ص 70 ــ 71 .

(15) يضع تيمايوس تاسيس قرطاجة بثمانية وثلاثين سنة قبـــل الاولمبياد الاول وهو يوافق السنة المذكورة (الاولمبياد الاول سنة 776 + 38 = 814 ق م)، يذكر فليوس باتركولوس (1 ر12 ر 25 ان قرطاجـــة عاشت 667 سنة وهـــو يقـــودنا الى سنة 813 ق م (667 + 146 = 813 ق م) . حول مختلف التواريخ ، انظر : قزال ، ج 1 ، ص 397 ــ 399 .

(16) بقماليون شقيق عليسة .

والروايات التى تتحدث عن اصول قرطاجة، تقدم بالتأكيد أهمية تاريخية ، لكنها محاطة أيضا بالاساطير، مما يصعب تحديد الظروف والاسباب الحقيقية لتأسيس هذه المدينة ، والمعطيات المتنوعة وصلتنا خاصة من تيمايوس التاورومى (Timée) (340 — 250 ق• م) الذى أطلع على النصوص البونيقية وكان بامكانه أن يستخبر مباشرة من القرطاجيين، وميناندروس الافيسوسى (Ménandré, d'Ephese) الذى استند على الحوليات الصورية ، واخيرا من يوستينوس (Justin) الذى عاش فى القرن الثانى الميلادى (17) •

حسب رواية يوستينوس يكون الحكم قد عاد بعد وفاة الملك ماتان (Matan) الى ابنيه عليسة وبقماليون (18)• تزوجت عليسة ذات الجمال الباهر خالها عاشرباص كبير كهنة ملقرط ، والغنى جدا ، وكان يخشى على ثروته من جشع الملك فدفنها فى جوف الارض ، لكن بقماليون الذى قرر الاستيلاء عليها لم يتوان فى قتل خاله وزوج اخته فى نفس الوقت• وشعرت هكذا عليسة بأنها مجبرة على الفرار ، وعرفت كيف تحتال على شقيقها ، وابحرت بأموال زوجها ومؤيديها الى قبرص، ومنها الى افريقيا ، بعد أن انضم اليها فى قبرص كاهن يونو (Juno) الذى ضمن لنفسه ولاسرته من بعده الاشراف الدينى فى المدينة

---

(17) حول هذه الرواية انظر : سنتاس ، المرجع السابق، ج1، ص 6 — 20 •

(18) Justin, **Histoire Universelle,** XVIII,4 trad (J) Pierrot et (E.) Boitard, ed. Panckoucke, (Paris 1833).

الجديدة (19) • كما حملت معها من هذه الجزيرة ثمانين فتاة ليكن أزواجا للشباب الذين كانوا معها (20)• وفى افريقيا ابتاعت قطعة أرض بمقدار جلد ثور (Byrsa) قطعت الجلد الى أشرطة صغيرة، أحاطت بمساحة تكفى لبناء قرط حدشت (21)•

على ضوء هذه الرواية، يمكن الاستنتاج أن تأسيس قرطاجة كان نتيجة للصراع بين القصر والمعبد (22)، لكن هذه الفرضية تصطدم بغياب البغضاء والعداوة بين قرطاجة وصور فى أخبار القدامى ، وبالمقابل أخبرنا هؤلاء بالاعتبار الكبير الذى كانت تكنه قرطاجة لمدينة صور عبر تاريخها (23)، وهو ما يصعب علينا قبول انشاء المدينة نتيجة الشقاق فى الحكم• على العكس من ذلك يمكننا القول انها انشئت بطريقة رسمية ، فحضور الاميرة « عليسة » شقيقة الملك وزوجة الكاهن الاعظم يمكن أن يبين لنا الطابع الرسمى لهذا الانجاز، ويفسر لنا — ربما — المكانة التى تحتلها قرطاجة فيما بعد ضمن المستوطنات الفنيقية فى الغرب •

---

(19) ID. XVIII,5

(20) Loc. Cit.

(21) تترجم الرواية بكاملها (6-4, XVIII) من يوستينوس وتدرس وتحلل فى حصص الاعمال التوجيهية •

(22) Lapeyre (G.G.), Pellegrin (A.), Carthage Punique (814-746 Av. J.) Coll. Biliothèque Historique) ed. Payot (Paris 1942), P. 76

(23) انظر جوليان (شارل اندرى)، تاريخ افريقيا الشمالية ، ج1 ، تعريب محمد مزالى ، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر (تونس 1969) ص 87 •

2 ـ تشكل الامبراطورية القرطاجيـــة :

اذا كانت بداية قرطاجة متواضعة وظلت تدفع الجزية للاهالى لمدة أزيد من ثلاثة قرون (814 ـــ 480 ق• م)، فانها سرعان ما تمكنت من فرض نفسها كقوة ابتداء من القـــرن الخامس ، وتطورت من مركز تجارى الى قوة بحرية تعمل على السيطرة على الحـــوض الغـــربى للبحر الابيـــض المتوسط ، واصبحت مسؤولـــة على امبراطورية مترامـيـــة الاطراف ، تتكـــون من مستوطنات غنية فى غرب صقلية ، وسردينيا ، ومالطة ، وايبيزا، واسبانيا الجنوبية وسواحل افريقيا (24) •

وان كنا لا نعرف طبيعة العلاقات التى تربط هذه المستوطنات بقرطاجة ، التى يبدو انها كانت مكلفة بالسهر على أمـــن تلـــك المستوطنات ومتلكاتها ، مقابل الاعتراف بسلطة قرطاجة فى بعض المجالات السياسية والاقتصادية ، فالامر لا يتعلق ، وفق تعبير محمد فنطر ، بامبراطورية ذات سلطة مركزية فى قرطاجة، لكن بفيدرالية « دول ـــ المدن » ذات سيادة فى المســـائل الداخلية لكنها خاضعة فيما يتعلق بالسياسية الخارجيـــة ، وبدون شك التجارة الخارجية لقرطاجة التـــى يعـــود لها عقد المعاهـــدات والاتفاقيات مـــع الدول الاجنبية مثل : الاغريق والاترورريين

(24) Decret (F.) et Fantar (M.), OP. Cit. p. 56.

والرومان • وفى حالة النزاع العسكرى تساهم المدن الفنيقية فى العمل الذى يستهدف حمايةالمصالح المشتركة (25) •

ولا ندرى أن تقبلت هذه المستوطنات السيادة القرطاجية بسهولة وطيب خاطر أم لا ؟ لكن المؤكد أن الظروف المستجدة فى حوض البحر الابيض المتوسط الناجمة عن التوغل الاغريقى الذى اكد وجوده بتأسيس العديد من المستوطنات فى جنوب ايطاليا — (ميتابونتة، ترنتة ، كروتون ، لوكريس ،بوسيدونيا) وصقلية (ماكسوس ، كتانيا ، سرقوسة ، ميقار ، سينونتة ، ريجيوم ، هيميرا ، جيلا ، اقريقنتة) وقورينة فى ليبيا حوالى (631 ق • م) وماساليا فى غالة حوالى سنة 600 ق • م ، وألاليا سنة 560 ق•م ، فى الساحل الشرقى لكورسيكا ، كما حاولوا النزول فى سواحل سردينيا (26)، مما شكل خطرا على فنيقى الغرب (27) •

ولم يكن الاغريق وحدهم وراء مخاوف فنيقيو — الغرب ، الذين كان عليهم الخوف أيضا من أطماع أهالى المناطق التى

---

(25) Decret (F.) et Fantar (M.), OP. Cit. 56-57;
Cavaignac (E.), la Constitution Punique en 218 Av. J. C. **revue des cours et conférences,** (1934 - 1935), p. 242.

(26) حول مواقع معظم هذه المستوطنات انظر الخريطة رقم 3 ص 49 .

(27) محمد ابو المحاسن عصفور ، المرجع السابق ، ص 71 .

الخريطة 3: المستوطنات الاغريقية والفينيقية في حوض البحر الابيض المتوسط.

يقيمون فيها (28) ، وأمام هذا الخطر المضاعف لم يكن بامكان هؤلاء الاعتماد على مساعدة « صور » التى انـتابها الضعف نتيجـة ضـربات الاشـوريين فـالفـرس قبل أن تخضـع للاسكندر المقدونى سنة 332 ق• م، وبذلك وجدت المستوطنات الفنيقية فى الغرب نفسها وحيدة فى مواجهة الاغريق والاهالى ، فاضطرت الى التحالف مع قرطاجة (29) •

3 ــ الصراع البونيقى ــ الاغريقى :

توجه الاغريق فى البداية الى المناطـق التى لم تكـن بهـا مستوطنات فنيقية ، مثل جنوب ايطاليا وكورسيكا وبلاد غالة ، وكذا برقة ، وهذا ابتداء من القرن الثامن ، بينما كان رد الفعل القرطاجى ، على مايفهم من بعض المصادر ، قد بدأ منذ القرن السابع بتأسيس المستوطنات (30)• ومحاولة الحد من النفوذ الاغريقى لكنهم أنهزموا فى معركة حوالى 600 ق• م أدى الى تأسيس هـؤلاء الاخيرين لمستوطنة ماساليا فى بـلاد غالة على

---

(28) دمرت العديد من المستوطات الفنيقية على السواحل الافريقية من طرف الفاروزيون والسكان السود القاطنين جنوب المغرب الاقصى الحالى على ما يذكر سترابون (3 , XVII) ،وهذا قبل رحلة حنون على ما يبدو، وربما من اجل الدفاع عن المستوطنات القديمة تدخلت قرطاجة فى سردينيا ، وعلى السواحل المتوسطية لافريقيا ، وكذا فى قادس التى هددها الايبريون .

(29) محمد ابو المحاسن عصفور ، المرجع السابق ، ص72 .

(30) يذكر ديودور الصقلى (16 , V) ان القرطاجيين اسسوا مستوطنة ايبيزا بعد مائة وستين سنة من تاسيس مدينتهم اى 654، وربما اقاموا ايضا فى باقى جزر البليار وهو ما يشـهد عليه ميناء (ماقون) فى جزيرة مينورقة .

مدخل الرون • وهو ما أدى الى حدوث تقارب بين القرطاجيين والاترورييين للوقوف فى وجه الاغريق (31) •

تمكن مالخوس من الانتصار على الاغريق فى صقلية حوالى سنة 550 ق• م ، واخضع قسما من الجزيرة قبل التوجه الى سردينيا حيث أنهزم ، لكن وصول العائلة الماقونية الى الحكم بعد مالخوس والتحالف مع الاتروريين أسفر عن هزيمة الاغريق فى معركة الاليا سنة 535 ق• م ، بكورسيكا (32)، وهو ما أوقف التوسع الاغريقى فى كورسيكا التى سلموها لحلفائهم بينما أحتفظوا بسردينيا التى اسنقروا فيها منذ منتصف القرن السادس وأسسوا فيها عدة مستوطنات (كراليس ، نورا ، سولكى ، تاروس)، وأقاموا فيها العديد من الافارقة (33) •

ظلت صقلية تشكل نقطة الصراع الحقيقية بين القرطاجيين والاغريق، وكان جيلون (Gelon) طاغية سرقوسة قد تحالف مع ثيرون (Theron) طاغية اقريقنتة، الذى

---

(31) نفسه •

(32) Heurgon (J.), Les Inscriptions de Pyrgi et l'Alliance etrusco-punique autour de 500 AV. **J.C , C.R.A.I et belle lettres,** (Janv. Juin 1965) p. 91; Pallotino (Massimo), Les relations entre les Etrusques et Carthage du VII au III è Siècle Av. J. C. Nouvelles données et éssais de périodisation; **C.T,** T. II, (1963) pp. 26-27.

(33) cf. Gsell (St), **H.A.A.N,** T. I, p. 424 et 428-29.

أستولى على هيميرا وطرد تيريلوس (Terillus) حليف قرطاجة ، وهو ماكان وراء تدخل هذه الاخيرة بعد أن استنجد بها ، فأبحر هاميلكار بن ماقون على رأس قوات معتبرة، وكانت معركة هيميرا سنة 480 ق • م ، التـــى انكسرت فيها قـــوة قرطاجة ، مما أدى الى تغييرات كبرى فى سياستها :

1 ـــ الانفصال النهائى عن الوطن الام •

2 ـــ التنكر (ما بين 475 ـــ 450 ق • م) للضـــريبة التى كانت تدفعها للاهالى وشرعت فى احتلال أراضى المغاربة ، بعد أن حدت المعركة من نفوذها البحرى (34) •

3 ـــ القيام بالرحلات البحرية الكبرى بحثـــا عـــن أراضى وأسواق جديدة ، فكانت رحلتا خميلكان (Himilko) على سواحل اسبانيا وفرنسا وكورنوال (Cornwal) ببريطانيا ، ورحلة حنون على السواحل الافريقية ـــ الاطلسية ، ويحتمل أنه وصل خليج غـــينيـــا (35) •

انقضـــت سبعين سنة قبل أن يتجدد النزاع بـــين البونيقيين والاغريق بسبب استنجاد مدينة سيجيستة (Segesta) بقرطاجة التى أرسلت جيشا الى صقلية سنة 409 بقيادة حنبعل ، والذى

---

(34) نفسه ، ص 463 ـــ 465 •

(35) CF. Merlin (A.) ,"La veritable portée du periple d'Hannon", **Journal des Savants,** (1944), app. 62-76; **Marcy** (G.) Le periple d'Hannon, J. A, (1943-45) pp. I-57; Gsell (St), H.A.A.N, T.I, pp. 468-528. Gsell (St), H.A.A.N, T.3, pp. 5-6

تمكن من اقتحام سيلينونتة (Selinonte) بعد حصار دام ستة أيام ، واستولى على هيميرا التى ضحى فيها بثلاثة آلاف أسير اغريقى فى المكان الذى قتل فيه جده (36) •

بعد هذه الحملة ، قامت حملة جديدة سنة 406 بقيادة حنبعل وخملكان بن حنون ، هاجمت مدينة اقريقنتة ، التى سقطت فى ديسمبر 406 بعد مقاومة دامت ثمانية أشهر، ودمرت وكثير من المدن الاغريقية فى جنوب الجزيرة ، لكن الطاعون أباد الجيش القرطاجى ، مما حال دون مواصلة قرطاجة لتوسعها ، فعقدت معاهدة سلم مع دونيسيوس ــ دونيس ــ السرقوسى (37) •

استغل دونيسيوس فترة السلم المؤقت فى تقوية أسطوله وتحصين سرقوسة قبل انهاء حالة السلم مع قرطاجة واخضاع موتيا (Motya) وتخريبها سنة 398 ، وظلت الحرب بين مد وجزر ، وتدخل الاسطول البونيقى بقيادة خملكان فهزم دونيسيوس فى معركة بحرية قرب كاتانيا ، ثم حاصره فى سرقوسة ، لكن هذا الاخير استطاع النجاة بعد انتشار الوباء فى صفوف الجيش البونيقى سنة 396 ق•م (38) ، ثم حدثت معارك بينهما سنة 393 ق•م وسنة 392 ق•م ، انتهت بعقد معاهدة نتج عنها اعادة الوضع الى ما كان عليه سنة 405 ق • م (39) •

---

(36) ديودور الصقلي XIII ، 54 ــ 62 ، قزال ، ج 3 ، ص 3 ــ 4 .

(37) Gsell (S), H.A.A.N, t. 3, PP. 5-6

(38) ديودور الصقلى XIV, 45 ــ 76 .

(39) نفسه ، 90 ــ 96 .

تم نقض المعاهدة سنة 383 ق•م وتواصلت الحروب بين الطرفين فيما بين سنة 382 ووفاة دونيسيوس خريف سنة 367 ، دون أن تكون حاسمة ، وكذا فى عهد تيموليون الكورنثى، الذى أحرز نصرا كبيرا على نهر كريميسوس (Crimisos) سنة 340 ، عقدت على أثره معاهدة سلم فى السنة الموالية تعيد الحدود الى نهرى « هيميرا » فى الشمال و « هاليكوس » فى الجنوب ، ولم يبق بذلك للقرطاجيين غير الجزء الشمالى الغربى من الجزيرة (40) •

كان على قرطاجة مع ذلك أن تستأنف الصراع مع سرقوسة فى أواخر القرن الرابع ، على اثر وصول أغاثوكليس الى الحكم سنة 317 ق•م واعلانه الحرب على قرطاجة • فبينما كان البونيقيون يسيطرون على كامل صقلية ، قرر هذا الاخير نقل الحرب الى افريقيا التى نزل بها سنة 310 ق•م برأس الطيب على رأس 14000 مقاتل ، واتجه نحو قرطاجه التى لم تتوقع الضربة ، وفى طريقه خرب الحصون والمزارع والحقول ، كما استغل الصراع الداخلى فى قرطاجة فى الاستيلاء على العديد من المدن مثل حضرموت، تابسوس ، أوتيكا وهيبو — دياريتوس • لكن على اثر عودته الى صقلية ، هزم القرطاجيون قواته التى تركها فى افريقيا تحت قيادة ابنه أرخاقاتوس (Archagatus) ولم تجن عودته الى افريقيا أية نتيجة فأبرمت قرطاجة معه معاهدة سلم سنة 305 ق•م احتفظت بموجبها قرطاجة بكل ممتلكاتها فى افريقيا وصقلية الى نهر هاليكوس ، بينما حصل

---

(40) انظر قزال ، ج 3 ، ص 13 — 16 •

تمكن من اقتحام سيلينونتة (Selinonte) بعد حصار دام ستة أيام ، واستولى على هيميرا التى ضحى فيها بثلاثة آلاف أسير اغريقى فى المكان الذى قتل فيه جده (36) .

بعد هذه الحملة ، قامت حملة جديدة سنة 406 بقيادة حنبعل وخملكان بن حنون ، هاجمت مدينة اقريقنتة ، التى سقطت فى ديسمبر 406 بعد مقاومة دامت ثمانية أشهر، ودمرت وكثير من المدن الاغريقية فى جنوب الجزيرة ، لكن الطاعون أباد الجيش القرطاجى ، مما حال دون مواصلة قرطاجة لتوسعها ، فعقدت معاهدة سلم مع دونيسيوس — دونيس — السرقوسى (37) .

استغل دونيسيوس فترة السلم المؤقت فى تقوية أسطوله وتحصين سرقوسة قبل انهاء حالة السلم مع قرطاجة واخضاع موتيا (Motya) وتخريبها سنة 398 ، وظلت الحرب بين مد وجزر ، وتدخل الاسطول البونيقى بقيادة خملكان فهزم دونيسيوس فى معركة بحرية قرب كاتانيا ، ثم حاصره فى سرقوسة ، لكن هذا الاخير استطاع النجاة بعد انتشار الوباء فى صفوف الجيش البونيقى سنة 396 ق•م (38) ، ثم حدثت معارك بينهما سنة 393 ق•م وسنة 392 ق•م ، انتهت بعقد معاهدة نتج عنها اعادة الوضع الى ما كان عليه سنة 405 ق• م (39) .

---

(36) ديودور الصقلي XIII ، 54 — 62 , قزال ، ج 3 ، ص 3 — 4 .

(37) Gsell (S), H.A.A.N, t. 3, PP. 5-6

(38) ديودور الصقلى XIV, 45 — 76 .

(39) نفسه ، 90 — 96 .

تم نقض المعاهدة سنة 383 ق•م وتواصلت الحروب بين الطرفين فيما بين سنة 382 ووفاة دونيسيوس خريف سنة 367 ، دون أن تكون حاسمة ، وكذا فى عهد تيموليون الكورنثى، الذى أحرز نصرا كبيرا على نهر كريميسوس (Crimisos) سنة 340 ، عقدت على أثره معاهدة سلم فى السنة الموالية تعيد الحدود الى نهرى « هيميرا » فى الشمال و « هاليكوس » فى الجنوب ، ولم يبق بذلك للقرطاجيين غير الجزء الشمالى الغربى من الجزيرة (40) •

كان على قرطاجة مع ذلك أن تستأنف الصراع مع سرقوسة فى أواخر القرن الرابع ، على اثر وصول أغاثوكليس الى الحكم سنة 317 ق•م واعلانه الحرب على قرطاجة • فبينما كان البونيقيون يسيطرون على كامل صقلية ، قرر هذا الاخير نقل الحرب الى افريقيا التى نزل بها سنة 310 ق•م برأس الطيب على رأس 14000 مقاتل ، واتجه نحو قرطاجه التى لم تتوقع الضربة ، وفى طريقه خرب الحصون والمزارع والحقول ، كما استغل الصراع الداخلى فى قرطاجة فى الاستيلاء على العديد من المدن مثل حضرموت، تابسوس ، أوتيكا وهيبو — دياريتوس • لكن على اثر عودته الى صقلية ، هزم القرطاجيون قواته التى تركها فى افريقيا تحت قيادة ابنه أرخاقاتوس (Archagatus) ولم تجن عودته الى افريقيا أية نتيجة فأبرمت قرطاجة معه معاهدة سلم سنة 305 ق•م احتفظت بموجبها قرطاجة بكل ممتلكاتها فى افريقيا وصقلية الى نهر هاليكوس ، بينما حصل

---

(40) انظر قزال ، ج 3 ، ص 13 — 16 •

أغاتوكليس على 150 وزنة أوبية ومائة ألف هكتولتر من القمح كتعويض على المناطق التى يتخلى عنها (41) •

استغلت قرطاجة الفوضى التى أعقبت وفاة أغاتوكليس سنة 289 ق•م فى محاولة فتح كامل صقلية ، وحاصرت سرقوسة التى استنجدت ببيروس (Pyrrhus) ملك ايبيروس (Epire) الذى فكر بدوره فى نقل الحرب الى افريقيا ، لكنه اضطر للعودة الى ايطاليا ربيع 275 ق•م (42) ، وهى الظروف التى استغلتها قرطاجة فى احتلال ليبارى والجزر الايولية ، وتقدمت الى ميلس ومسينا وكادت أن تبتلع صقلية عندما ظهر هيرون (Hieron) فى سرقوسة سنة 270 ق•م ، ووضع حدا للفوضى الداخلية، وهزم المامرتين • وعندما حاول التقدم نحو مسينا ، سبقه قائد الاسطول البونيقى ، ووضع حامية فيها سنة 268 — 269 ق•م (43) ، وباستيلاء قرطاجة على مسينا وروما على ريجيوم أصبحت الدولتان وجها لوجه •

4 — الصراع البونيقى — الرومانى (الحروب البونيقية) :

بعد دخول روما ريجيوم ، وانهزام المامرتين أمام هيرون سنة 269 ق•م ، استنجد الاخيرون بقرطاجة التى وضعت حامية لها

---

(41) نفسه ، ص 18 — 63 . اما حملة اغاتوكليس على افريقيا فقد وصلتنا عن طريق الكتاب العشرين من ديودور الصقلى فى الفقرات التالية : 6 — 8 ، 30 ، 33 — 34 ، 38 — 44 ،

(42) قزال ، ج 3 ، ص 64 — 65 .

(43) جوليان (شارل اندرى) ، المرجع السابق ، ص 94 .

فى مسينا ، لكن سرعان ما يئس المامرتيون من الوصاية البونيقية التى لا تسمح فى أراضى تحت مراقبتها بالفوضى والنهب ، فتوجهت سفارة ممارتيه الى روما سنة 264 ق•م ، لطلب العون ضد قرطاجة ، مما كان سببا فى اندلاع الحرب البونيقية الاولى (264 — 241 ق•م) التى مرت بأربع مراحل كبرى ، اكتفت روما فى المرحلة الاولى بالقتال فى صقلية لفرض الاعتراف بوجودها فى مسينا ، وأرسلت لذلك جيشا قوامه أربعين ألف جندى ، جعل هيرون حاكم سرقوسة وحليف قرطاجة يفكر فى التصالح مع الرومان ، الذين كانوا بدورهم مستعدين لذلك بهدف عزل البونيقيين فى الجزيرة (44) •

بتحالف هيرون مع الرومان ، تواصلت الحرب التى اكتفى فيها القرطاجيون بالتحصن فى مواقعهم فى غرب الجزيرة ، لكن الرومان الذين استولوا سنة 261 ق•م على مدينة اقريقنتة وجدوا أنفسهم فى حاجة الى الاسطول البحرى ، الذى لا يمكن بدونه مهاجمة المدن القرطاجية فى غرب الجزيرة ، كما كانت سرايا الاسطول البونيقى تحاصر المدن التى استولى عليها الرومان ، بل وتصل بنهبها حتى السواحل الايطالية (45) ، مما فرض على الرومان انشاء أسطول يتكون من مائة سفينة خماسية ، وعشرين سفينة ثلاثية ، صنعوها وفق نموذج خماسية

---

(44) cf. Combet - Farnoux (Bernard), Les guerres puniques, (coll. Que-sais-je ?), ed. P.U.F (Paris 1960), pp. 37-38

(45) نفســه ، ص 39 •

بونيقية ، ارتطمت بسواحلهم (46) ، زودوها بجسور الاصطدام التى تسمح بتحويل المعارك البحرية الى معارك برية باقتحام بواخر العدو (47) •

بانشاء روما للاسطول البحرى ربيع 260 ق•م تدخل الحرب مرحلة جديدة تتميز بتفوق الرومان ، اذ تمكن القنصل كايوس دويليوس (C. Duilius) من الحاق الهزيمة بالاسطول القرطاجى فى معركة ميليس (Myles) البحرية سنة 260 ق•م ، مما كان له تأثير معنوى كبير شجع الاسطول الرومانى على محاصرة « آلاريا » فى كورسيكا و « ألبيا » فى سردينيا ، ونهب جزر ليبارى وربما سواحل مالطة (259 — 258 ق•م) • (48)

وبعد انتصار أكنوموس (Ecnome) سنة 256 ق•م انفتح الطريق أمام الرومان الذين نزلوا بسواحل افريقيا ، وتقدم ريغولوس (Regulus) حتى قرطاجة التى اضطرت الى التفاوض بعد ثورة النوميديين وصعوبة التموين (49) لكن شروط

---

(46) جوليان (شارل اندرى) ، المرجع السابق ، ص 96 .
Palanque (Jean-Remy), "l'occident et la Repu blique Romaine **dans Histoire Universelle, T.I,** éd. Gallimard, (Paris 1956) P.. 894

(47) Loc. Cit.

(48) Combet-Farnoux (B), **op. cit.,** P. 42; Sainte-Marie (E. DE), sur la toponomie de la première guerre punique **Rec. de Const.,** T. 18, (1876-77), pp. 318; G. Ch. et C. Picard, **vie et mort de Carthage,** ed. Hachette (Paris 1970), p. 193.

ريغولوس القاسية جعلت القرطاجيين يفضلون الدفاع بالاستعانة بالمرتزق الاسبرطي كسانتيبوس (Xanthippus) الذى ساهمت تجربته العسكرية فى اعادة تنظيم الجيش البونيقي والحاق الهزيمة بالرومان فى ربيع 255 ق.م • وكان ريغولوس ضمن الاسرى (50) ، فاضطرت روما الى ارسال أسطول لسحب ما تبقى من قواتها بافريقيا والمقدرة بألفى رجل (51) ، هذا الاسطول الذى تمكن من تحقيق أكبر انتصار له فى كل الحروب فى هرمايوم (Hermaeum) (52) ، على اثر عودته من افريقيا ، لكن سرعان ما تفقد روما مزايا هذا الانتصار فى عرض مياه كامارينا (Camarina) حيث حطمت العاصفة هذا الاسطول (53)•

بفشل محاولة النزول فى افريقيا، تدخل الحرب مرحلتها الثالثة التى قررت فيها روما ، أمام استحالة ضرب قرطاجة فى عقر دارها ، احتلال المدن البونيقية فى صقلية • فجهزت لذلك أسطولا يتكون من 140 سفينة جديدة ، وبذلك أصبح أسطولها

---

(50) انظر هشام الصفدى ، تاريخ الرومان ، دار الفكر الحديث (لبنان 1967) ، ج 1 ، ص 156 •

(51) Combet-Farnoux (B), Loc. Cit.

(52) cf. Polybius, I, 36; Diodore de sicile, XXIII, 18; I Eutrope (F.) Abrégé de l'histoire romaine II, 22, 1 trad. N.A. Dubois, éd. Panckoucke (Paris 1943)

(53) Polybius, Loc. Cit; Gsell, H.A.A.N., VIII, 14; Eutropius, Loc Cit,

يتشكل من 290 سفينة ، بينما لم يتمكن البونيقيون من تجـديد أسطولهم ، فوقعت مدينة بالرمو فى يد الرومان (أواخر سنـة 254 ق•م) • وفى سنة 253 ق•م حطمت العاصفة الاسطـول الرومانى فى سواحل لوكانيا (Lucanie) أثناء عودته من حملـة نهب على السواحل الافريقية (54) ، فكان من المستحيل علـى الرومان احكام الحصار على ليليبايوم وطرابانى، ورغم تجهيزهم لاسطول يتكون من 120 وحدة سنة 250 ق•م ، فقـد تمكـن القرطاجيون ، بقيادة عزربعل (Adherbal) وقرثلون (Cartalon) سنة 249 ق•م من الحاق الهزيمة بالاسطول الرومانى بقيـادة بوبليوس كلوديوس أمام طرابانى فى السنة الموالية (55) •

كانت لمعركة طرابانى نتائج وخيمة على الرومان ، اذ هاجـم قرثلون الاسطول الرومانى المحاصر لليليبايوم واستطاع فـك الحصار عليها ، وعندما خرج لوكيـوس يونيـوس بولـوس (L. Julius pulus) بأسطول رومانى آخر من سرقوسـة لدعـم محاصرى ليليبايوم ، تحاشى الاشتباك مع وحـدات قرثلـون فتراجع الى سواحل كمارينا (Camarina) حيث حطمته العاصفة، واستعادت بذلك قرطاجة تفوقها البحرى من جديد (56) •

لم يستغل القرطاجيون انتصارهم باجبار الرومان المنحطـى المعنويات والقوة على السلم ، وانشغلوا بالتوسع على حسـاب

---

(54) cf. Gsell (St), H. A. A. N. T. 3, p. 93.

(55) Combet-Farnoux (B), op. cit., P. 44.

(56) cf Gsell (S.), H.A.A.N, t. 3, P. 95

الاهالى فى افريقيا ، وتركوا الحرب فى صقلية ، وهو ما مكن روما من بناء قوتها من جديد ، ودخلت الحرب ابتداء من سنة 247 ق٠م ، مرحلتها الاخيرة التى ستنتهى بانتصار الرومان فى معركة جزر ايغاتس (Aegates) فى العاشر من مارس 241 ق٠م، وأجبرت قرطاجة على توقيع معاهدة الاستسلام التى تتخلى بموجبها على صقلية والجزر الواقعة بينها وبين ايطاليا ، وكذا دفع غرامة حربية قدرها 3٠200 وزنة أوبية ، موزعة على عشر سنوات مع الحظر على قرطاجة تجنيد المرتزقة فى ايطاليا وعند حلفاء روما (57) ٠

بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، عجزت قرطاجة عن دفع أجور المرتزقة العشرين ألف الذين تجمعوا فى ضواحى سيكا على اثر عودتهم من صقلية (58) ، فثاروا ضدها ، كما ثار الليبيون الذين أضنتهم الحرب بقيادة ماتوس (59) ، وفى هذه الظروف ثار أيضا المرتزقة فى سردينيا ، مما تسبب فى استنجاد سكان هذه الجزيرة بروما التى استغلت الفرصة وفرضت معاهدة جديدة على قرطاجة سنة 238 تتخلى هذه الاخيرة بمقتضاها على جزيرتى سردينيا وكورسيكا مع دفع 1٠200 وزنة أوبية اضافية ، وبالمقابل سمحت لها روما بتجنيد جنود جدد من

---

(57) جوليان (شارل اندرى) ، المرجع السابق ، ص 96 ٠

(58) Polybius, I, 63; Cornelius Nepos, Amilcar II, 2

(59) Palanque (Jr), OP. Cit pp. 896-97.

ايطاليا وكذا التمون ، مما مكنها من القضاء على الثائرين سنة 237 ق•م (60) •

بعد القضاء على ثورة المرتزقة ، انتهجت قرطاجة نهجا سياسيا جديدا ، شرع على اثره آل برقة فى التوسع فى اسبانيا، بهدف تعويض ما فقدوه فى صقلية وسردينيا ، فاستغلوا مناجم سيرامورينا سنة 236 ق•م ، وهو ما مكنهم من دفع آخر تعويضات الحرب سنة 231 ق•م (61) •

وبعد تأسيس قرطاجنة سنة 227 ق•م ، تم عقد معاهدة الاييرو التى تعترف بموجبها روما بالسلطة القرطاجية على كل المناطق جنوب هذا النهر ، وبعد مقتل صدربعل سنة 221 ق•م، تولى حنبعل قيادة الجيش القرطاجى فى اسبانيا ، وكان استيلاؤه على مدينة ساغنتة سببا فى قيام الحرب البونيقية الثانية (62)•

الحرب البونيقية الثانية (218 — 201 ق•م) :

كانت روما تخطط لتسمير حنبعل فى اسبانيا بعد احتلاله لمدينة ساغنتة سنة 219 ق•م ، بتوجيه قوات الى افريقيا بقيادة تبيريوس سمبرونيوس لونجوس (Tib. Sp. Longus) فى الوقت

---

(60) حول ثورة هؤلاء الليبين انظر : شنيتى (محمد البشير) ، جوانب من علاقة الدولة القرطاجية بالمغاربة « المحتوى الوطنى لثورة الجنود الماجورين » (240 — 237 ق.م) ، مجلة التاريخ، العدد 4 (ابريل 1977) ص 15 — 30 .

(61) Gsell (ST), H. A. A. N., T 3, p. 129.

(62) ID. pp. 136-39.

الذى كان يقوم فيه بوبليوس كورنيليس سكيبيو
(P. Cornelius Scipio)
بمهاجمة قوات آل برقة فى اسبانيا (63) ويمنع بالتالى حنبعل من التحرك لنجدة قرطاجة أو العبور الى ايطاليا ، اذا افترضنا أن أعداءه كانوا على علم بنواياه (64) •

لكن يبدو أن الرومان لم يقدروا حنبعل حق قدره ، وكان قد دبر بدوره وسمر القوات الرومانية بايطاليا بنقل ميدان الحرب اليها ، فكانت بذلك ميادين الحرب البونيقية الثانية هى : ايطاليا واسبانيا وافريقيا (65) •

أ ـ الحرب فى ايطاليا : ترك حنبعل شقيقه صدر ـ بعل لحماية اسبانيا ، واجتاز جبال البرانس والالب على رأس خمسين ألفا من المشاة وتسعة آلاف من الفرسان وسبعة وثلاثين فيلا (66) ، ولم يكن اجتيازه هذا سهلا ، اذ تعرض لمضايقة ومقاومة سكان الالب الجبليين ، أضف الى ذلك بداية تساقط الثلوج ، مما حال دون مروره الا بصعوبات جمة ، وهو ما يفسر فقدانه لازيد من نصف قواته (67) ، اذ لم يصل الى البو (Pô)

---

(63) Polybius, III, 4, 61; Titus Livius, XXI 17,1;

(64) وفقا لبوليبيوس (111، 40) يكون الرومان على علم بعبور حنبعل انظر الخريطة رقم 4 ص 65 •

(65) حول مسار حملة حنبعل من اسبانيا حتى عودته الى افريقيا ، أنظر الخريطة رقم 4 ص 65 •

(66) ID. II. 2

(67) يذكر تيتوس ليفيوس XXI، 38، 5 ان حنبعل فقد عند اجتيازه الالب ستة وثلاثين الف رجل وعدد هائل من الخيول والحيوانات الاخرى •

من كل الذين غادروا معه قرطاجنة قبل خمسة أشهر غير عشرين ألفا من المشاة وستة آلاف من الفرسان وواحد وعشرين فيلا (68) ، بعد خمسة عشر يوما قضاها فى تلك الجبال (69) •

بعد أن فشل القنصل بوبليوس كورنيليوس سكيبيو فى وقف حنبعل فى اقليم الرون ، أرسل شقيقه كينيوس الى اسبانيا وعاد هو الى ايطاليا لمواجهة حنبعل ، لكنه انهزم فى معركة تيسينو (Tessin) فى خريف 218 ق•م وأصيب بجروح خطيرة (70)، كما انهزم زميله « تبيريوس سمبرونيوس » فى معركة تربيه (Trebie) فى ديسمبر 218 ق•م ، على أثر قدومه من صقلية لنجدة سكيبيو (71) ، وبذلك سيطر حنبعل على غالة قبل الالب (Cisalpine) حيث قضى فصل الشتاء •

وفى الربيع الموالى ، توغل حنبعل فى شبه الجزيرة الايطالية ، حيث كان جيشان فى انتظاره ، أحدهما فى أرمينوم (Ariminum) على ضفاف الادرياتيك بقيادة سرفيليوس والاخر فى أريتيوم (Arretium) باتروريا بقيادة فلامينيوس ، بهدف سد الطريقين المؤديين الى روما أمامه ، لكنه عرف كيف يخادع فلامينيوس وطوقه عند بحيرة ترازيمين (Lac Trasimène) ، وأهلكه وخمسة

---

(68) Polybius, III, 2, 56; Titus, XXI, 38, 5.

(69) Polybius, III, 2, 6.

(70) Polybius, Loc. Cit; Gsell, H.A.A.N., T. 2, P. 403 et t. P. 153

(71) لم ينج من هذه المعركة فى عشرة من قوات سمبرونيوس المقدرة بأربعين الف جندى بينما كانت خسائر حنبعل طفيفة على ما يذكر بوليبوس (III، 2، 74) .

الخريطة : 4 الحروب البونيقية .

المفتاح .

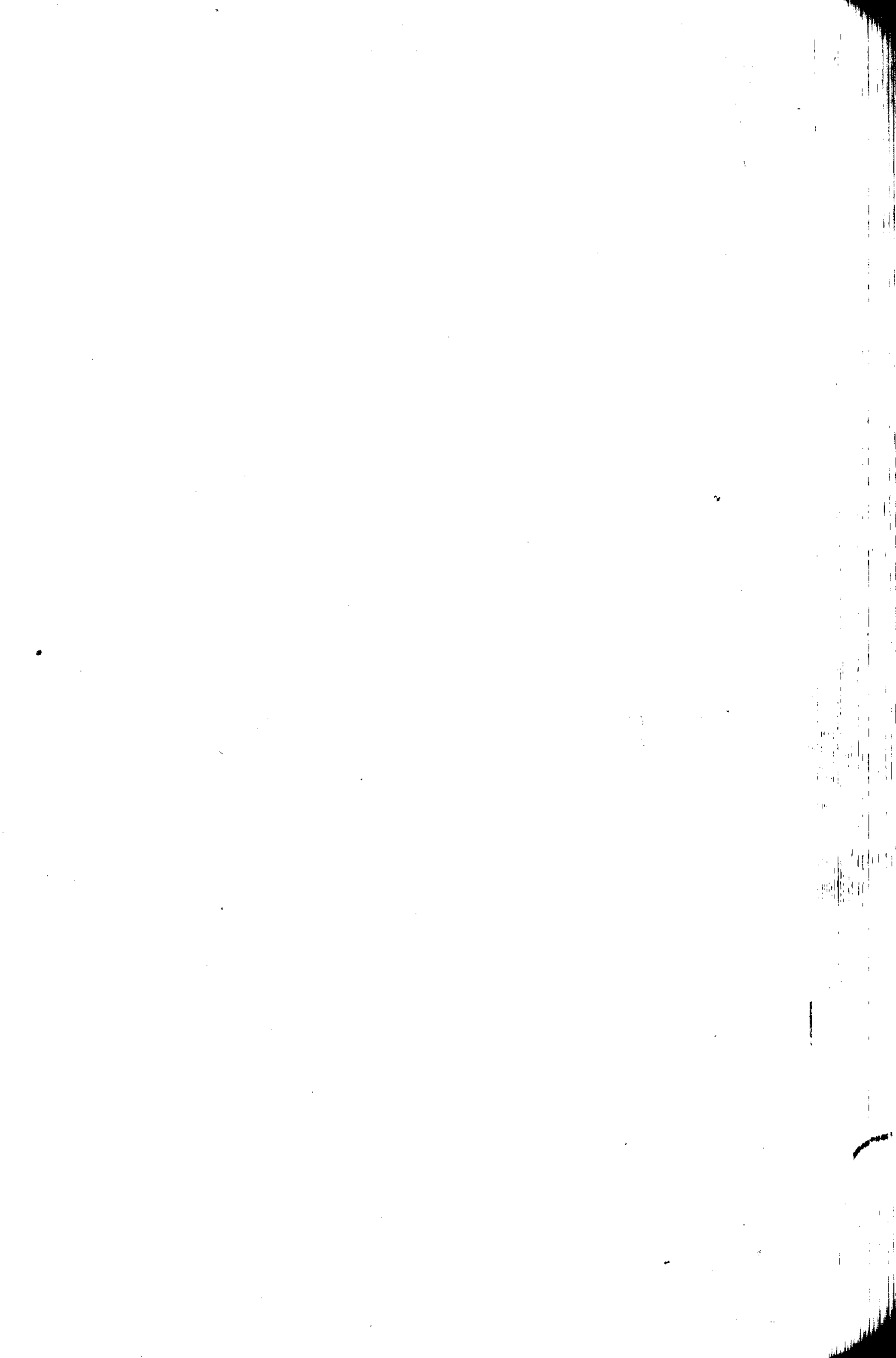
فتوحات آل برقة في إسبانيا

التدخل الروماني الأول

انتصار قرطاجة

انتصار الرومان

حملة سكيبيو



عشر ألفا من رجاله ، كما أسر عددا مماثلا فى الواحد والعشرين من يونيو سنة 217 ق•م (72) •

بعــد أن سيطر حنبعل على اقليم اتروريا ، استعدت رومــا للدفاع ، وعينت كنتوس فابيوس ماكسيمــوس « دكتاتورا » وعمل حنبعل على احباط أسلوبه « المتأنى » ، لكن ذلك لم يتأت له ، قبل تنحيته وتعيين لوكيوس ايميلوس باولوس وكــايوس ترنتيوس فارو ، اللذان اشتبكا معه فى معركة « كانة » فى الثانى من أغسطس 216 ق• م (73)، وأباد جيشهما المتكون من ثمانين ألفا من المشاة وستة آلاف فارس (74) ، مما جلب له بعــض الحلفاء على رأسهم مدينة « كابوا » وكذا كثيرا من مدن وســط وجنوبى ايطاليا التى انضم سكانها اليه ، مثل سكان البروتيوم وأبوليا ومعظم السامنتين واللوقانين ، لكن كان عليه أن يتخلــى من الآن فصاعدا عن السياسة الهجومية ، نتيجة عدم تلقيــه الدعم الكافى من قرطاجة (75) ، كما عجز فيليب الخامس عــن تقديم العون له ، أما صقلية فرغم انضمام خليفة هيرون الــى حنبعل سنة 215 ق•م ، فقد تمكن الرومان من احتلال سرقوسة سنــة 212 ق•م بعــد سنتــين من الحصــار ، رغما عن آلات

---

(72) Polybius, III, 84; Titus Livius, XXII, 7, 3.

(73) جوليان (شارل اندرى)،المرجع السابق ، ج 1 ، ص 103 .

(74) لم ينج من كل هذا العدد غير عشرة آلاف من المشاة ، كانــوا مكلفين بحراسة المعسكر على ما يذكر بوليبيــوس (III، 113، 117) بينما اهلك كل الباقى وعددهم سبعين الفا من المشاة مــن ضمنهم الفين فى المعسكر ، كما اسر البونيقيون 12.000 اسير: 10.000 من المشاة من ضمنهم 8.000 فى المعسكر .

(75) Combet-Farnoux (B), OP. Cit. p. 88.

أرخميدس الدفاعية ، وفى سنة 210 ق٠م وقعت كامل صقليـــة فى يد الرومان ، بعد استيلائهم على كابوا سنة 211 ، رغم تقدم حنعبل نحو روما بهدف فك الحصار عن كابوا ٠

ب ــ فى اسبـــانيـــا : بعد الانتصار البحرى الاول للاخوين بوبليوس وكينيوس سكيبيو عند مصب نهر الاييرو سنة 217 ق٠م ، واسترجاع ساغنتة والانتصار على صدر بعل سنـــــة 216 ق٠م ، الذى عجز عن الالتحاق بشقيقه فى ايطاليا ، وصل الرومان الى الوادى الكبير (Guadal quivir) ، وعقدوا حلفا مع سيفاكس ، ملك نوميديا الغربية ضد قرطاجة سنـــة 213 ق٠م (76) ٠

بعد هزيمة ووفاة الاخوين سكيبيو سنة 211 ق٠م والتراجع الى ما بعد الاييرو تحت الضغط البونيقى ــ النوميدى (ملـــك ماسنسان) ، أرسلت رومـــا بوبليوس كورنيليوس سكيبيو ــ سكيبيو الافريقى ــ الى اسبانيا سنة 210 ق٠م ، واستولـــى على قرطاجنة سنة 209 ق٠م ، وهزم صدر بعل الذى تمكن من الافلات بعد اشتباك عنيف مع سكيبيو سنة 208 ق٠م ، واجتاز جبال البرانس ، ووصل غالة التى قضى بها فصل الشتاء قبل أن يجتاز فى الربيع الموالى جبال الالب لدعم شقيقه (77) ، لكـــن الهزيمة كانت الى جانبه فى معركة ميتور يونيو ــ يوليـــو 207 ق٠م ، حيث لقى مصرعه ٠

---

(76) Decret (F.), Fantar (M.), OP. Cit., P. 89

(77) انظر جوليان ، المرجع السابق ، ص 104 ٠

بعد تلك الانتصارات انتصر سكيبيو أيضا على ماقون فى اليبا (Ilipa) سنة 206 ق•م وتوغل الرومان فى اسبانيا الجنوبية ، واستولوا على قادس (78) ، وفر ماقون بأسطوله سنة 205 ق•م الى جزر البليار قبل أن يلتحق «بجنوة» لاثارة الليقوريين والغاليين ضد روما، وبذلك لم يبق من فتوحات آل برقة فى اسبانيا شيئا ، وعاد سكيبيو الى روما حيث انتخب قنصلا ، وبدأ يحضر للحملة على افريقيا (79) •

ج ــ فى افريقيا :فى الوقت الذى ظل فيه حنبعل فى البروتيوم بجيش يتقلص شيئا فشيئا ، قبل الاكتفاء بكروتون والبلاد المجاورة ، نزل سكيبيو فى ضواحى أوتيكا سنة 204 ق م ، وكانت انتصاراته سنة 203 ق م وراء طلب قرطاجة من حنعبل العودة للدفاع عن وطنه (80) •

نزل حنعبل فى صائفة 203 ق م بلمطة ، ومنها توجه الى حضرموت التى أعد بها العدة للمعركة الفاصلة فى زاما (19 اكتوبر 202 ق م) (81) ، لكن الهزيمة هذه المرة كانت الى جانبه ، وفقد فى المعركة أزيد من عشرين ألف قتيل وعدد مماثل

---

(78) Gsell (ST), **H.A.A.N.**, T. 3, pp. 168-169.

(79) ID., P. 170.

(80) Cambet - Farnoux, **OP. Cit.** p. 99.

(81) cf. Winkler (A), Bataille de Zama 19 oct. 202 AV. J.C, **B.S.G.O**, T. 16 (1894), PP. 17; Saumagne (Ch), La Manœuvre de Zama, **C.T.**, T. 10, (1961), P. 373-390.

من الاسرى (82)، مما اضطرت قرطاجة الى القبـول بشروط معاهدة زاما 201 ق م، التى لا تنتهى وجودها كقوة بحـرية فى البحـر الابيض المتوسط ، فحسب بـل حتى كدولة سيدة على أراضيها فى افريقيا ذاتها •

الحرب البونيقية الثالثة 149 — 146 ق م :

استغل مسينيسا بندا من بنود معاهدة زاما الذى يخول لـه استرجاع ممتلكاته وممتلكات اسـلافه فى التوسع على حساب قرطاجة (83) ، التى ضاق صبرها، وردت الفعل ، وهو ماكان وراء التدخل الرومانى سنة 149 قم ، بدعوى خرق قرطاجـة لبند من بنود معاهدة زاما التى تحضر عليها اعـلان الحرب فى افريقيا أو اخرجها الا باذن من روما (84) ، فارسلت جيشـا قوامه 80•000 رجل من المشاة وحوالى 4•000 فارس ، فى بداية ربيع 149 قم بقيادة القنصلين ماركوس مانيليوس ولوكيوس ماركيوس كونسورينوس (Consorinus) تولى الاول قيادة الجيوش البرية والثانى البحرية (85) •

(82) Polybius, XV, 14, 9.

(83) حول توسعات ماسينيسا على حساب قرطاجة أنظر : محمد الهادى حارش ، التطور السيـاسى والاقتصادى فى نوميديا منـذ اعتلاء ماسينيسا العرش الى وفاة يوبا الاول (203 — 46 ق م). — رسالة ماجستير (جامعة الجزائر 1985) •

(84) cf. Saumagne (Ch), Pretextes Juridiques de la 3ème Guerre Punique, Rev. Historique, T. 167, (1931); pp. 225-253. et T. 167 (1931) pp. 1-42 repris dans C. T. , T. 10, (1962) pp. 301-371.

(85) cf. Gsell, H.A.A.N., T. 3 p. 343.

أعلن القرطاجيون عن استعدادهم لقبول كل شروط الرومان، وقدموا كضمان لذلا 300 شاب قرطاجي كرهائن ، وبعد أن تسلم القنصلان 200٠000 درع و2٠000 منجنيق واحـــرقا المراكب القرطاجية، صرحا بشرط روما القاضي بتخلي القرطاجيين عن مدينتهم ، وبناء مدينة جديدة على بعد خمسة عشر كيلومترا من البحر، فرفض القرطاجيون هذا الشـــرط ، وقرروا القتـــال ، وتمكنوا بما بذلوه من جهـــود الصمود في وجه قناصلـــة سنتي 149 — 148 ق م ، مما دفع روما الى تعيين سكيبيوا يميليانوس قنصلا لسنة 147 ق.م، رغم صغر سنه، وتمكن من الاستيلاء على المدينة التي دمرها عن آخرها سنة 146 ق م، وباع سكانها في اسواق النخاسة (86)، وبذلك تنطفيء هذه المدينة التي حكـــم عليها بالاعدام بعد الحرب البونيقية الثانية ، وتحولت أراضيها الى مقاطعة رومانية سنة 146 ق م، بعد اشعـــاع دام زأيد من ستة قرون ونصف (814 — 146 ق م)٠

(86) انظر جوليان (شارل اندرى)، المرجـــع الســـابق ، ص 142 — 145 .

الانظمة السياسية والاجتماعية والدينية

1 ـ الانظمة السياسية : لا نعرف الانظمة السياسية القرطاجية فى القرون الاولى من تاريخها ، ويبدو أنها كانت شبيهة اذا لم تكن كلية ، فعلى الاقل فى اجزائها الاساسية بأنظمة «صور» ، وانطلاقا من ذلك يمكننا القول أن قرطاجة كانت ملكية فى البداية ، رغم أن التاريخ لم ينقل الينا اسم اى ملك قرطاجى قبل القرن الخامس قبل الميلاد ، وفى أوائل هذا القرن يكون هاميلكار بن حنون قد وصل الى « الملك » نتيجة قيمته ، اعتمادا على ما يذكر هيرودوتس (87)، وهو ما يفهم منه، أن تعيينه لم يكن وراثيا، وانما كان بالاختيار • وقد أشار يوستينوس الى وجود مجلس الشيوخ ومجلس الشعب منذ منتصف القرن السادس (88) •

فى النصف الثانى من القرن السادس والنصف الاول من القرن الخامس سيطرت العائلة الماقونية طيلة ثلاثة أجيال (ماقون نفسه، أبناه: صدربعل وعملكار، أبناء صدربعل الثلاثة : حنبعل صدربعل ، سافو ، وابناء عملقار الثلاثة : خميلكان ، حنون ،

---

(87) هيرودوت ، VII ، 165 — 166

(88) Justin, XVIII, 7, 17 et 16.

جيسكون)• وربما كان هؤلاء ملوكا أو على الاقـل هو اللقـب الذى حمله بعضهم: عملقار عندما قاد الحملة على صقلية سنـة 480 ق م، وكذا حنون الشهير برحلته (89) •

على اثر القضاء على السيطرة الماقونية فى منتصـف القرن الخامس ، ظهر مجلس المائة المختار ضمن أعضاء مجلس الشيوخ، والذى يكون بمثابة محكمة يمتثل أمامها القادة بعد كـل حرب لتقديم عرض عن أعمالهم ، وبذلك سيطرت الارستقراطية فعليا على الحكم (90) •

وابتداء من القرن الرابع يقدم لنا أرسطـو أوفى المعلومات وربما أدقها حول المؤسسات السياسية القرطاجية قبل الحروب البونيقية، والتى يمكننا ايجازها فى المؤسسات التالية :

أ ـ الشفطان : السلطة العليـا فى قرطاجـة كانت فى يـد الشفطين أو الملكين كما يعرفون أحيانا ، وهو ما جعل أرسطـو يشبههم بالملكين فى اسبرطة أو القنصلين فى روما ، والمؤكـد فى نظر قزال أن الاشفاط فى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد كانوا يمارسون وظيفتهم لمدة سنة واحدة، ويشك فى استمرار حكم هؤلاء لفترة أطول فى العصور السابقة (91) •

---

(89) La peyre (G.), Pellegrin (A.), OP. Cit., P. 16

(90) ارسطـو ، 8, II •

(91) Gsell, H.A.A.N.,T. 2., p. 197.

ويفهم من أرسطو أن الشفطين لا يختاران من نفس العائلة، وانهما كانا ينتخبان ، لكن دون أن يقول لنا كيف. ويلاحظ اختيار القادة فى نفس الوقت الذى يختار فيه الشفطان، ونحن نعلم أن القادة فى القرن الثالث ينتخبهم الشعب مثل حنبعل سنة 196 ، وعليه ربما كان الشفطان أيضا من انتخاب الشعب، ويضيف أيضا أرسطو أن الشفطين لا يؤخذان من أية عائلة ، واذا كانت السن غير مشروطة فان الثراء والقيمة الشخصية كانتا تؤخذان بعين الاعتبار (92) .

كانت مهمات الشفطين هامة، وان كنا لانعرف كيف يتقاسمانها، فاليهما يعود استدعاء مجلس الشيوخ ورئاسته، يحددان له جدول الاعمال ، وكذا بالنسبة لمجلس الشعب (93) ، يقودان الجيوش البرية والبحرية، كما كانت لهما مهمات قضائية على ما يفهم من اللقب «شفط = قاضى» وهي المهمات التى احتفظوا بها حتى أواخر أيام قرطاجة على ما يفهم من تيتوس ليفيوس (94) .

ب ـ مجلس الشيوخ : كان يساعد الشفطين مجلس يتكون من ثلاثمائة عضو يختارون ضمن الطبقة الارستقراطية مدى الحياة ، وكانت بيد هذا المجلس ادارة كل

---

(92) Aristote, la politique ou la science des gouvernements, (2. vol), trad. du Grec par Champagne éd. Bailleue, (Paris 1797), II, 8.
cf. Lapeyre (G.) Pellerin (A.), OP. Cit., p. 164

(93) ارسطو، السياسة 3, 9, II . ؟ تيتوس ليفيوس ، III XXX 7, 5, 46 2, 47

(94) تيتوس ليفيوس XXX ، 61، 14 — 15 ؟ يوستينوس، XIX 2 ، 5 .

الشؤون العمومية ، فهو الذى يقرر السلم أو اعـلان الحرب ، وهو الذى يولى ويعزل القادة ، بامكانه أن يداول فى لجان سرية حول مصالح الدولة ، ونشر نتائج التصويت (95) ، وهو الذى يسميه أرسطو (Gerousia) •

ج ــ مجلس الاربعة ومائة : يلى مجلس الشيوخ في الرتبة ، ينتخب أعضاؤه حسبما أظهروه من استحقاق ، ومكلفون بمراقبة الملوك والقادة وكل الحكام (96) •

كان هذا المجلس ينتخب مـن الهيئات الخماسية التى كـان أعضاؤها لا يتلقون أجرة ويتولون مهمات عديدة وهامة ، جعلت قزال يرى فيها لجان أو هيآت من خمسة أعضاء تشكل ما يشبه لجان دائمـة لمجلس الشيـوخ ، مكلفة بالمسائـل الادارية أو السياسية التى تدخل فى دائرة اختصاصه (97) •

د ــ الشعب : كان علـى الشعب أن يساهم بقسـط وافر في المسائل العامة منذ القرن السادس ، لكن لكى يسمح له بالاشتراك فى المجالس العامة لابد أن يتوفر على بعض الشروط ، كأن يكون حرا من والدين قرطاجيين أو ملحقـين بالمدينـة فى شكـل من التجنس ، يبلغ سنا معينا ، ويملك حدا أدنى من المداخيل • لكن يفهم من أرسطو أن مشاركة الشعـب فى السلطة كانـت نادرة

---

(95) Polybius, I, 31, III, 33; J;ustin, XXII, 3.

(96) ارسطـو ، 2 ، 8 ، II

(97) Gsell, H. A. A. N, T. 2, PP. 209 - 210

ما دام لا يلجأ الى استشارته الا في المسائل المختلف حولها بين الشفطين ومجلس الشيوخ (98) •

هـ ـــ الجمعيات : يشير أرسطو أيضا الى وجود جمعيات سياسية ودينية تقيم مآدب جماعية ، تجتمع عادة للمداولة فى مسائل الدولة والتشاور في شأن المجالس الشعبية ، وتجتمع ليلا ، وكانت تلعب دورا سياسيا ودينيا هاما (99) ، وهى التى تعرف بالاخويات (Les Confreries) (Hetairie) (100) •

فى القرنين الاخيرين من حياة قرطاجة ، جدت أحداث كثيرة ، لا شك أنها أثرت على المؤسسات السياسية ، فبوليبيوس لا يتحدث اطلاقا عن الهيئات الخماسية ولا عن مجلس الاربعة ومائة الذى ينتخب من طرفها • وبالمقابل ذكر مؤسستين يبدو أن أرسطو لم يعرفهما وهما SYNCLETOS (101) و SYNEDRION

---

(98) ارسطو ، السياسة ، II, 8 ؛ قزال ، ج 6 ، ج 2 ص 224 — 225 ، 230 .

(99) cf. Mommsen (Th), **Histoire Romaine,** (8 vol.) trad. Alexandre, ed. Herold (Paris 1863-1872 T. 3, P. 23.

100 حول هذه الاخويات انظر :
Seston, Des portes de Dougga à la constitution de Carthage R.H, (1967), p. 279.

(101 يتكون ربما مثل السينا الرومانى الذى يسميه بوليبيوس احيانا (Syncletos) من الموظفين السامين مثل الخازنين (questeurs) والقضاة Préteurs والقناصل ، بينما ظل (Gerousia) مجلسا للشيوخ •

(102) لكنه ، وهو يقارن مؤسسات اسبرطة وروما بمؤسسات قرطاجة يلاحظ أنها تتشابه ، ويذكر ثلاث سلطات سياسية في المدينة الافريقية :

1 ــ السلطة العليا : اختفى الشفطان ، لكن اسميا فقط لان آل برقة كانوا في الواقع ملوكا ، فصدر بعل وحنبعل كانت لهما سلطات ملكية ، بل نجد كورنيليوس نيبوس يعطى لهذا الاخير لقب « الملك » (103) •

2 ــ مجلس الشيوخ : ظل قائما ، لكن سلطته تقلصت أمام تزايد قوة الشعب ، وقد ميز كافينياك نوعين من السينا : مجلس شيوخ مضيق (Sensu) ومجلس شيوخ بكل ما تعنيه الكلمة ، الاول يتكون من الشيوخ وهو الذى يظهر عادة فى المفاوضات الخاصة بالسياسة الخارجية ، اعلان الحرب ، ومعاهدات السلم الخ •• (104) •

3 ــ مجلس الشعب : يفهم من بوليبيوس أن صلاحيات هذا المجلس زادت على ما كانت عليه ، وأصبح يستشار عادة ، لكن مع ذلك يعتقد كافينياك أن الطبقة الدنيا من الشعب كانت مبعدة (105) •

---

102 Synedrion : اعتبره البعض بمثابة احتماع Gerousia و Syncletos للمداولة مما حول شؤون الدولة ، وفيه كانت تتم المداولات الاكثر خطورة ، فهو مثلا الذى اعلن الحرب البونيقية الثالثة .

(103) Cornelius Nepos, Hannibal, VII. 4.

(104) Cavaignac (E), OP. Cit. p. 240.

(105) Cavaignac (E), OP. Cit. p. 241.

اضافة الى هذه الهيئات كان هناك مجلس الثلاثين الذى كانت مهامه الادارية تتعلق بفرض الضرائب والادارة المالية ، ومجلس العشرة الذى يتولى شؤون المعابد ومسائل العبادة •

2 — لانظمة الاجتماعية :

اذا كانت معارفنا عن الانظمة السياسية فى قرطاجة قليلة، فان معارفنا عن النظم الاجتماعية أقل ، لكن المؤكد أن المدينة من تأسيس صوريين ، وأنه قدم ربما مع المعمرين الفنيقيين بعض القبارصة كما تشير الى ذلك الاسطورة (106) ، كما عرفنا من خلال النقوش أن سكان صيدا وأرواد قد استقروا بها في فترات متلاحقة (107)،اضافة الى الاهالى الذين جلبتهم خيرات المدينة، وفى العصور اللاحقة جلب العديد من العبيد من مناطق مختلفة ، كما وصلها أخيرا التجار والحرفيون من صقلية وايطاليا وبلاد الاغريق (108) •

نجد في قرطاجة تمييزا واضحا بين الطبقات • فى القمة نجد الارستقراطية المبنية على الثراء ، وكانت تسيطر واقعيا على الشؤون العامة ، يليها عامة الشعب الذى كانت له حقوق سياسية معتبرة ، لكن عمليا هذه الحقوق وهمية ما دام المال كان يلعب دورا أساسيا في الانتخابات ، أما فيما يخص العبيد ، فكان

---

(106) Justin, XVIII, 5. 1-5.

(107) cf. Gsell, H.A.A.N., T. 4, p. 171, n° 6 et 7.

(108) Gsell (St), H.A.A.N , T. 2, p. 22; ID., T.4, p. 172.

عددهم كبيرا ، ونجدهم فى كل مكـــان : فى الورشات وفى دور التجارة وفي الاسطول البحرى وفى الادارة العامة ، وخاصة فى أعمال الفلاحـــة عند الاثريـــاء ، ولا يتمتعون بأيـــة حقـــوق سياسية (109) •

حول عدد سكان قرطاجة ، يصعـــب علينا ان لم نقل يستحيل اعطاء أى رقم نتيجة انعدام الوثائق ، أما ما يقوله سترابون من أن قرطاجة كان يسكنها سبعمائة ألف ساكن فهو لا يؤخـــذ بـــه (110) • وكل ما يمكننا قوله أن قرطاجة كانت مدينة كبيرة آهلة بعدد معتبر من السكان •

3 ــ الحيـــاة الدينيـــة :

مما لا شك فيه أن الديانة كانت تحتل مكانة هامة في الحيـــاة العامة والخاصة للقرطاجيين ، فالاسماء التى يحملونها تدل على ذلك : شافوط ــ بعل ، أى قضـــى بعل • حنبعـــل ، أى حظى بحظوة بعل • ــ موتوم ــ بعل ، أى هبة ــ بعل • عبد شمون ، أى خادم أشمون • عبد ملقرت ، أى خادم ملقرت (111) .

اذا كنا لا نشك في أن المهاجرين الفنيقيين قد واصلوا عبـــادة آلهة فنيقية ، وحافظوا لمدة طويلة نسبيا على العادات الدينية الفنيقية ، فاننا لا نشك أيضا فى أنهم سرعـــان ما تبنوا آلهـــة

---

(109) cf. Gsell (St) . H.A.A.N. T. 2, p. 226.

110 انظر جوليان (شارل اندرى) ، المرجع السابق ، ص 107 .

(111) cf. Gsell (St), H.A.A.N . T.4, p. 221-22.

محلية • ويمكننا اعتمادا على الالواح النذرية اعتبار تانيت وبعل حمون المعبودين الرئيسيين للقرطاجيين ، ولم نعثر اطلاقا على اسم تانيت فى نقوش المدن الفنيقية فى الشـــرق ولا على بعل حمون ، مما يؤكد ما أشرنا اليه فى نظرنا (112) ، اضافة الى بعل حمون وتانيت نجد الاله ملقرت اله صور الذى كانت قـــرطاجة ترسل الى معبده فى صور كل عام هدايا معتبرة (113) ، كما عبدت عشتارت فى قرطاجة وكذا الاله أشمون أصيل فنيقيا • تعد تلك المعبودات اذن المعبودات الرئيسيـــة في قرطاجة تأتـــى بعدها معبودات أخرى ثانوية عديدة منهـــا :

بعل شمين (Baal Shamin اله السماوات ، وبعل ادير (Baal-Addir) وسكون (Sakkon) ، وكافون Cafon ، وشادرابا (Shadrapa) ، وميسكا (Miska ، وأراش (Aresh) ، وبعل — حـــداد الـــخ •••

المعـــابـــد :

لا يستبعد أن تكـــون للقرطاجيين في المرحلـــة الاولى كهوف مقدسة أو بعض المرتفعات المقدســـة ، وفى المراحـــل اللاحقـــة أصبحت المواقع المخصصة للعبادة فى المناطـــق السهلية تقام فى الهواء الطلق ، محاطة بأسوار خشنـــة ، وسطها مكـــان تقديم

112 انظر محمد الهادى حارش ، حول أصول عبادة بعل — حمون فى قرطاجة ، مجلة الدراسات التاريخية ، العـــدد 3 (1987) ص 9 — 12 .

(113) Dureau de la Malle, «Carthage» dans afrique Ancienne, ed. Firmin Didot (Paris 1842), (2vol.), t. 1, P. 139

الاضاحى ، فيما بعد أصبحت توضع لهذه المساحات أبواب مع بناء فى الوسط مبنى صغيرا كمسكن للاله ، قبل أن تتحول الى معابد فى شكل المعابد الاغريقية (114) .

كانت المعابد القرطاجية الاولى خالية من التماثيل ، أما بالنسبة لتماثيل ساتورنوس وهرقل وأبولون التى يذكر المؤرخون القدامى وجودها في المعابد القرطاجية ، فهى تعود الى فترة حديثة نسبيا ، وربما اكتفى القرطاجيون في بداية الامر بتمثيل بعض أجزاء الجسم الاكثر تعبيرا : الاذن ، العين ، الفم ، اليد التى نجدها عادة على الالواح النذرية ، وهى اشارة الى أن تانيت وبعل قد سمعا واستجابا لدعوة الداعى وباركاه (115) .

الكهنوت :

انتدب الى المعابد عدد من الكهنة والكاهنات الموضوعين تحت ادارة كبير الكهنة ، الذى يحمل اسم « رب كوهنين »(116)، ربما ينتمى هؤلاء كما هو الشأن في صور الى الارستقراطية الكبرى ، ويفهم من بعض النقوش أن المناصب الكهنوتية كانت وراثية ، على الاقل فيما يخص كبير الكهنة (117) .

ورغم الاعتبار الكبير الذى كان يتمتع به الكهنة فى قرطاجة ،

---

cf. Lapeyre (G.G.), Pellegrin (A.), OP. Cit. (144)
pp. 140-141.

115 قزال ، ج 4 ، ص 417 — 419 .
116 نفسه ، ص 397 .
117 نفسه ، ص 398 .

فانه لم يكن لهم أى دور سياسى ، وخلافا لما كان معمولا به فى روما فالكهنة فى قرطاجة كانوا يتزوجون (118) •

أثناء المراسيم كانوا يلبسون زيا خاصا : قلنسوة (طاقية) وثوب من الحرير وجلباب طويل مزخرف وسط لفافة أرجوانية •

العبـــادة :

يمكننا الاعتقاد بوجـــود فى قرطاجة العديـــد من الاحتفالات الدينية فى السنة ، تقع في تواريخ معلومة ، وهو ما تسمح بـــه بعض النصوص والنقوش • يذكر سالوستيوس أن سكان باجة قتلوا الحامية الرومانية التى تركهـــا ميتيلوس في المدينـــة يوم « احتفال يبجل فى كامل افريقيا بالالعاب واللهو » • (119) ، كما عثر على نقشين فى دوقة يشيران الى « اليوم السعيد والمبارك » والمعروف أيضا هو انتشار الاضاحى البشرية فى قرطاجة والتى تحدثت عنها العديد من النصوص (120) • وقد استمرت هـــذه العادةحتى الفترة الرومانية على ما يفهم من ترتوليانوس (121)•

لم تكن الاضاحى البشرية وحدها المقدمة ، بل نجد الاضاحى

---

118 نفسه ، ص 399 .

119 سالوستيوس ، حرب يوغرطة ، ترجمة محمد الهادى حارش ، لافوميك (الجزائر تحت الطبع) .

120 Tertullien, Apologeticum, 9, trad. Degenoude (Paris 1852); Saint-Augustin, la Cité de dieu, VII, 26 trad. P. Labriole et J. Perret, éd. classique Garnier (Paris 1949)

(121) Minucius Felix, vie d'octavius, XXX, 3; Diodre de Sicile, —III, 86; —V, 24; Herodoter, VII 167; Polybius, III, 2.

الحيوانية والطيور ، وهناك العديد من النقوش التى تعود الى القرنين الخامس والرابع ، تذكر الحيوانات المضحى بها فى معابد قرطاجة ، وهى : الثيران والعجول والوعول ، وكباش وخرفان وتيوس ونعاج وخيول ، وديكة وغيرها (122) ، وحتى الهبات غير الجارحة : بواكير الفواكه والزيوت والحلويات والحليب •••

عــادات الدفــن :

اذا كان القرطاجيون لا يعبدون الموتى مثلما هو شأن بعض الشعوب القديمة ، فانهم اهتموا بدورهم بتوفــير لهم قبــور مشرفة • وفى حالة وفاتهم في الخارج كانوا يعملون على جلــب رفاتهم الى الوطن الام (123) •

من المؤكد أن القرطاجيين كانوا يؤدون مراسيم جنائزية على قبور موتاهم ، سواء أثناء عملية الدفن أو بعدها • ربما هو مــا يشير اليه أبيانوس من أن أولياء الميت يأتون لتقديم الاضاحى بعض الايام ، وهو ما قد يسمى بالولائم المأتمية التى توحى بها النصب القرطاجية • هذه الأضاحى لم تكن على شرف الميــت ، لكن على شرف الاله الذى عليه أن يحمى الميت الممثل على نصب واليد مرفوعة ، أى فى وضعية الترجى والتعبد (124) •

أما بالنسبة للقبور ، فهى عبارة عن بيوت تحتية فيما بين القرن الثامن والسادس • ففى المدخل نجد عادة بابا أحادى الحجر ،

---

122 انظر قزال ، ج 4 ، ص 414 — 416 •

(123) Decret (F.) Fantar (M) , OP. Cit. p. 50.

(124) Lapeyre (G.G) et Pellegrin (A), OP. Cit. pp. 151-152.

ثم غرفة أطرافها مبنية من كتل معدة بدقة والسقف مغطى بحجر طويل ، والكل مغطى ببلاطات واسعة مسنمـــة تشكل السقف . ولم تعد تبنى القبور فى بداية القرن الرابع ، وانما أصبحت تحفر في شكل آبار امتد بعضها حتى أعماق كبيرة ما بين أربعة وستـــة أمتار عامـــة ، ووصلت حتى اثنـــين وعشرين متـــرا في بعض المواقـــع (125) .

هذا عند عامة الناس ، أما الارستقراطية فقـــد كانت تبنـــى لامواتها أضرحة فى شكل ضريح دوقة على ما يفهم من أبيانوس ، ويبدو أن توجيه القبور كان يرتبط بوضعية الارض (126) .

---

125 حول القبور القرطاجية انظر قزال ، ج 4 ، ص 428 — 433 .

(126) نفسه، ص 434

الحيـــاة الاقتصـــاديــة

1 ـ التجـــارة :

المؤكد أن التجارة لعبت دورا أساسيا فى الحياة الاقتصادية لقرطاجة ، وعلى هذا الاساس عملت دائما على احتكار الاسواق وابعاد المنافسين سواء بالقوة أو بتنظيـــم المعامـــلات بواسطة معاهدات تشترط فيها بعض المزايا (127) •

هذه السياسة اتبعها القرطاجيون فى كـــل مراحل تاريخهم • منذ البداية كان هدفهم هو ضمان احتكـــار التجارة في البحـــر المتوسط ، وهو ما توصلوا اليه تقريبا فى القرن الرابع ، اذ نعرف من خلال بوليبيوس أن القرطاجيين منعوا على الرومان التعامل مع سواحل المتوسط الواقعة الي الغرب من خليج قرطاجة منذ المعاهدة الاولى التى عقدوها مع روما أواخـــر القرن السادس (509 ق•م) (128) •

فى المعاهدة الثانية (348 ق•م) تجدد المنـــع ووسعـــوا من رقعته ليشمل المنطقة الواقعة الى الغرب من الـــرأس الطيب في

---

(127) cf. Gsell , **H.A.A.N.**, T. 4, p. 115-122.

(128) cf. Polybius, III, 22 11, 13; Aymard (A.) «Les premiers traités entre Rome et Carthage», **R.E.A** T. 59, (1957) pp. 277-293.; Heurgon «Les Inscriptions de Pyrgi et l'Alliance Etrusco-Punique autour de 500 Av. J. C. **C.R.A.I.**, (1965) pp. 89-104; Pallotino (M), «Les Relations entre les Entrusques et Carthage du VIIè au IIIè Siecle Av. J. C», **C.T.** T. II, (1963) pp. 23-29.

محور سردينيا واسبانيا وليبيا ، حيث حظر على الرومان التعامل تجاريا وانشاء مدن (129) • وهكذا تمتع القرطاجيون باحتكار التجارة في كل الحوض الغربى للمتوسط حتى فقدانهم لسردينيا (237 ق•م) واسبانيا ومستوطناتهم الى الغــرب من قرطاجة سنة (206 ق•م) (130) •

اعتمد القرطاجيون ، ولمدة طويلة ، على المقايضة ، وفى الوقت اللاحق لجأوا الى الدفع بالطرق المعمول بها آنذاك : بالسبائك أو العملات الاجنبية ، اذ لم تسك العملة حتى أواخــر القــرن الخامس فى صقلية ، وربما فى قرطاجة في القرن الرابع ، وقــد نسبوا اليهم الكمبيالات (131)•أما فيما يخص المكاييل والموازين، فالمؤكد أنها من أصول شرقيــة مختلفة بعضهــا فنيقية وأخرى مصريــة (132) ض

ومن الصعب جدا معرفة ما كان يستورده القرطاجيون ومــا كانوا يصدرونه ، أمام انعدام أى نص أدبى حول المسألة والاثار لا تعطينا أكثر من الاثاث الجنائزي ، لكن مع ذلــك يمكننا أن نفترض اشتمال الواردات على : المواد الاولية مــن اسبانيا ، مثل الحلفاء اللازمة (Sparte) الضروريــة لصناعة الحبــال ، ومعادن مختلفة مثل الذهب والفضة والقصدير • وكانت ايبيزا تقدم الصوف والجلود وافريقيا العــاج والاخشاب الضرورية

---

(129) I. D. III, 24, 4; Strabon, XVII, I, 19.

(130) انظر اعلاه ، ص 61 ، 70 .

131 قزال ، ج 4 ، ص 130 .

(132) Lapeyre (G.G) Pellegrin (A), OP. Cit. p. 181

لصناعة السفن ، بينما كان الجرامانت والنسامونس يقــدمون الاحجار الكريمة وبيض وريــش النعــام ، وسردينيا ونوميديا مختلف الحبوب ، أما الفخاريات والبرونز الذى كان يشكل جزءا من أثاثهم الجنائــزى ، فكان يجلب من قبرص وبــلاد الاغريق عمومــا (133) •

أما الصادرات فكانت : الاقمشة ، الزرابى ، وكــذا العسل والتين والرمان ، العــاج ، المرمــر ، النحــاس ، الحيوانات المفترسة ، الخمر ، الزيت ، الملح ، ويمكن عموما أن نقــول أن التجارة كانت أحد الموارد الاساسية لثراء قرطاجة الكبير (134)•

2 ــ الزراعــة :

رغم الاجماع الذى نجده عند المؤرخين القدامــى بخصوص اهتمام القرطاجيين بالتجارة ، الذى يفهــم منه بالطبــع اهمال الزراعة ، لكن اذا صدق هذا على العهــود القرطاجية الاولى ، فهو لا يصدق على المراحل اللاحقــة من تاريخها ، فالمعروف أن هزيمة قرطاجة فى معركة هيميرا سنة 480 ق•م ، قد حدت مــن نفوذها فى البحــر ووجهت أنظارها الــى أراضى الاهالــى ، واستولت على مساحات معتبرة فى شمال شرق تونس الحالية (135)، وعلى هذه المساحات قامت زراعــة نشيطة ، لاحــظ ازدهارها

---

(133) Dureau de la Malle, OP. Cit. pp. 135-136.

(134) cf. Dureau de la Malle, OP. Cit, pp. 135-136; Gsell (St), H.A.A.N. T. 4, p. 168.

135 اعلاه ، ص 28 .

القدامى ، فهذا ديودور الصقلى يتحـدث عن جنود أغاثوكليس الذين أعجبوا بالازدهار الزراعى الذى لاحظوه في طريقهم الى قرطاجة : الكروم ، الزيتون والبساتين ، وكذا مراعى واسعـة مكتظة بقطعان الماشية من خرفان وثيران وخيول (136) •

والمؤكد أن الارستقراطية القرطاجية كانت تملك مزارع تلجأ للاقامة فيها فى بعض فصول السنة • وهو ما لاحظه أغاثوكليس ورغولوس في شبه جزيرة رأس الطيب • كما كان لحنبعل مزرعة فى ضواحى المهدية ، ويوجد أيضا ربما ملاكـين صغار يفلحون أراضيهم بأنفسهم (137) •

والشذرات المتبقية من كتاب « ماقون » تبين لنا أن القرطاجيين زرعوا الحبوب والخضر والزيتون والاشجار المثمرة خاصة التين والرمان واللوز والاجاص ، وربوا الابقـار والخيـول والبغال والدواجن والنحـل (138) •

3 ــ الصناعـة :

ازدهار حركة التصدير والاستيراد ، وكذا أهمية البحريـة التجارية تسمح لنا بالقول أن النشاط الصناعى فى قرطاجة كان كبيرا ، ويبدو من خلال النقوش التى تذكر الكثير من الحرفيين أن الصناعات لم تكن فى أيدى الارستقراطية وانما كانت فى أيدى

---

(136) Diodre de Sicile, XX, 8, 3-4.

137 تيتوس ليفيوس ، XXXIII ، 48، 1 ، انظر ايضا قزال ، ج 4 ، ص 46 ــ 47 •

138 قزال ، نفس المرجـع ، ص 48 •

المواطنين الذين يرى قزال أن كثيرا منهم كانوا تابعين للنبلاء الذين كانت بين أيديهم التجارة البحرية الكبرى (139) •

ومن الطبيعى أن تحتل الصناعة البحرية المكانة الاولى ، اذ كان على قرطاجة أن تملك عددا كبيرا من السفن لتسهيل حركتها التجارية ، ولم يبدع القرطاجيون في صناعة السفن فحسب ، بل يشهد ببراعاتهم في أعمال النجارة بصفة عامـــة كصناعة النوافذ والكراسى والخزائن الخشبية (140) •

وأكثر الصناعات رواجا وشهرة هى صناعة الفخار التى كانت تستخدم فى الحياة اليومية ، وفي الاثاث الجنائزى اضافة الى التصدير (141) • الى جانب ذلك فقد تردد فى النصب النذريـــة ذكر عمال التعدين مثل سباكة النحاس وسبك المعادن الاخـــرى وصناع مختلف الاشياء المعدنية : الحديد ، الرصاص ، النحاس والبرونز • فاذا كان ذكر صناعة الاسلحة نادرا ، فان المطرقة ، الفأس ، الخناجر الحديدية ، الصنارات والدبابيس والمرايـــا النحاسية وكذا صناعة الاقمشة فهى كثيرة (142) •

---

139 نفســه .

(140) Lapeyre (G.G) Pellegrin (A), OP. Cit. p. 191.

141 انظر قزال ، ج 4 ، ص 57 — 62 .

142 نفسه ، ص 74 — 105 .

الاداب والفنـــون

1 ـ الاداب :

لم نعرف شيئا يذكر على الاداب القرطاجية ، فالكتب التـــى تتشكل منها المكتبات القرطاجية ، لم نعرف منها غير كتاب «ماقون» فى الفلاحة ، أما كتـــب : الفلسفة ، التاريـــخ ، الجغرافيا التى عرفناها من التلميحات والاشارات العريضة عند المؤرخين القدامى الاغريق والرومان ، اما أن تكون قد انتقلت الـــى أيدى الملوك النوميديين أو دمرت مع تدمير المدينة (143) •

لم تكن البونيقية فى الواقع غير فنيقية قرطاجة ، هذه الفنيقية قد تختلف عن فنيقية صور وصيدا سواء فى النطق أو المفردات والقواعد • والمعروف أن الفنيقية قريبة من العبريـــة (144) ، وبفضـــل معرفتـــه للعبريـــة تمكـــن الفرنسى أبى بارثيليمى مـــن فـــك رمـــوز الكتـــابة الفنيقيـــة فى أواخـــر القرن الثامن عشر ، وما يزال يستعان بالعبرية الى الان في ترجمة النصـــوص البونيقية ، وهى على كل نصوص لا تتجاوز بضعة آلاف مـــن النذر ، وخارجها لا يمكننا ذكر غير بعض شواهد القبور وبعض شذرات الاسعار ، والنقوش على القطع النقدية (145) •

---

143 يذكر فى هذا الاطار الملك حنصبعل الثانى الذى استفاد من هذه المكتبات فى كتابة تاريخ يكون سالوستيوس قد اقتبس منه الفقرة الخاصة باصل سكان ليبيـــا .

(144) cf. Gsell (St), H.A.A.N., T. 4, p. 172

(145) cf. Gsell (St) . H.A.A.N., T. 4, p. 178

الى جانب البونيقية التى استخدمها القرطاجيون فى أوائـــل عهدهم بافريقيا والتى تختلف قليلا على الفنيقية فى قواعدهـــا ومفرداتها(146)، استخدم القرطاجيون البونيقية ـ الجديدة(147) (Néo-Punique) التى عرفت انتشارا وتنوعـــا كبيرين ، خلافا للبونيقية ، وفى النقوش البونيقية الجديدة يمكننا العثور علـــى كثير من أسماء الاهالى (148) •

2 ــ الفـنـــون :

يكاد يحدث اجماع بين المؤرخين القدامى منهم والمحدثين على عدم وجود فنون قرطاجية أصيلة وخالية من التأثير الاجنبى ، فلم يبرهن حرفيو قرطاجة وفق هؤلاء على أصالة لا فى التقنيات ولا فى الزخرفة ، فاكتفوا بالنقل فقط ، وصعب عليهم حتى تقليد النماذج الاغريقية ، حيث تفوق عليهم الاتروريون في هذا الاطار •

في الحقيقة يصعب علينا الحديث على فن خاص بالبونيقيين لكن في ذات الوقت ، لا نستطيع أن ننـــزع عنهـــم الاحســـاس بالجمال ، وعن فنانيهم الذوق السليم فى اختيار نماذجهم ، مثل الفن الفنيقى الذى تفرع عنه ، الفن البونيقى هو فن تركيبى ،

---

(146) وهو ما لاحظه سالوستيوس حرب يوغرطة 78 ــ . بشأن مدينة لبـــدة .

147 حول البونيقية ــ الجديدة انظـــر :

(148) Berger (Ph). **Histoire de l'écriture** dans l'antiquité, 2ème ed., (Paris 1842) p. 178 et suiv. ; Ferron (R.P.), l'Evolution du punique au Neo-punique, C.B., T. 3, (1953), pp. 229. 239.

ومثله أيضا فقد استمد عناصره من الحضارات المجاورة مصر وبلاد الاغريق ؟ وكان يقلد دائما ، لكن تقليده لم يكن ربما تقليدا أعمى ، كما يريدون القول (149) • على كل ونتيجة لنقص الوثائق ، يصعب علينا تحديد الى أى درجة كانت تقلد والى أى درجة كانت أصيلة • واذا أخذنا الفن الفنيقى كنموذج ، فقد تمكن فى بعض الاحيان من التخلص نهائيا من التقليد فتكون بذلك الاقراط والخواتم الذهبية والعاجية التى جمعت من مختلف المقابر القرطاجية دليلا على ذلك (150) •

وفى مجال العمارة بنى القرطاجيون مبان ضخمة ، يقال أنها بستة طوابق ، تنتهى بسطوح على ما يفهم من المعارك التى جرت فوق هذه الدور فى الايام الاخيرة لقرطاجة (151) •

أما عن الزخارف المعمارية فلا نعرفها الا من خلال بقايا الحطام ورسومات النصب النذرية ، وهى خليط من العناصر المختلفة •

أما الخزف ، فكان متوسط الجودة ، تنقصه الاصالة والتنوع ، والزخرفة فيه قليلة : تكتفى بدوائر سوداء وأخرى حمراء وسط

---

(149) Tlatli (Salah-Eddine), **la Carthage Punique : Etude Urbaine, la Ville, ses Fonctions, Son Rayonnement,** ed. Librairie d'Amerique et d'Orient (Paris 1978), pp. 137-139.

(150) cf. Gauckler (Paul), **Nécropoles Puniques de Carthage,** (2 vol), ed. Auguste Picard (Paris 1915)., T.I, PI. CL XXXIII-CLXXXV; CCV-CCVII T. 2, pp. 433-455, 506, 527-530.

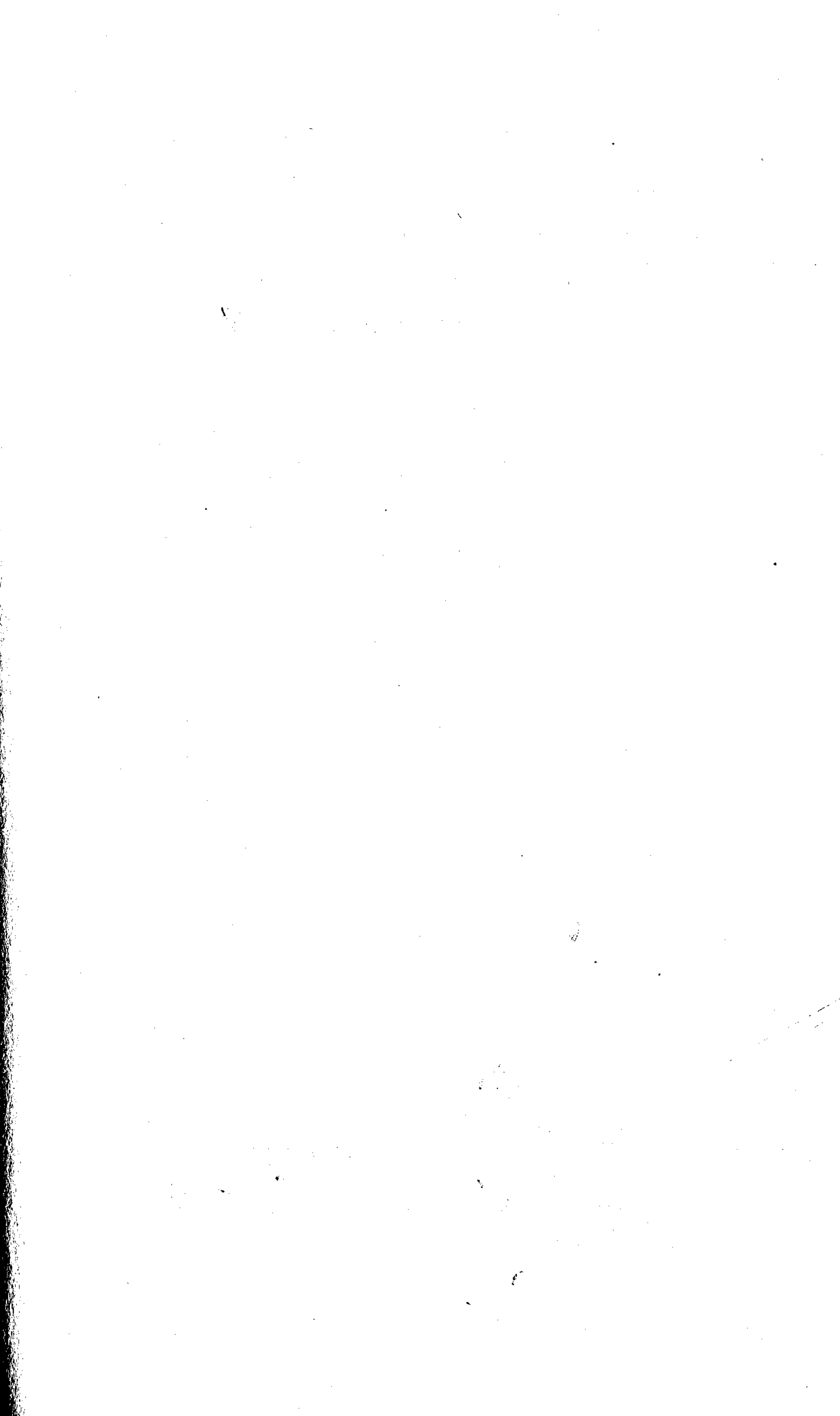
151 أنظر جوليان (شارل اندرى) ، المرجع السابق ، ص 108 .

أجواف ملتوية أو قضيب عمودى على كتف بعض الجرار وشبابيك على أطراف المصابيح (152) • مع كل ذلك • يكون القرطاجيون من وجهة نظرنا قد أبدعوا فى فن الصياغة ، فكانت لهم فنونهـم الخاصة حيث نجد أعمـالا رائعة تمثلـت في الاختام والاساور والقلادات التى عثر عليها فى القبور القرطاجية (153) •

---

(152) Lapeyre (G.) et Pellegrin (A), OP.Cit. P, 216

(153) Gauckler (R.), Loc. Cit.



الفصل الثالث

المسالك الوطنية



اصــولهــا وتطــورهــا

أصــولها : لا نعــرف بالضبط لاى فترة منفجــر التــاريخ تعود مملكتا نوميديا وموريطانيا، اللتان تحدثت عنهما النصوص الاغريقية واللاتينية خلال الحرب البونيقية الثانية، والتى تسجل فى نظر البعض دخول بلاد المغرب فى التاريخ (1)• لكن بعض الكتاب ذكروا لنا ملوكا ليبيين عاشوا قبل هذه الفترة، الاكثر قدما منهم هو الملك هيرباس الذى تحدثت عنه الاسطورة التى أوردها يوستينوس (Justin) الذى يكون قد طلب الزواج من عليسا — ديدون — وفق نفس المؤرخ (2)•

فى القرن الرابــع نجد ذكرا للملوك مرتين : المرة الاولى عند يوستينوس الذى حدثنا عن ملك « ماورى » استنجد به «حنون» للاستلاء على السلطة فىقرطاجة(3) والثانية عند ديودور الصقلى، الذى حدثنا عن تحالف الملك ايليماس (Ailymas) مع أغاثوكليس أثناء حملة هذا الاخير على افريقيا (4)•

وهو ما يدل فى نظرنا على قدم الانظمة السياسية فى المنطقة

---

(1) Camps (G.), «Origines du royaume massyle», R.H.C.M., t. 3, (1967), p. 29.

(2) Justin, XVIII, 4, 6.

(3) ID., XXI, 4, 7.

(4) Diodore de Sicile, XX, 17, 1 et 18,3 .

المغاربية، اضافة الى ما ذكره يوستينوس من أن قرطاجة ظلت تدفع ضريبة سنوية للمغاربة منذ تأسيسها — 814 قم — حتى منتصف القرن الخامس قم (5)، مما يــدل على استمرار هذا النظام، وكذا التطور السياسى والاقتصادى الذى عرفته مملكة نوميديا فى القرن الثالث والذى يبعث على الاعتقاد بوجود نظم سياسية واجتماعية واقتصادية سابقة لهذا القرن، مهدت السبيل لهذا النمو والازدهار (6).

تطورها : تطورت هذه الممالك فى القرن الثــالث قبل الميلاد لتظهر فى شكل مملكتين كبيرتين هما مملكتا : نوميديا وموريطانيا .

1 — مملكة نوميديا: انقسمت فى ظروف نجهلها الى قسمين:

أ — مملكة نوميديا الغربية (مازيسيليا) (Masaesyle)

نسبة الى قبائل المازيسيل، الذين ظهروا كقوة فى افريقيا منذ أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الثانى، وان كنا لا نعرف شيئا تقريبا عن ظروف تشكل هذه المملكة التــى دخلت فى حسابات المتنازعين خلال الحرب البونيقية الثانية، والتى كان على رأسها آنذاك الملك سيفاكس ذو الاعتبار الكبير ، والذى كان التحالف معه مرغوب من هذا وذاك ، وهو ما أدركه بدوره وعرض تحكيمه على الطــرفين (7) .

---

(5) Supra, pp. 47 et 53.

(6) حول هذا الموضوع انظر: شليقى (محمد البشير) ، سيــاسة الرومنة فى بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية الى سقوط موريطانيا القيصرية 146 ق م — 40 م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر 1982)، ص 20 .

(7) Cf. Decret (F.) Fantar (M.), op. cit., pp. 89-99

فى هذه الفترة كانت مملكة المازيسيل تمتد على أراضى واسعة من وادى الملوية الى رأس تريتون (8). وعاصمتها سيقا (Siga) بالنسبة لمازيسيل الغرب وقيرطا بالنسبة لمازيسيل الشرق، لكن نواة قوة المازيسيل كانت تقع فى المناطق الغـــربية فى الاقليم الوهرانى (9)، حيث توجد العاصمة الحقيقية للملكة (10) • ومكنتهم الفتوحات من مد حدودهم الى ما وراء نهر التريتون والوادى الكبير • لكن هذه الحدود يصعب تحديدها على الخريطة، وما زلنا نتساءل بخصوص قيرطا ان كـــانت جزءا من أراضى المازيسيل الاصلية أم هى ثمرة فتوحات سابقة ، ويفهم من نص لتيتوس ليفيوس أن المدينة كـــانت مازيسيلية (11) خـــلافا لكومس (12) .

أما بخصوص الحدود الجنوبية، فكانت أيضا أكثر غموضا، فالاراضى الخاضعة للملكة كانت تمتد حتى تخوم جيتوليا، وهو ما مكنها من أراضى واسعة ملائمة ســـواء للزراعة أو تربية المواشى وتقدم ظروفا معيشية ملائمة لعدد كثيف من السكان، وهو ما يسمح بدوره بتجنيد وتهيئة جيش كبير وقوى من شأنه أن يصبح أداة فتح، ذلك هو شأن مملكة المازيسيل فى عهد الملك سيفاكس، الذى ظهر خلال الحرب البونيقية الثانية كملك كبير

---

(8) سترابون ، XVII , 3 , 9 رأس تريتون يتوافق مع رأس بوقرعون فى شبه جزيرة القل. — حول هذا الموضوع أنظر . قزال، أطلس الجزائر الاثرى، الورقة 1 .

(9) Cf Camps (G), Massinissa, pp. 149 - 150

(10) نفسه، ص 167 — 168 .

(11) تيتوس ليفيوس، XXX, 12, 4 XXX 44, 2

(12) Camps (G.), **Les Berbères**, pp. 72-73

من شأنه أن يلعب دورا سياسيا وعسكريا هاما، وهو ما أدركه الرومان والقرطاجيون الذين تسابقوا لكسب رضاه (13).

ب ـ مملكة نوميديا الشرقية (ماسيليا) : نسبة الى قبائل الماسيل التى يبدو أنها لعبت دورا هاما وأحيانا حاسما على المسرح السياسى الافريقى عشية وغداة اقصاء قرطاجة .

وقد اعتبر بعض المؤرخين المعاصرين الملك ايليماس كأقدم ملوك الماسيل (14)، مما يسمح، اضافة الى قبر المدغاسن الذى ينسب الى هذه القبائل والذى يؤرخ ما بين أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الثالث، باعتبار أن الاسرة التى ينتمى اليها غايا وابنه ماسنسان والمنحدرون منهما كانت فى السلطة منذ أواخر القرن الرابع أو بداية القرن الثالث، غير أننا بدأنا نعرف هذه المملكة أفضل خلال القرن الثالث.

فى القرن الثالث يبدو أن هذه المملكة كانت تغطى الشرق الجزائرى وغرب تونس، لكن حدودها كانت متغيرة وخاضعة للوضعية السياسية والعسكرية التى تغلب فى افريقيا الشمالية، ويمكننا عموما أن نقول انها كانت محصورة بين الاراضى القرطاجية فى الشرق ومملكة المازيسيل فى الغرب، أما فى الجنوب فكان سلوك قبائل الجيتول يرتبط أساسا بالامكانيات التى يتوفر عليها ملك الماسيل لمد نفوذه على قبائل الرحل هذه (15).

---

(13) Decret (F.), Fantar (M.), **op. cit.**, pp. 89 - 99.

(14) Camps (G.), **Massinissa**, pp. 159 et 177.

(15) نفسه، ص 179 ـ 180، 182 ـ 183 ـ 183 .

ف بداية الحرب البونيقية كانت سلطة ملك الماسيل تمتد على الاوراس والشرق القسنطيني والظهر التونسية، والجزء الاكبر من مجردة الوسطى، وكذا أراضي الاستبس التي تحاذي السيرت الصغرى في حدود أراضي الجرامانت (16).

ومهما كان امتدادها، فمملكة الماسيل كانت تغطي مناطق غنية تسمح للمدن بالنمو والتطور الى جانب كل هذه المزايا الطبيعية، يمكن الاشارة الى قرب الاراضي القرطاجية التي يمكن الاستفادة من عوامل النهضة والتنمية بها (17).

بعد الحرب البونيقية الثانية، تمكن ماسنسان الذي حمل شعار « افريقيا للافارقة » أن يعيد الوحدة السياسية لنوميديا التي امتدت من وادي الملوية غربا الى السيرت الكبير شرقا، وفي هذه المملكة المترامية الاطراف حكم وخلفاؤه ما يقارب القرن والنصف (18).

2 — مملكة موريطانيا: الاثار والنصوص تسمح لنا باعادة أصولها الى القرن الرابع ق م، فهذا يوستينوس يتحدث عن ملك ماوري استعان به حنون عندما حاول الاستيلاء على السلطة في قرطاجة (19)، وبقايا ضريح سيدي سليمان الذي يؤرخ أيضا بأواخر القرن الرابع وأوائل القرن الثالث وكذا نقش

---

(16) Decret (F.), Fantar (M.), **op. cit.**, p. 100

(17) نفسه .

(18) من سنة 203 الى سنة 149 ق م.

(19) أنظر أعلاه ص 97 رقم 3 .

يتحدث عن الشفطية فى وليلى منذ منتصف القرن الثالث ق م، يوحى أن هذه المدينة كانت مزودة بنظام بلدى منظم، مما يستدعى وجود حكومة منظمة قادرة على السهر على تطورها (20)•

فى أواخر القرن الثالث كان وجود مملكة موريطانية حقيقة تاريخية، قدم لنا التاريخ أحد ملوكها : باغا (Baga) معاصر وحليف ماسنسان خلال الحرب البونيقية الثانية (21)•

بعد باغا تنقطع معلوماتنا لما يقرب من قرن.• وتعـود مع سالوستيوس الذى يتحدث عن الملك « بوخوس » الذى كان يخضع له كل الموريطانيين (22) واعتمادا على غالبية المؤرخين، كانت مملكة موريطانيا تقع ما بين المحيط الى الغرب وأعمدة هرقل الى الشمال ووادى الملوية الى الـشرق • **أما حدودها** الجنوبية فكانت متغيرة (23)•

توسعت مملكة موريطانيا مرتين على حساب نوميديا، المرة الاولى فى عهد بوخوس، بعد نهاية حرب يوغرطة، حيث توسع شرقاونال جزءا من بلاد المازيسيل ــ ربما حتى واد الصومام(24)

---

(20) Camps (G.), **Les Berbères,** pp. 81 - 82
ID. «Les Suffètes de volubilis aux III et II Siècle Av. Jc.», B.A.M. t. 4, (1960), pp. 423-426

(21) انظر تيتوس ليفيوس، 5,30,XIXX;3, 30,XIXX; 7, 29, XIXX

(22) سالوستيوس، حرب يوغرطة، XIX.

(23) Decret (F.) et Fantar (M.), **op. cit,** p. 73

(24) Desanges (J.), **Permanence d'une structure indigène en marge de l'administration romaine :** la numidie traditionelle, **Ant. Af.,** t. 15, (1980) p. 79;
ID., «Les territoires gétules de **Juba I, R.E.A.,** t. 66, 1964, p. 42

ـ كجزاء مساعدته للرومان • والثانية بعد انهزام يوبا الاول فى معركة تابسوس 46 ق‌م ، حيث حصـــل بوخوس الثانى على الجزء المتبقى من بلاد المازيسيل ومد حدوده حتى الـــوادى الكبير (25)•

فى سنة 25 ق م، أصبحت مملكة بوخوس الثانى، الشاغرة من وراث منذ وفاة هذا الاخير سنة 33 ق م من نصيب يـــوبا الثانى (26) الذى خلفه ابنـــه بطليموس سنة 23م، والحـــال أن هذا الاخير استدعاه الامبراطور كاليقولا سنة 37 م، الـــى روما، وألقى به فى السجن حتى سنة 39 م، ثم قتل فى ليون سنة 40 م، وهو فى الستين من العمر دون أن يترك وريثا (27)، وأعلنت موريطانيا منذ ذلك مقاطعة رومانية، وقسمت فى عهد كلوديوس سنة 43 ـــ 44 الى مقاطعتين : موريطانيا الطنجية وموريطانيا القيصرية (28) •

---

(25) Gsell (St.) **H.A.A.N.**, t. 8, p. 200

(26) حول هذه الاحداث انظر:
Benseddik (Nacéra), **Les troupes auxiliaires de l'armée romaine en Mauretanie Cesarienne sous le haut Empire**, ed. S.N.E.D., (Alger 1979) p 18.
Carcopino (J.), «L'Afrique au dernier Siècle de la Republique, **R. H.** t. 162, (1929), pp. 86-94

(27) Cf. Carcopino (J.), **Le Maroc antique**, ed. Gallimard, (Paris 1948), pp. 191-199.

(28) ديون كاسيوس، XL ، 9 ، 5 .

نظـــام الحكـم

1 ــ الملكيـــة: ساد النظام الملكى الوراثى، لكننا نــلاحظ طريقتين فى انتقال الحكم :

أ ــ فى القرن الثالث قم ، كانت الملكية ، ملك العائلـــة التى تنتمى بالذكور الى جد مشترك واحد، وكان الملك هو الاكبر سنا فى العائلة، وبوفاته ينتقل الحكم للاكبر وهكذا ••• وهى القاعدة التى طبقت ، بعد وفاة « غايا » حوالى سنة 206 قم ، اذ لــم يخلفه ابنه ماسنسان ــ البالغ من العمر آنذاك اثنتين وثلاثين سنة ــ وانما خلفه شقيقه ــ شقيق غايا ــ أوزالكن (Oezlcen) وبعد وفاة هذا الاخير خلفه ابنه كابوسا (Capussa) الاكبر من ماسنسان ، وبعد وفاة كابوسا ، كان الحكم يعــود شرعــا لماسنسان، لكن مازوطيل (Mazaetullus) تدخل ونصب لاكومازن (Lacumazen) ملكا مما دفـــع ماسنسان الى العمل على استرجاع العرش (29) •

ويمكننا أن نفترض أن هذا النظام المطبق عند الماسيل، يكون قد طبق عند المازيسيل والموريطانيين •

ب ــ عند وفاة ماسنسان 148 قم ، نجد أن الامر قد تغير ، اذ خلفه أبناؤه الثلاثة : « مكوسان Micipsa غلوسان

(29) حول تفاصيل هذه الاحداث انظر تيتوس ليفيوس ، XXIX , 29 , 6 - 11 وقزال، الجزء الخامس، ص 121 ــ 123 • •

حيث نجد Mastanabal مسطنبعل ، Gulussa
تقسيما حقيقيا للسلطة، اذ أسندت الى الاول السلطة التنفيذية، والثانى السلطة العسكرية، أما الثالث فقد تـولى السـلطة القضائية (30).

فهل يمكننا هنا التحدث عن اصلاح ادارى قام به الاقليد ماسنسان، خاصة وأننا نجد ما يشبه هذا الحكم الثلاثى فى المدن النوميدية مكثر، قيرطا ... ؟ وهل ترك فعلا ماسنسان أمـر استخلافه لسكيبيو ايميليانوس كما يورد ذلك المؤرخ قزال (31)؟ وهل كان ماسنسان يرغب فى انفراد ابنه الاكبر ــ مكوسان ــ بالحكم ، أم كان يرغب فى توزيع السلطة على أبنائه الثلاثـة ؟ وهل خضع سكيبيو هذا ــ ان صدق قزال ــ لرغبة الملك الراحل لا نملك جوابا قطعيا لهذه التساؤلات ، لكن نجد فى تكرار عملية الحكم الثلاثى ، بعد وفاة مكوسان الذى أوصـى بالحكم لابنيه عزربعل وحفصبعل ويوغرطة الذى تبناه لهذا الغرض ، ما يشير الى مثل الاصلاح السابق ، والا كيف نفسر ذلك ؟ وهو ما حدث

---

(30) Appianus, «The Punique war, VIII, 16, 106» in The Romaine history (4 vol.), Loeb classical Library (London 1928).

(31) Gsell (St), Loc cit.

(32) حول هذا الموضوع انظر: محمد الهادى حارش، «سلوستيوس وحرب يوغرطة « دراسة تحليلية نقدية » ، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الخامس (1939) ، ص 19 — 66 .

(33) انظر محمد الهادى حارش، الحياة السياسية والاقتصادية فى نوميديا منذ اعتلاء مسيبسا العرش الى وفاة يوبا الاول 203 — 46 ق م ، لافوميك (الجزائر 1994) ، ص 51 — 57 .

ربما أيضا بعد وفاة غودا على ما يفهم من المصادر التى تتحدث عن حكام ثلاثة فى نوميديا أثناء الصراع بين ماريوس وسيــلا وهم : حفصبعل الثانى ، هيرباس ، ماسنسان الثــانى •

كان الملك يحمل فى اللغة الليبية اسم « الاقليد » وفق ما ورد فى النقوش وما يستخدم فى اللهجات الامازيغية الحالية • وكان هؤلاء الملوك يسكنون القصور فى عواصمهم، وحتى أنه كانت لهم عواصم اقليمية على ما يفهم من النصوص والمدن التى ظلت تعرف بالملكية • كما حاول هؤلاء الملوك فرض سلطة مطلقة خاصة ماسنسان (34) ، لكن سعة المملكة وصعوبة الاتصــال، وكذا النظام القبلى واختلاف نمط المعيشة بين الحضر والرحل وقفت حائلا والسلطة المركزية المطلقة مما دفع محمد قنطر الى افتراض وجود ثلاثة نظم ادارية فى ذات الــوقت: الادارة المركزية بالعاصمة قيرطا كمقر مركزى، الادارة القبلية وعلى رأس كل قبيلة رئيس يحصل على سلطته سواء من القبيلة التى ينتمى اليها أو من الملك، وأخيرا ادارة المدن، التى وان كانت تعترف بالروابط التنظيمية التى تربطها بالمملكة فــهى كــانت تتمتع باستقلالية واسعة فى تسيير مصالحها البلدية الخاصة (35) •

2 — ادارة الاقاليم: اذا كنا لا نملك أية وثائق حول الادارة المركزية، ولا نعرف شيئا عن وزراء الملك، الذين يفترض البعض أن يكونوا من المقربين للملك الذى يزودهم بصلاحيات ادارية

---

(34) بوليبيوس 5, 3, XV ؛ تيتوس ليفيوس، 10, 33, XXX

(35) Decret (F.) et Fantar (M.), op. cit., p. 109

واسعة، فاننا نجد عدة نصوص تتحدث عن ولاة الملك فى الاقاليم، فهذا نص تيتوس ليفيوس (36) يتحدث عن تعيين سيفاكس لولاة له فى بلاد الماسيل، كما تحدث سالستيوس عن ولاة الملك يوغرطة ، الذين استقبلوا ميتيلوس عند اجتياحه الاراضى النوميدية (37) مما يوحى بوجود حكام أقاليم يخضعون لاوامر السلطة المركزية، بل ذهب البعض الى افتراض تقسيم مملكة المازيسيل الى امارات مستقلة خاصة فى المناطق الداخلية •

وعلى السواحل كانت المدن ميالة الى الاتساع والانفصال فى وحدات شبه مستقلة فى كل ما يخص حياتها الداخلية (38) ، وهو ما نسميه بنظام البلديات •

3 ـ البلديات : التنظيم لم يكن خاصا بالمدن الساحلية ، بل حتى المدن الداخلية ذات الاصول المحلية كان لها هذا التنظيم، كما سكت العملة باسمها منها قيرطا تاجوراء (39) وغيرهما من المدن النوميدية (40) •

أما فيما يخص مؤسسات هذه المدن ، فمعارفنا بها نادرة ،

---

(36) Tite Live, XXX, 11 2; XXX, 12, 22.

(37) سالوستيوس، حرب يوغرطة ، XL VI

(38) Decret (F.) et Fantar (M.), **op. cit.** pp. 86-87

(39) **Muller (L.), Numismatique de l'ancienne Afrique** 3 vol. suppl., éd. imp. de B. Luno (Copenhague 1860-1870), t. 3, p. 67 n° 76; pour Thagura voir Gsell (St)., **Atlas archéologique de l'Algérie** (2 vol.), éd. Jourdan et Fontemoing (Alger - Paris 1911), flle. 19 n° 80.

(40) **Muller (L.), op. cit., t. 3, et Suppl.**

فقد كان فى باجة عند نهاية القرن الثانى ق• م مجلس شيوخ (41). وبدون شك أشفاطا ، وهناك نصوص مهمة تسمح لنا بافتراض أن أشفاطا كانوا يديرون قيرطا (42) وتبسة منذ القرن الثالث ق•م • وكان هناك أشفاط وحكام محليون فى وليلى ، فى قلب موريطانيا قبل أن ينشأ بها الرومان نظاما بلديا (44) • وكان بها حتى موظفين أقل مركزا عرفوا فى النقش بالقيمين (aediles)

الاشفاط فى المدن النوميدية كانوا ثلاثة وليس اثنين ، كما هو الحال فى قرطاجة ، والمدن الفنيقية ، وهو حال مكثر التى نجد بها نقش معبد حاتحور الذى أكدته شاهدة قبر كنتوس فيروس روقاتوس التى تعطى له لقب مثالث (Triumvir) ، واستمر الحكم البلدى لهذه المدينة يتكون من مجمع ثلاثى حتى تحويلها الى مستوطنة رومانية فى عهد ماركوس أوريليوس (45) •

هذا النظام الثلاثى نجده أيضا فى قيرطا فيما يسمى بالضباط الاساسيين فى الاتحاد القيرطى • ونجد نصوصا أخرى تشير الى هؤلاء الاشفاط فى كثير من المدن النوميدية : دوقة (46) ،

(41) Appianus, **Numid.**, p. 163, coll. didot.

(42) Tite Live, XXX, 12,8.

(43) Diodore de Sicile, XXIV, 3, 10.

(44) Cagnat (R.), Merlin (A.) et Chatelain (L.), **Inscriptions latines d'Afrique (tripolitaine, Tunisie, Maroc)**, éd. Leroux (Paris 1923), n° 634; Camps (G.), «Les suffetes de Volubilis aux III et II Siècle av. J.C.», **B.A.M., t. 4**, 1960, pp. 423-426.

(45) Cf. Picard (G. Ch), «Civitas Mactarina», **Karthago**, t. 8, (1957), pp. 39-40.

(46) C.I.L., VIII, 26 517.

مكثـــر (47) ، ليميســـا (48) ، ألتيبوروس (49) ، مسولولـــة (50) ، قفصة (51) ، قالمة (52) ، وربما فى موضع الى الجنـــوب من قالمة حتى فى العهد الامبراطورى ، مما يدل على استمـــرار هـــذا النظـــام •

كان الى جانب هؤلاء الاشفاط مجلس شيوخ بلدى ، وهـــذا ما نجده فى باجة وقالمة حيث نجد أول أعضاء المجلـــس ـــ رب الميزره ـــ متبوعا بواحد وثلاثين اسما (53) •

ويبقى مع ذلك النظام البلدى فى مدينة دوقة فى عهد مكوسان النموذج الاكثر جلاء ، على ما تبينه النقوش ، اذ كان بها مجلس للمواطنين شيد باسمه معبدا للملك ماسنسان فى السنة العاشرة من حكـــم مكوسان •

كان على رأس البلدية رئيس يحمل اسم « أقليد » وهو نفس اللقب الذى يحمله ملك النوميديين ، وكانت وظيفته سنويـــة ،

---

(47) Berger (Ph.), «Inscription néo-punique» **Mem. d'ac. des Insc.**, XXXVI, 2e partie.

(48) **C.I.L.**, XIII, 22796.

(49) Berger (Ph.), «Note sur la grande inscription néo-punique et sur une autre inscription d'A- d'Altiburos», J. A., 9, (1887), p. 461, suffetes

(50) Cf. Chabot (J.B.), «Inscripiton néo-punique» **C.R.A.I.**, (1916), p. 348; ID. **Punica**, p. 53.

(51) C.I.L, VIII, 227 96

(52) Gsell (St.), **Inscriptions latines de l'Algérie**, (vo)l éd. Gouvernement général, (Paris) 1922, **t. I**, n° 233.

(53) قـــزال ، المرجـــع نفســـه •

لكن يمكن أن يعاد انتخابه • يأتى بعده حاكمان يحملان لقب « رئيسا المائة » MW' SN باللييبية و RBT Mit بالبونيقية) وهما يذكروننا بالشفطين فى قرطاجة ، لكن الترجمة البونيقية تتعارض تماما مع هذه المقارنة ، على رأى كومس (54) ، ويعتبرهما جيمس فيفرى كرئيسى المجلس البلدى (55) ، بعدهما نجد حاكما آخر يحمل اسما ليبيا (MS' KW) النص انبونيقى لم يقدم لنا غير النقل الحرفى لهذه الوظيفة دون ترجمتها • وهو ما حدث أيضا مع وظائف (GLD, GYML, GZB) التى لم تترجم فى البونيقية ونقلت كما هى فى الليبية • وهنا تكمن أهمية نقوش دوقة التى تكشف لنا عن تنظيم بلدى يبدو أنه غير مدين للبونيقيين فى شىء •

واذا كانت الكثير من المدن النوميدية الاساسية قد حكمها شفطان حتى فى الفترة النوميدية ، فاننا نجد البعض منها مثل مكثر ألتيبوروس تبرنيقة ودوقة كان لها ثلاثة أشفاط ؛ أما فى قالمة فنجد نقشا يذكر فى نفس الوقت شفطين ورئيس (Princeps) الذى يبدو أنه يماثل « اقليد » دوقة •

كان الى جانب هؤلاء الحكام مجلس مشكل من أعيان المدينة

---

(54) Camps (G.), **Les berbères, Memoires et Identité** éd. Erranse, (coll. des Hesperides (Paris 1987), p. 226.

(55) Fevrier (J.G.), «**la constitution municipale de Dougga** à l'époque Numide», **Melanges de Carthage**, (1964-65), pp. 85-91

على ما يفهم من النقوش ، أو حتى مجلس الشعب كانت بيده السيادة المحلية (56) •

كما أشارت العديد من النقوش الى الكتاب والامناء والمحاسبين وأمناء الخزينة والمقتصدين وناقلو البريد وجباة الضرائب وغيرها من الوظائف التى كانت فى خدمة الجهاز الادارى لهذه الممالك والبلديات ، اذ تعود معظم النقوش التى عثر عليها فى معبد الحفرة بقسنطينة الى الفترة الممتدة ما بين القرن الثالث والاول ق•م(57)، وهى فترة بلوغ هذه الممالك لاوج ازدهارها•

4 ــ النظام المالى : كانت الضرائب المصدر الاساسى لجمع الاموال، وكانت تدفع عينا ، ربما عشر أو خمس أو ربع الانتاج• اضافة الى الضريبة على المواشى ، وهذا ما تدلنا عليه عملية الاحصاء التى يقوم بها الملوك النوميديون على ما يذكر سترابون (58) ، مما يعطيهم فكرة ضرورية لتقدير الضريبة ، هذا فى الارياف ، أما فى المدن فقد كانت تدفع نقدا مثلما كانت تفعل مدن السيرت فى عهد الملك ماسنسان (59) •

أما الارباح التى يجنيها الملوك من الجمارك والمكوس والضريبة على الاسواق ، فلا نعرف عنها الكثير وكذا المداخيل

---

(56) cf. Camps (G.), **Les bérbères,** p. 227.

(57) Cf. Berthier (A.), Charlier (l'Abbé), **Le Sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine,** (2 vol.), éd. Arts et Metiers graphiques (Paris 1955).

(58) سترابون ، XVII , 3 , 19

(59) Tite Live, XXXIV, 62, 2.

من الاراضى الملكية والمناجم (60) • لكن ، وكيفما كانت الوسائل التى استخدمها هؤلاء الملوك لجمع هذه الاموال ، فالمؤكد أن هذه الاموال كانت كثيرة ، فكانت الخزائن مليئة ، على ما تشهد بـه النصوص خاصة فى قيرطا وزاما (61) • وقد تم الاشارة الـى الخزائن الملكية أيضا فى مدن أخرى مثل سوثول ، قالمة ، قفصة، ربما كانت قباضات تدفع اليها المداخيل الاقليمية التى كانت هذه المدن عواصم اقليمية لها (62) •

5 — الشرطـة : معلوماتنا عن الشرطة ضئيلة ، وكـل مـا نعرفه وجودها فى المدن الهامة ، ونعرفهـا خاصـة فى فتـرات الحرب (63) ، ومهمتها فى هذه الحالة الدفاع عن هذه المدن ضد الاعداء ، وربما كانت هناك فرق فى بعض المـدن والحصـون الاستراتيجية بهدف ضمان الاستقرار بها • وهناك فرق لحراسة الملك والتدخل السريع عند الضرورة ، ونعثر ضمن نقوش معبد الحفرة على الشرطى ومفتش الشرطة (64) •

---

(60) Cf. Gsell (St.), **H.A.A.N.**, t. 5, p. 155

(61) Appien, XIII, 106; Valere Maxime, v, 2; Salluste, guerre de Jugurtta, XII; Cesar, **Guerre d'Afrique**, XCI.

(62) سالوستيوس ، حرب يوغرطة ، 76, 75, 37, 12
سترابون ، 12, 3, XVII

(63) نفسه 46 ; قيصر ، الحرب الافريقية XXIII,

(64) Berthier (A.), et Charlier (l'Abbé), **op. cit.**, p. 1 41.

6 ــ الجيش : يتشكل الجيش من :

أ ــ الجيش الدائم : فيه الحرس الملكى وحاميات فى مختلف المواقع ، وكان يوزع فى وحدات تحت قيادة ضباط يتولون تدريبه (65) ، وكان مسلحا بالاسلحة الدفاعية والهجومية ، واستخدم أدوات الحصار،وفى معارك السهول استخدم الفيلة(66) وكان فى هذا الجيش المشاة والفرسان ، ومما يلاحظ فى هذا الصدد هو ارتفاع نسبة الفرسان فى هذا الجيش ، والدور الاساسى الذى كان يلعبه هؤلاء الفرسان ، وضمن المشاة نجد الفرق الخفيفة المسلحة لا بالرماح فحسب بل أيضا بالنبال والمقاليع •

ب ــ وحدات الاحتياط : تجند عند اندلاع الحرب وتسرح بمجرد انتهائها •

جـ ــ المرتزقة : يفهم من بعض النصوص أن الملوك النوميديين قد استخدموا المرتزقة من الليقوريين والتراقيين والغاليين والاسبان • فقد تحدث سالوستيوس عن ليقوريين وتراقيين فى

---

(65) Cesar, **Guerre d'Afrique,** LVI, 4; «praefecti de léquitatus; Sallustius XLIX, LXXIV, LXX X XCIV.

(66) يفهم من بعض النصوص : « ان الملوك لم يكتفوا باساليب الحصار العادية بل استخدموا الالات لضرب المواقع » .
«Oppidum Circum sedit vineis turribusque; et Machinis omnium genrum ex pugnare adgredictur turrus extruit»
Sallustius, XXI et XXIII

جيش يوغرطة (67) • وتحدث قيصر عن فرسان غاليين واسبان فى جيش يوبا الاول (68) •

7 — البحريـــة : بـــدأ الاهتمام بالبحرية خاصة منذ عهـــد الملك ماسنسان اذ نجد نصوصا تتحدث عن أسطول هذا العاهل الذى يجوب عباب البحر الابيض المتوسط (69) ، فبالاضافـــة الى دور هذا الاسطول فى التجارة ، كان عليه دفع القرصنة وصد الاعـــداء •

---

(67) Salluste «Guerre de Jugurtha» XXXVII, LVI, LXII, LXXVI, CIII.

(68) César, **Guerre civile,** II, 40 I.

(69) Ciceron, **Verrines,** Actes II, IV, 46, 103.

الحيـــاة الاقتصـــاديـــة

تجمعت فى نوميديا فى عهد ملوكها الاهالى ، عناصـــر هامـــة لتحقيق نشاط اقتصادى زاهر ، فالاستقرار السياسى الناجـــم عن طول فترة حكم معظم الملوك ــ ماسنسان 55 سنة ، مكوسان 30 سنة ، حفصبعل الثانى ما يقرب من 30 سنة ــ نتج عنـــه ازدياد الانتاج الفلاحى ، وهو ما نجم عنـــه تنشيـــط المبادلات التجارية ، خاصة بعد زوال الاحتكار القرطاجى وفتح ماسنسان للموانىء فى وجه التجار الاغريق وغيرهم (70) •

1 ــ الـــزراعـــة : أجمع المؤرخون القدامى على الدور الكبير الذى لعبه ماسنسان فى مجال الزراعة ، حتى ذهب بعضهم الى اعتباره مدخل الزراعة الى بلاد المغرب (71) ، واذا كنا لا ننكر مساهمة ماسنسان فى تنمية الفلاحة ، فاننا فى ذات الوقت لا نشك فى مبالغة هذه النصوص فى مدح الملك (72) ، اذ نستطيع القول استنادا الى المعطيات الاثرية (73) ، ان ظهور الزراعة فى بـــلاد المغرب يعود الى ما قبل ماسنسان بزمن طويل ، حتى أن كومس

---

(70) انظر محمد الهادى حارش ، التطور السياسى والاقتصادى فى نوميديا ، ص 136 ــ 138 •

(71) حول هذا الموضوع خاصة :
Polybius, XXXVI, 16, 7-8; Appianus, **The punci war,** VIII, 16, 106; Strabon, XVII, 3, 15.

(72) Cf. Camps (G.), «Les Numides et la civilisation de Carthage», **Antiquités Africaines, t. 14** (1979), pp. 43-44.

(73) حول مختلف هذه المعطيات انظر [illegible] هـــادى حـــارش ، المرجع السابق ، ص 79 ــ [illegible]2

رأى في بعض الادوات القفصية الدليل على بداية الفلاحة ؛ أو على الاقل بداية اهتمام الانسان بالطبيعة ، كما يرى في المناجل التى اكتشفت في مناطق متفرقة من الجزائر الحالية والتى تعود الى الحضارة القفصية العليا الدليل على أن الانسان القفصي قد مارس عملية جنى الثمار أوائل العصر الحجرى الحديث ، على أن يبدأ تنظيم الزراعة في بداية فجر التاريخ (74) .

أ ـ الملكية الزراعية : لم يرد في أخبار القدامى ، ما يفيدنا في معرفة نظام الملكية عند النوميديين ، غير أن بعض التلميحات تسمح لنا بالقول بوجود أراضى ملكية تابعة للقصر وأخرى للامراء وكذا أراضى المعابد اضافة الى الملكيات الفردية الخاصة (75) .

أما عن مدى سعة هذه الملكيات وطرق استغلالها ، فلا نملك أية وثائق تقريبا تسمح لنا بتحديد مدى سعة وانتشار كل صنف من أصناف الملكيات السالفة ، ولا عن كيفية وشروط استغلالها، وكل ما يمكننا قوله هو افتراض سعة المزارع الملكية ، اعتمادا على نص ديودور الصقلى الذى يحدثنا عن ماسنسان الذى ترك عشرة آلاف (10.000) بلترا (76) لكل ولد من أولاده ، مزودة

---

(74) Camps (G.), Massinissa, p. 69.

(75) Decret (F.), et Fantar (M.), op. cit., p. 132-133; Camps (G.), Massinissa, p. 211; Gsell (St), H.A.A.N., t. 5, p. 108; Poinssot (L.), « Les fouilles de Douga en 1919», Nlle archéologie des missions, XXII, fasc. 2, p. 40

(76) البلترا : من مقاسات الطول والمساحة عند الاغريق تساوى في الطول مائة قدم (سدس ستاديوم) اى حوالى 30.88م ، وفي المساحة 100 قدم في الجهة اى 10.000 قدم مربع ، اى حوالى 276 م مربع ، والعشرة الاف بلترا هذه تساوى حوالى 874 هكتارا .

بكل الادوات الضرورية للاستغلال (77) ، كما حدثنا فتروفيوس عن الامير النوميدى الذى يمتلك أراضى واسعة فى ضواحــى زاما ــ ريجيا (78)•فلا يستبعد قزال أن تستغل هذه الاراضى الملكية والاميرية بواسطة رجال أحرار ، مثلها فى ذلك مثل أراضى البرارى (Saltus) التى خلفتها ، فكان هؤلاء الاحرار وفــق نفس المؤرخ يستقرون فى هذه الاراضى ، ويستغلونها مقابــل الالتزام بدفع نصيب من الانتاج لصاحب الارض (79) • امــا الفلاحون الصغار فكانوا يستغلون أراضيهم بأنفسهم ، هذا فيما يخص الاراضى الفلاحية ، أما أراضى الرعى ، فلا مكان هنــا للملكية الفردية ، ولا مكان لتقسيم المرعى ، فالمراعى تبقى تحت تصرف كل العشيرة ، والمواشى تتوزع حيث يوجد المرعى ، كما تبقى الاراضى غير الصالحة للزراعة عند القبائل الزراعية تحت تصرف الجميع ، وللجميع حق استغلالها ، وقد استمرت هــذه الملكية الجماعية حتى بعد الاحتلال الرومانى ، وهو ما صنــف ضمن أراضى العشائر (Gens) التى كانت أكثر أراضيهــا رعوية ، أو أراضى زراعية قليلة الخصوبة • ورغم أنها كانت فى نظر القانون أراضى رومانية ، فانها كانت تستغل مــن طــرف العشائــر (80) •

---

(77) Diodore de Sicile, XXXII, 17.

(78) Vitruve, **L'architecture**, VIII, 3, 24-25, trad. C.H.C. Maufras, éd. Panckoucke (Paris 1847)

(79) Gsell (St.), **H.A.A.N.**, t. 5, p. 210.

(80) انظر محمد البشير شنيتى ، الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى المغرب الرومانى ، ودورها فى أحداث القرن الرابع الميلادى، رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة (جامعة الجزائر 1982) ص 64 •

ب ــ أدوات الانتاج : أما من حيث أدوات الانتاج ، فيــرى كثير من المؤرخين أن المغاربة القدامى كانت لهم تقنياتهم الخاصة فى مجال الفلاحة (81) ، وهى تقنيات قديمة ، تعود الى ما قبل الفنيقيين بزمن طويل ، كما كانت لديهم عادات محليــة مميزة خاصة على مستوى الادوات المستخدمة وطرق الاستغلال (82)• فعلى مستوى الادوات ، استخدم المغاربة القدامى المجرفــة ، وذلك قبل معرفة المحراث ، كما استخدموا المعول وأنواعا مــن المعازيق المحلية ، التى يرى كومس فى بعض صــور والادوات النيوليتيكية شهادة على قدم استخدام هذه الادوات فى بــلاد المغرب (83) • وهو شأن المحراث الذى أجمعت الدراسات على وجود محراث محلى لا يد فيه لا للقرطاجيين ولا الرومان (84)•

ومن بين الاعمال الزراعية التى كان يقوم بها الفلاح ، الحصاد الذى كان يتم بالمنجل ، وهو قديم الاستخدام فى بلاد المغرب، قد يعود ذلك الى عصور ما قبل التاريخ (85) • وللدرس يمكــن ملاحظة طريقتين : طريقة بدائية ظلت تستخدم فى بلاد المغرب حتى عهد قريب جدا ، وما زالت مستخدمة فى بعض المناطق الى اليوم ، وهى الطريقة التى تقوم فيها الحيوانات (الثــيران ،

---

(81) Decret (F.) et Fantar (M.), **op. cit.**, p. 134; Camps (G.), **Massinissa**, p. 81; et Gsell (St.), **H.A.A.N.**, t. 4, 14; **ID.**, t. 5, p. 195.

(82) Gsell (St.), **H.A.A.N.**, t. 5, p. 195; Camps (G.) **Massinissa**, p. 81.

(83) Camps (G.), **Massinissa**, p. 81.

(84) انظر محمد الهادى حارش ، التطور السياسى والاقتصادى ، ص 86 ــ 89 .

(85) Gsell (St.), **H.A.A.N.**, t. 5, p. 196.

الخيول ، البغال ، الحمير) بدوس السنابل على البيدر ، والطريقة الثانية أكثر تطورا ، وهى تستخدم فيها عربة تعرف بالعربية البونيقية (Plostellum poenicum، تتكون من قطعتين من الخشب بعجلتين صغيرتين مسننتين من الحديد ، وهو ما جعل دكرى (Decret) وفنطر يقولان بوجود تقليدين متجانسين فى الاعمال الفلاحية فى نوميديا عشية الاحتلال الرومانى ، تقليد محلى أصيل وعادات واردة من الشرق مع الفنيقيين (86).

ج ــ الانتاج الزراعى : رغم ندرة الوثائق المتعلقة بالفلاحة فى بلاد المغرب فان القليل الموجود منها يدل على أن الفلاحة حظيت بعناية الاقليد ماسنسان ، الذى توفرت فى عهده كل الشروط اللازمة لقيام نهضة فلاحية فى نوميديا ، وأول هذه الشروط الارض • فاضافة الى أراضى الماسيل التى نجد بها مساحات واسعة قامت عليها زراعة الحبوب ، كانت فتوحات هذا الملك التى قدمت أراضى جديدة لملكة نوميديا ، أولها أراضى المازيسيل الواسعة ، التى لا تنقصها بدورها أراضى القمح ، اضافة الى ضم أجزاء من الاراضى القرطاجية مثل سهول أمبوريا والسهول الكبرى (87) •

بالاضافة الى الارض ، نجد طول مدة حكم هذا الاقليد وما تخللها من استقرار سياسى (88) واهتمام بالفلاحة (89) ، وهو

---

(86) Decret (F.), Fantar (M.), op. cit., p. 134.

(87) Cf. Camps (G.), Massinissa, pp. 193 i 194.

(88) Cf. Polybius, XXXVI, 4, 16..

(89) حول اهتمام ماسنسان بالفلاحة ، انظر : محمد الهادى حارش، التطور السياسى والاقتصادى ، ص 95 .

الاهتمام والاستقرار اللذين تواصلا على طول مدة حكم ابنه مكوسان (148 — 118 ق٠م) الذى نجد شبه اجماع لدى المؤرخين على مواصلته لسياسة والده الرامية الى النهوض بمرافق البلاد الاقتصادية وهو ما يكون قد حدث فى عهد حفصبعل الثانى (80 — 60 ق٠م ؟) الذى أقام له الاغريق تمثالا فى رودس تخليدا لعلاقاته بهذه الجزيرة (90) ٠

للاستدلال على هذا التطور يمكننا القول أن ماسنسان أرسل سنة 200 ق٠م أربعة عشر ألف قنطار من القمح وعشرة آلاف وخمس مائة قنطار من الشعير الى الرومان ، بينما وصلت هذه الكمية سنة 170 ق٠م الى سبعين ألف قنطار من القمح مما يدل على التطور الكبير فى الانتاج ، علما أن ماسنسان لم يستول بعد سنة 170 ق٠م على سهول أمبوريا والسهول الكبرى ذات التربة الجيدة لانتاج القمح ، اضافة الى هذه الكميات ، تجدر الاشارة أيضا الى الكميات التى كانت ترسل الى جزر ومدن بلاد الاغريق (91) ٠

د — المنتجات الزراعية :

د ٠ أ — الانتاج النباتى : يبدو من خلال النصوص أن الحبوب (القمح والشعير) كانت تحتل مكانة الصدارة فى

---

(90) cf. Kontorino (V. N.), «Le Roi Hiempsal II de Numidie et Rhodès», **l'Antiquité classique**, t. 44 (1975), pp. 89-99.

(91) انظر محمد الهادى حارش ، التطور السياسى والاقتصادى : ص 97 — 99 ٠

الزراعة النوميدية حتى يخال للمرء أن نوميديا لم تكن تعرف غير زراعة الحبوب ، لكن استحواذ الحبوب على المركز الاول ، لا يعنى أبدا أن بقية المنتجات كانت مهملة • فقد عرف المغاربة البقول (الفول ، الحمص ، العدس الجلبان) منذ فترة مبكرة (92) ، فلا نستبعد أن تكون قد عرفت بدورها انتعاشا فى عهد الملوك النوميديين ، وكذا الخضر التى كانت تزرع خاصة حول مراكز التجمعات السكانية (قيرطا ، تبسة ، دوقة) ، حيث نجد زراعة البصل والثوم والخرشوف والكراث والخردل ، القرع ، الكوسى ، البطيخ والخيار (93) ، كما تحدث القدامى عن انتاج وفير لبعض الفواكه مثل التين ، العنب ، اللوز ، التمور (94) • هذا اضافة الى الفواكه التى يكون الفنيقيون ومن بعدهم القرطاجيون قد جلبوها من الشرق ونشروا زراعتها فى بلاد المغرب مثل التفاح والرمان (95) •

د ، ب ــ الانتاج الحيوانى : يبدو من المصادر المعاصرة أن ملوك نوميديا أولوا عناية كبيرة لتربية المواشى خاصة تربية الخيول (96) •

---

(92) Camps (G.), **Massinisa**, p. 80

(93) Ibid, p. 81.

(94) Gsell (St.), **H.A.A.N.**, t. 5, p. 199.

(95) Cf. Carcopino (J.), **Le Maroc antique**, p. 27.

(96) مما يؤكد هذا الاهتمام ما ذكره سترابون من أن ملوك نوميديا كانوا يقومون باحصاء المهارى كل عام
Strabon, XVII, 3, 19
وقد ارجع قزال هذا الاهتمام من طرف ملوك نوميديا الى حاجتهم الى امتلاك خيالة ممتازة للحفاظ على سيادتهم ، اضافة الى ولعهم ككل النوميديين بركوب الخيل
Gsell (St.), **H..A.A.N.**, t. 5, p. 182.

ان الاهتمام بتربية الخيول لم يحل دون الاهتمـــام بباقـــى الحيوانات ، اذ يستشف من المعاصرين اهتمـــام النوميـــديين بتربية الابقار وكذا انتشار تربية الاغنام والماعز بشكل واســـع لدرجة أنها كانت مضرب الامثال عند الاغريق منـــذ عصـــرى هوميروس وهيرودوتس (97) ، ولنا شهادات كثيرة عن انتشارها

فى عهد الملوك النوميديين ، فقد تحدث عنها بوليبيوس وتيقوس ليفيوس وسالوستيوس وغيرهم (98) ، وكذا الحمير والبغـــال (99) •

اضافة الى تربية المواشى ، عرف النوميديون تربية الدواجن التى تعطى الفلاح موارد اضافية بلحومها وبيضها ، زيادة علـــى فضلاتها التى تصلح سمادا ، فقد تمت تربية الديكة والدجـــاج والوز والبط (100) ، وكذا تربية النحل التى عرفت فى المنطقـــة منذ عهود غابرة ، فمن شهادة هيرودوتس فى القرن الخـــامس ق•م (101) الى شهادة بلينوس فى القرن الاول الميلادى ، الذى أشاد بوفرة انتاج عسل النحل وجودته (102) •

---

(97) Herodote, IV, 187 et 189; Homère, **Odyssée,** IV, 85, 89.

(98) Polybius, XII 5, 3-4; Titus Livius, XXIX, 31?; Sallustius, XVII, XX, XLVI, XLVIII, LXXV.

(99) Gsell (St.), **op. cit.** t. 1, p. 228 et t. V. p. 181.

(100) Precheur-Canonge (T.), **La vie rurale en Afrique romaine, d'après les mosaiques,** P.U.F., (Paris s.d.), p. 72.

(101) Herodote, IV, 194.

(102) Plinius, H.N., XI, 33.

2 ــ الصناعة : رغم أن المؤرخين القدامى لـــم يولوا اهتماما لما يمكن أن نسميه نشاطا حرفيا ، غير أن البقايا الاثرية والنقوش يمكن أن يستشف منها تنوع وتعدد هذه الحرف (103) •

نجد فى هذه النقوش ما يدل على سبك الحـــديد وصناعـــة النسيج والاقواس والسهام والدباغة والصباغة الارجوانيـــة باستغلال المريق ، وكذا صناعة الفخار •

أ ــ صناعة الفخار : اذا كان كومس يقسم الفخار الى فخار نذرى لا يحتوى على أكثر من قيمته التعبدية ، وفخار عائلـــى موجه لمختلف الاستعمالات ، مما ينجم عنه تعـــدد الاحجـــام والاشكال ، فان قزال قسم الثانى بدوره مـــن حيـــث اللـــون والزخرفة الى نوعين : فنجد القدور والجفن والصحون والفناجين والمصابيح بلون رمادى أو لون داكن أو أسود ، وهـــى غـــير جديرة بالزخرفة ، فيكتفى السكان بتلميس جدرانها الداخلية • أما النوع الثانى فهو الفخار المصبوغ ، وصناعته أكثر اتقـــانـــا وتنوعا ، ورغم كونه ريفيا هو الاخر ، فهو مزخـــرف باللـــون الاسود أو الداكن السمرة رفقة اللون الاحمر ، كمـــا يلمـــس عموما بطبقة رقيقة من الصلصال بلون سكرى ، والزخرفة ترتكز على أشكال هندسية مستقيمة مسطرة بالفرشاة (104) •

أما عن الاوانى فيمكن أن نصنفها فى أربع مجموعات :

أ أ ــ أوانى الطهى •　　أ ب ــ أوانى الاكل •

أ ج ــ أوانى الشرب •　　أ د ــ أوانى التخزين •

---

(103) انظر على سبيل المثال نقوش معبد الحفرة •

(104) حـــول التفاصيـــل انظـــر : محمد الهادى حارش ، التطور السياسى والاقتصادى ، ص 110 ــ 119 •

من ضمن أوانى المجموعة الاولى ، يمكننا ادراج أنواع القدور المختلفة والجفن ، اضافة الى الطاجين والكسكاس ، بينما نصنف ضمن المجموعة الثانية أنواعا مختلفة من الصحون تختلف من حيث العمق والشكل أشهرها المثرد ، ونجد فى المجموعة الثالثة أنواع الفناجين والاقداح والاباريق والكؤوس ، وفى المجموعة الرابعة نجد الجرار المتنوعة الاحجام والاشكال (105) .

ب ـ صناعة الملابس والحلى :

ب أ ـ الملابس : من ضمن الملابس التى استخدمها المغاربة القدامى ، نجد الجلباب والمعطف ، ولبسوا تحت المعطف سترة، كما ارتدوا ملابس داخلية خفيفة ، وأحيانا كانوا يكتفون بسترة توثق بحزام حول الوسط أو بجلباب قصير (106) .

كانت الجلابيب تلبس تحت المعطف ، وكانت المعاطف تصنع من الصوف ، اما الجلابيب فهى من القماش ، غير أنها ليست قاعدة دائمة ، فيمكن لهذه الاخيرة أن تكون من الصوف الذى كان يغلب استخدامه فى الملابس المغاربية (107) .

اضافة الى الملابس السالفة يمكننا أن نضيف ملبسا آخر ، أخذ شهرته ضمن الملابس المحلية ، وهو البرنس (البرنوس) ، الذى كان ينسج من الصوف الابيض عادة ونادرا ما كانت

---

(105) نفسه .

(106) نفسه ، ص 120 — 122 .

(107) Cf. Gsell (Stè), H.A.A.N., t. 6, p. 28.

تستخدم فيه الالوان ، أما عن قدم صناعة البرنس عند المغاربة، فرغم تردد قزال فى اقرار قدمها ، فان الرسوم الصخرية العائدة الى الفترة النوميدية فى منطقة سيقوس ، والتى درسها بيرثيه ولوجيار ، وضعت حدا لهذا التردد (108) فالاشخاص الذين يظهرون على هذه الرسوم يرتدون معطفا ببرنس بأطراف عريضة مفتوحا الى الامام ، وهو المعطف الذى يقدم فى نظر هؤلاء نموذجا كاملا للبرنس الحالى •

أما عن مكانة الصناعات النسيجية المغاربية ، ضمن الانسجة المتوسطية ، فرغم ندرة النصوص ، غير أن القليل المتوفر منها يسمح لنا بالقول أن شهرة الانسجة المغاربية قد تجاوزت الاسواق المحلية ، فهذا مارتياليس (Martial) يتحدث فى عدة مواقع على الجوخ المصنوع من شعر الماعز فى لبدة (109) ، كما أشاد فيرجيليوس بالقبعات الليبية المصنوعة من نفس الشعر (110) ، وتحدث سولينوس (Solin) عن الاقمشة الارجوانية التى تنافس مثيلاتها القادمة من الشرق (111) •

ب ، ب ـ الحلـى : يعثر فى القبور ضمن الاثاث الجنائزى

---

(108) Berthier (A.) Logeart (F.), «Gravures rupestres de Sigus», **Revue Africaine**, t. 81 (1937), pp. 391-393.

(109) Martial, **Epigrammes**, (4 vol.), trad. par V. Verger, N.A. Dubois et J. Mangeart, ed. Panckoucke, (Paris 1834-35), Liv VIII, 51.

(110) Virgilius III, 310.

(111) Solin (C. Julius), **Polyhistor**, trad. A. agnant ed. panckoucke, (Paris 1847), Liv. XXVII.

على الكثير من الحلى ، ضمنها خواتم وأقراط وخلاخل وعقـد وأساور من معادن مختلفة (112) والزجاج •

ج ـ صناعة الاسلحة : لا نعرفها الا من خـلال بقاياها فى القبور والنصوص النادرة ، وربما كان الرمح من أقدم الاسلحة التى استخدمها المغاربة ، وهو السلاح الذى ينسب عـادة الى النوميديين والمور ، وقد عثر على بقايا رماح فى قبر الخـروب (112مكرر)،كما يبدو محاربون على النصب الجنائزية فى العديد من المواقع وبأيديهم رماح ،كما عثر على رؤوس رماح فى العديد من المواقع ، الى جانب الرمح ذكر القدامى السكين كسـلاح ينسب أيضا الى النوميديين والمور (113) خلافا للسيف الـذى لم يذكره هؤلاء كسلاح نوميدى ، وهو ما جعل قزال يميل الى عدم استخدام النوميديين للسيف كسلاح (114) لكن لنا مـن الشواهد ما يدل على عكس ذلك ، فاضافة الى العثور على سيف ضمن الاثاث الجنائزى لقبر الخروب الذى يعزى عادة للعاهـل ماسنسان (115) نجد الرسوم الصخرية بتركابين (Tirakabine)

---

(112) Camps (G.), **Aux origines de la berberie, monuments et rites funeraires protohistorique,** Arts et metiers graphiques (Paris 1961), pp. 423-432.

(112 مكرر) Bonnel (M.), «Monuments Gréco-puniques de la Soumâ», Rec de **Constantine,** t. 49 (1915), pl. 7, p. 178 n° 3.

(113) Camps (G.), **Massinissa,** P. 111

(114) Gsell (St.), **H.A.A.N., t. 6, p. 43**

(115) Bonnel (M.), **op. cit.,** pl p. 178 n° 1.

التى نشاهد فيها محاربا وبيده سيف (116) ، وكذا نصب معبد الحفرة بقسنطينة ، التى نجد فيها السيف المرفق بالدرع والرمح (117) • أما الخناجر والسيوف القصيرة فنجد ذكرها عند العديد من المؤرخين منذ القرن الخامس ق•م حتى عهد سالوستيوس (118) وسترابون (119) •

هذا حول ما يمكننا أن نسميه بالاسلحة الهجومية ، اما الاسلحة الدفاعية فنجد الى جانب خوذة الخروب (120) ، الدروع وواقية الصدر • أما عن الدروع فنجدها على الرسوم الصخرية وعلى النصب البونيقية والنوميدية ، وكذلك تلك المنقوشة على قبر الخروب ، كما تحدثت النصوص على هذه الدروع المصنوعة من جلد الفيل ، وهو ما نجده مثلا عند ابيانوس فيما يخص درع ماسنسان (121) ، وكذا أوروسيوس وسالوستيوس عند جنود يوغرطة (122) •

أما واقية الصدر التى تحدث عنها سترابون فهى الاخرى

---

(116) Vel (A.), «Monuments et inscriptions libyques relevés dans les ruines de Tir-kabine», Rec. de Constantine, t. 39, (1905), p. 204 et pl. 2.

(117) Berthier (A.), Charlier l'Abbè-René), op. cit., pp. 193-9q. pl. 17-18.

(118) Sallustius, Bell. Jug., CI,

(119) Strabon, XVII.

(120) Bonnel (M.), Loc. cit.

(121) Appianus, The punique war, VIII, 7-46

(122) اوروسيوس ، V , 15 ؛ سالوستيوس ، حرب يوغرطة ، 94 •

كانت تصنع من الجلود وليس لنا حولها أى وصف أو صورة (123) •

3 ـ **التجارة** : الحديث عن التجارة يؤدى بنا الى تقسيمها الى تجارة داخلية وتجارة خارجية ، ومعارفنا عن الاخيرة ربما أوسع من معارفنا عن الاولى ، وهذا راجع الى ما سبق وقلناه من أن اهتمام المؤرخين اللاتين والاغريق لا ينصب على المنطقة الا عندما تكون على صلة بهم ، ومن هنا يصعب علينا الخوض فى هذا الموضوع ، لكن من بين الفرضيات التى يمكن تقديمها هى أن المنطقة ـ كما رأينا سابقا ـ اعتمدت أساسا نمطين من الحياة : الزراعة والرعى ، وعرفنا أن الانتاج فى كلا النمطين كان فائضا عن الحاجة ، فالمزارع عندما يخزن حاجاته السنوية من الحبوب وبعد أن يدفع ما عليه من الضرائب ، كان عليه أن يبيع الفائض • والرعاة بدورهم كانوا يمتلكون فائضا من الجلود والصوف ، أما المدنيون فكان عليهم تقديم لهؤلاء وأولئك بعض المصنوعات اليدوية والادوات •

كان الرعاة يقدمون الصوف والجلود مقابل الحصول على الحبوب ، أما المدنيون فكان فى صفوفهم حرفيون مختلفون يقدمون للفلاحين أدوات العمل ، بينما يقدم الزراع الحبوب ، وبذلك يجد الرعاة بالمدينة السوق التى يقتاتون منها ما يحتاجونه ويتمكن الحضريون والقادمون من المناطق النائية شراء ما

(123). Strabon, XVII, 3, 7.

يلزمهم من مواد وأدوات • ولهذا الغرض انتظمت الاسواق فى شكل معارض أسبوعية فى بعض المدن (124) •

والمدن التى كانت تقوم بهذا الدور هى مدن المراكز الزراعية الكبرى مثل باجة التى كانت تمثل سوقا كبيرا من الحبوب ، وكذا سيكا التى كانت تتوسط اقليم انتاج القمح ، وقيرطا التى كانت سوقا أساسيا يرتاده الناس من مختلف الاقاليم (125) •

اضافة الى هذه التجارة المحلية البرية ، يمكننا الحديث عن عمليات الصرف التى كانت تقوم بها بعض المدن التى تستجيب للحركة التجارية الكبرى ، فتصرف انتاجها نحو المراكز الكبرى حيث تتمكن السفن ضمان النقل لها داخل نوميديا ، وفى هذا الاطار تكشف لنا النقوش العلاقات الاقليمية القائمة بين طداى (بجاية) ويول (شرشال) (126) ، وهذه الاخيرة وقونوقو (قوراية) (127) وبين يول وطنجة (128) وربما طنجة مع بجاية (129) • وظل الاتصال بين طنجة ومرسى الكبير قائما عن طريق البحر حتى وقت متأخر (130) •

---

(124) حول هذا الموضوع انظر : محمد الهادى حارش ، التطور السياسى والاقتصادى ، ص 131 — 133 •

(125) نفسه •

(126) C.I.L., VIII, 21032

(127) ID., 9423

(128) ID., 9422

(129) Thouvenot (R.), «Notes sur les marques d'amphores trouvées à Volubilis», B.A.C.T. H., (1946-49), pp. 526-528.

(130) Tacite., Histoires, trad. H. Goelzer, ad. Gallimard,(Paris 1980), Liv. II. 59.

أما عن التجارة الخارجية ، فقد رأينا سابقا أن ماسنسان قد استرجع معظم المدن الساحلية التى أصبحت بوابات له على عالم البحر الابيض المتوسط ، وكسر بذلك الاحتكار الذى فرضته قرطاجة على بلاد المغرب منذ أمد طويل ، وهو ما سيساهم فى انعاش الحركة التجارية التى نفهم من المصادر أنها كانت موجهة ، لكن لا نشك فى وجود تجارة حرة ، ففى عهد ملوك نوميديا عرفت مدن اقليم طرابلس نشاطا تجاريا كبيرا ، وكذا هيبو — ريجيوس وروسيكاد والقل ، وبفضل هذه المنافذ من جهة والنمو الاقتصادى الذى عرفته نوميديا فى عهد ملوكها خاصة فى المجال الزراعى من جهة أخرى ، عرفت نوميديا نشاطا تجاريا واسعا تجاوز أسوار روما ليشمل العديد من بلدان المتوسط ، وهو ما تدل عليه البقايا الاثرية التى عثر عليها فى مختلف هذه البلدان كالقطع النقدية التى عثر عليها فى يوغسلافيا وبلاد غالة (فرنسا) واسبانيا هذا اضافة الى بلاد الاغريق وايطاليا .

كانت الحبوب تحتل مركز الصدارة فى الصادرات النوميدية، لكن فى ذات الوقت لا نشك فى أن الحبوب لم تكن الصادرات الوحيدة ، فالحيوانات والانتاج الحيوانى كان هو الاخر وراء نشاط تصديرى نشيط على ما يستشف من النصوص ، فمن ضمن الحيوانات التى تحدثت عنها النصوص نجد الفيلة النوميدية التى نجدها فى صفوف الجيوش الرومانية . ومن المؤكد أيضا هو رواج تجارة العاج الذى نعته الشعراء دائما بالعاج النوميدى .

اضافة الى الفيلة يمكننا الحديث أيضا عــن الخيــول التى يستشف من تيتوس ليفيوس أن الملك ماسنسان قد عقد عــدة صفقات مع روما موزعة ما بين سنتى 200 — 170 ق٠م بالشكل التـــالى :

— سنة 200 ق٠م : أظهر ماسنسان استعداده لتقديم ألفــى (2000) فرس ، لكن روما قبلت ألف (1000) فرس فقط ٠

— 198 ق٠م : صفقة بمائتى (200) فرس ٠

— 191 ق٠م : صفقة بخمسمائة (500) فرس ٠

— 171 ق٠م : صفقة ألف (1000) فرس ٠

— 170 ق٠م : صفقة بألف ومائتى (1200) فرس ٠

كما كانت الملاهى الرومانية فى حاجة الى الحيوانات للتسلية خاصة الحيوانات المفترسة ، فقد تحدثت النصوص عن الاسود والفهود والعسابر والضباع والدببة ٠

اضافة الى هذه الحيوانات الموجهة للعراك ، يمكننا أن نتحدث عن المواشى كالابقار والخيول التى استخدمت جلودها فى مختلف الاغراض ، كما استخدم صوف الاغنام وشعر الماعز فى صناعــة أنواع من المنسوجات نالت شهرة كبيرة وكانت محــل تجــارة كبيرة ، وكذا العسل الافريقى الذى تجاوزت شهرته الحدود منذ عصر هيكاتايوس وهيرودوتس ليبلغ الاوج فى عصر بلينــوس الذى اعتبره أحسن الانواع (131) ٠

---

(131) محمد الهادى حارش ، التطور السياسى والاقتصادى ، ص 140 — 142 .

من بين المنتوجات الطبيعية يمكننا الحديث عن الاخشاب التى كانت تستخدم فى مختلف الاغراض كالعصفية والبلوط الاخضر المستخدمين فى صناعة الاثاث ، وأخشاب الارز المستخدمــة فى البنايات العامة ، اضافة الى المرمر ، هذا حول الصادرات ، أما الواردات فمعارفنا بها أقل ، وهذا بسبب سكوت المصادر التى لم تهتم بالسلع المصدرة من روما اهتمامها بالسلع التى تصــل الى هذه المدينة واعتمادا على البقايا الاثرية يمكننا القول أن أهم الواردات هى: المصنوعات الفخارية كالمصابيح والاجر والانابيب التى يعثر عليها فى مناطق مختلفة من بلاد المغرب .

الحيـــاة الفكـــرية والدينيـــة

1 ـــ الحياة الفكرية (اللغـــة والكتابـــة) : •

أ ـــ اللغـــة : ان اللهجـــات القبائلية والشـــاوية والميزابية والشنوية والتارقية والشلحية ، التى مازالت منتشرة فى الجزائر والمغـــرب الاقصى ، مشتقة من اللغـــة الليبيـــة التى كانـــت اللغة المشتركة لاسلافنا فى كامل المنطقة الممتدة من سيوة شرقا الى جزر الكنارى غربا، ومن ضفاف البحـــر الابيض المتوسط شمالا الى أطـــراف مالى والنيجر جنوبـــا والمعروفـــة لدينـــا بالامازيغية •

وقد استطاع هؤلاء الاسلاف نقلها الينا رغم عواقب الدهر والمنافسة التى تعرضت لها عبر التاريخ من اللغات الدخيلة بدءا بالفنيقية الى اللاتينية والاغريقية (132) وهى تتعـــرض الان للاندثار والانقراض أمام زحف المدرسة ووسائل الاعلام ، وكذا المركزية الادارية ، ان لم نعمل على انقاذها كلغة وتراث وطنـــى يعتز به كل أبناء المنطقة المغاربية •

ب ـــ الكتـــابة : كانت توجد فى البلاد المغاربية كتابة خاصة ، استخدمت من طـــرف الممالك المحليـــة كلهـــا، كما استخـــدمها

---

(132) انظـــر :
Decret (F.) et Fantar (M.), op. cit., p. 35.

المواطنون (133)، وهى تحتوى على ثلاثة وعشرين حرفا، على ما يذكر الاسقف فولجانتيوس (134)، (Fulgentius) وتعرف بالكتابة الليبية واحيانا النوميدية ، ومنها اشتقت الكتابة التيفيناغية (135) •

يعد نص دوقة المزدوج — بونيقى — ليبى ، أول وثيقة ليبية مؤرخة بدقة ، وهو عبارة عن كلمة اهدائية من معبد أقيم لماسنسان فى السنة العاشرة من حكم ابنه مكوسان، أى سنة 139 ق م• :قش مزدوج آخر عثر عليه فى نفس المنطقة يخلد اقامة ضريح، قد يعود الى نفس الفترة، وكذا نصوص ليبية أخرى من نفس المنطقة مرتبة فى خطوط افقية (136) •

ولم تختف الكتابة الليبية فى الفترة الرومانية ، اذ عثـــر على العديد من النصب الليبية أو الليبية ــ البونيقية الجــديدة أو الليبية اللاتينية (137) • واستمرت كذلك فى نهايـــة العصـــور

---

(133) حول قدم الكتابة الليبية ، انظر :
Camps (G.), Recherches sur les plus anciennes inscriptions Libyques de l'Afrique du Nord», **Bulletin archéologique** (H.S.), t. 10-11 (1974 -75), pp. 143-166.

(134) Fulgence, **de actatibus mundi et heminis**, preface, ed. Helm, p. 131
— ويذكر جيمس فيفرى انه اذا كانت نقوش دوقة الافقيـــة تبدو لا تحتوى الا على اثنين وعشرين حرفا، فهذا العدد يتعدى الى اربعة وعشرين حرفا في النصوص الموضوعة عموديا .
— انظـــر :
James (G.) Fevrier, **Histoire de l'ecriture**, ed. payot (Paris 1948), p. 318.

(135) انظر شكل 1، ص 135 .

(136) Gsell (St.), **H.A.A.N.**, t. 6, p. 94.

(137) **Loc. cit.**

المقابل بالحرف اللاتيني	ألفباء ليبية قديمة	الألفباء الحالية	ألفباء النسخ النصوص العربية	المقابل بالحرف العربي
ʼ	I	•	•	أ
b	⊙ ⊡	⊖ ⊞ ⊖ ⊟	⊖ ⊞ ⊖ ⊟	ب
g	ᒋ I 1 Λ V	Ӽ X Ӽ		ڨ
d	⊏ ⊐	Λ Π V ⊔	Λ Π V ⊔	د
h	IIII	⁝	⁝	ه
w	II	:	:	و
z	Ш	ӾӾ	ӾӾ	ز
ḥ			::	ح
ṭ	≻	+Ǝ	■	ط
y	Z ∿ ϟ	≩	≩	ي
k	⥣ ⥣	⁖	⁖	ك
l	=	II	II	ل
m	Π ∪	⊐	⊐	م
n	—	I	I	ن
s	⌘ ≽	⊙ ⊡	⊙ ⊡	س
ġ	III ≡	⁝	⁝	غ
ṣ	℞ 8			ص
q	⋈ X	...	••	ق
r	O □	O □	O ᑭ	ر
š	W ʍ	Ꮽ Ↄ	Ꮽ Ↄ	ش
t	X +	+	+	ت
ṯ	⋈			ث
f	H	⋈ X	H I	ف
ǧ (dj)	+ +	⁄. ⁄		
ẓ	Ш m	#	Y	
ḍ			+Ǝ	ظ
ḍ		Ǝ	Ǝ	ض
ž		H I ӾӾ	Ӿ	ج
ḫ		⁝	⁝	خ

-شكل ٤: مقارنة الألفباء القديمة والحالية -
(الليبية و التيفيناغية).



القديمة ، مع ما يعرف اصطلاحا بالنقوش الصخرية الليبيـــة ـ البربرية التى يعثر عليها فى مختلف مناطق بلاد المغرب : جنوب وهران ، المغرب الاقصى ، اقليم طرابلس ، برقة ، وفى مناطق متفرقة من الصحراء ، وهى النقوش التى يرى جيمس فيفرى أنها تقدم شكلا من الكتابة الانتقالية بين الكتابة الليبية والكتابة التيفيناغية المشتقة منها (198) •

رغم أن كتابة الطوارق مشتقة من الليبية القديمة ، غير أننا نجد أن بعض حروف « التيفيناغ » لا تقدم نفس النطق الذى تقدمه الحروف الليبية التى تماثلها بالضبط فى الشكـــل (39)، وحروف أخرى لا توجد فى الكتابة القديمة (40) ، وعليـــه تـــم استخدام النقشين المزدوجين المشار اليهما اعلاه كقاعدة فى فـــك رموز الكتابة الليبية انطلاقا من اسماء الاعلام •

ومن ضمن العلماء الاوائل الذين ساهموا فى ذلك يمكننا ذكر

---

(138) James (G.) Fevrier, op. cit., pp. 322-324.

(139) يرى شابو (J. B. Chabot) انه لا يمكن الاعتمـــاد على الابجدية التيفيناغية لتعدد قيمة الرموز الليبية في المعددة مثلما فعل (Duveyrie) لان هناك بعض الرموز المتشابهة في الشكل المختلفة القيمة بفعل الزمن منها : -
ينطق ب B في الليبية س S في التيفيناغية ، X
ينطق ف F في اللبية ق G في التيفيناغية . انظر :
Chabot (J.B.), «Inscription néo-punique de Teboursouk», J.A., 1918, p. 266.

(140) رغم ان كتابة الطوارق مشتقة من الليبية القديمة غير ان بعض الحروف اخذت قيمة صوتية مخالفة ، بينما ابتدعت حروف اخرى حتى تستجيب للاحتياجات الجـــديدة الناجمة عـــن تسرب اسمـــاء ومصطلحات جديدة الى لغة الاهالى وخاصة العربية . حول هـــذا الموضوع أنظـــر :
Berger (Ph.), Histoire de l'ecriture dans l'antiquité, 2e éd. Imp. Nationale (Paris 1842), p. 325

سولسى (Saulcy) جــوداس (Judas) هاليفى (J. Halévy)
شابو (J. B. Chabot) مينهوف (C. Meinhof)
وجورج مارسى (Marcy) (141)

أما عن اتجاه الكتابة الليبية ، فهو متغير ، ففى نقوش دوقة التى منها النقشان المزدوجان المذكوران أعلاه نجد الحروف مرتبة فى شكل أفقى، تقرأ من اليمين الى اليسار بتأثير ــ ربمــا ــ من الكتابة البونيقية الموجودة معها فى النقوش (142) ، وفى حالات أخرى نجد الكتابة موضوعة فى صفوف عمودية متوازية ، تقرأ من الاسفل الى الاعلى، والبدايــة من اليسار • ويــرى فيفرى أن الكتابة العمودية هذه أقدم من الكتابة الافقية (143) ، والمرور من الكتابة العمودية الى الكتابة الافقية، تسبب فى حالات كثيرة فى تغيير اتجاه الحروف (144) ، وفى التيفيناغ نجد اتجاه الكتابة عادة من اليمين الى اليسار ، تأثرا بالحرف العربى (145) •

---

(141) De Saulcy, «Inscripiton bilingue du mausolée de Dougga», J.A., (1843-I); Judas (A.C.), **l'Ecriture et la langue bérbère dans l'antiquité et de nos jours**, 1-11) et(1884-1); Chabot (J.B.), «Note sur l'alphabet libyque, C.R.A.I., (1917). pp. 558-563.

(142) Meinhof, **Die Libyschen inscripten** (1931), G. Marcy, «Les inscriptions libyques de l'Afrique du Nord», in **C.S.A.** t. 5, (1936); Faidherbe, **Collection complète des inscriptions numidiques**, 1870.
Gsell (St.), **H.A.A.N.**, t. 6, p. 95; Fevrier (J.G.) **op. cit.**, p. 319.

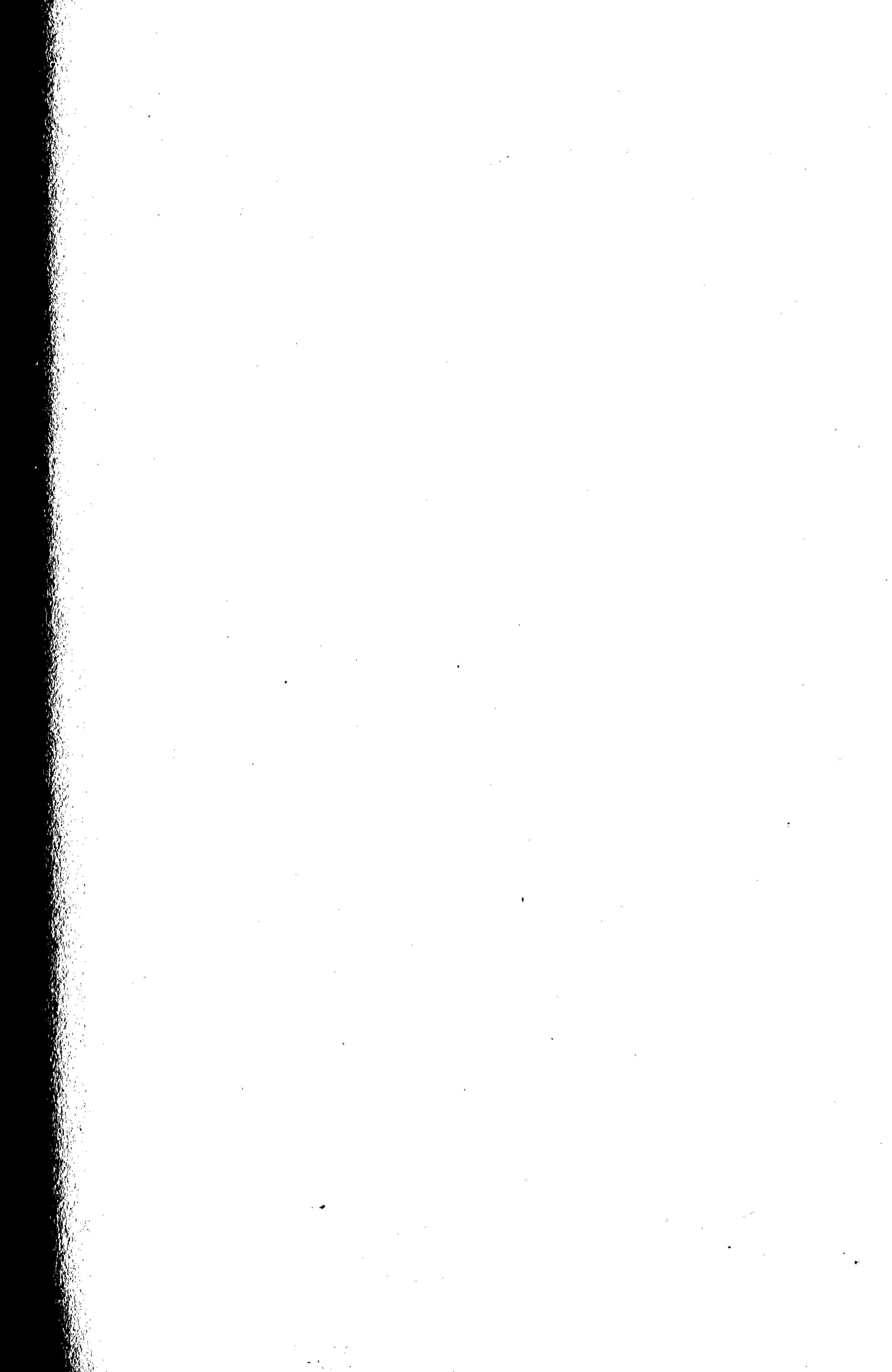
(143) Février (J.G.), **Loc. cit.**

(144) قارن بين حــروف الكتابة العمودية والكتــابة الافقيــة فى شكل 2، ص 139 .

(145) Février (J.G.), **Loc. cit.**

الكتابة الأفقية من اليمين الى اليسار	الكتابة العمودية من أسفل الى أعلى	المقابل بالحرف اللاتيني	التيفيناغية الحالية	النوميدية (الليبية)	المقابل بالحرف اللاتيني
⦶	⊙ ◻	b	⊕ ⊖ Ⅲ	⊙	b
⌐ ←	Y ^	g	⸸ ÷	← Γ Ч	g
Π	⊐ ⊏	d	Π Λ ⊔	Π ∩	d
	IIII	h	⁞	≡	h
=	II	ẙ	:	=	w, h², ū
—	—	z	⧺	— ·	, h1, ā
H	H I	ž	I	H I	, h2, a
⋒	Ш	z̄	Ж ⤙		·
⊢	⊥ T	χ	∴	⊢ ⊢	s
⤚ ⤚	m	ṭ, ḍ	Ǝ Ш	m	z (vaut ṭ)
Z	N Z	ḳ	ɛ ʒ	Z N ʕ	y, ī
⇐	1ʃ	k	⁖	⇐ ⇍	k
II	=	l	II	II	l
⊐)	⊔ ∪	m	⊐ ⊏	⊐ >	m
I	I	n	I	I	n
⧗	⧗ 8	s	⊙ ⊡	⧗ ∞	s
⊏ ⊂ ⋐	Π	s² ?		⊏ C	ṯs
≡ ÷	III ⸸	ɣ	⁝	≡ ÷	ḡ, iy
ⴳ	ⴵ ɣ ⴳ	f, p	⌶ ≍	X ⤫ ȣ	f
	≡	q	...	III	h³
		ġ	⋈ ⋉		
O	O ◻	r	O ◻	O ◻	r
ʒ	M ɛ	š	3	ʒ	š
+ X	+	t	+	+ ⋺	t
⋺	⊔	t² ?		X	ṯ

شكل 2 : الألفباء النوميدية (الليبية) الأفقية والعمودية و التيفيناغية الحالية



أصل الكتابة الليبية:كون الكتابة الليبية كتابة صوتية (Phonetique) تماما ، وليست كتابة مقطعية (146) مثلما هو في كتابات قديمة أخرى ، وكونها أبجدية حقيقية لا تحتوى الا على عدد قليل من الحروف الصامتة Consonnantique فقط ، حير قزال (147) الذى تساءل فى البداية ، ان لم يستخدم الاهالى نظاما تصويريا ، كانت فيه الصورة تعيد الاشياء أو الاشخاص ، قبل أن تتطور لاحقا الى علامات صوتية ، أخذت مظهرا خطيا بالتغيير والتبسيط ؟ • وبعد أن يجيب بالنفى عن هذا التساؤل ، يتساءل أيضا عن الرموز التى تظهر على الرسوم الصخرية والشبيهة بالابجدية الليبية (148) ان لم تكن عناصر كتابية ، خاصة وأن عدد الحروف نفسه فى بعض الرسوم يمكن أن يشير الى تسلسل عدة أفكار ؟ مما جعله يفترض أن عددا منها استخدم دون أى تأثير أجنبى ، لتشكيل أبجدية ليبية خاصة ، (149) لكنه ، يتراجع ويرفض هذه الفريضة لا لشىء سوى لايمانه بعجز الافارقة على

---

(146) Cf. Fevrier (J.G.), **Loc cit.**

(147) Gsell (St.), **H.A.A.N.**, t, 6, pp. 101.

148 حول هذه الرسوم التى تؤرخ بالالف الثانية ق.م ، انظر : Flammand (G.B.M), **Les pierres écrites (Hadjrat maktoubat),Gravures et inscriptions rupestres du Nord Africain, éd.** Masson et Cie, (Paris 1921), pp. 69, 115 et 356;

(149) Gsell (St), «Notes d'archéologie algérienne», B.A.C., (1899), pp. 440-441; ID., **Les monuments antiques de l'Algérie,** (2 vol.), éd. Fontemoing (Paris 1901), t. pp. 47-49; Blanchet (M.), «Excursion archéologique dans le Hodna et le Sahara, **Rec. de Constantine,** t. 33, (1899) p. 304

مثل هذا الابداع الذى يشرفهم حسب تعبيره (150) ، وجعله يتساءل ان لم تكن من تأثيرات أجنبية ، وبعد أن يستبعد التأثيرات الايجية والاغريقية القديمة والعربية القديمة لمختلف الاسباب الموضوعية : بالنسبة للكتابة الايجية يلاحظ كثرة عدد الحروف فيها وكونها كتابة مقطعية (151) ، شأنها شأن الكتابة القبرصية التى اشتقت منها ، بينما الكتابة الليبية كتابة أبجدية ، أما الاغريقية العتيقة ، فان كانت أبجدية هى الاخرى وتحتوى بعض الحروف المتشابهة فى الشكل واللفظ مع الليبية ، فالحروف المختلفة أكثر بكثير ، فضلا على أنها تحتوى لا على الحروف المتحركة فقط ، لكن أيضا الحروف الساكنة وبالتالى يتساءل لو تبناها الافارقة لماذا يتخلون عن الحروف الساكنة ؟

أما عن الابجدية العربية ، فيرى أيضا أن التشابه بينها وبين الالفباء الليبية محدود فى بعض الحروف ، وأن وجود علاقات ثقافية متواصلة بين البلاد العربية وشمال افريقيا — باستثناء مصر — فى الالف الاولى ق•م ، مسألة لا تتجاوز كونها افتراض (152) •

بعد أن يستبعد قزال هذه الابجديات ، تبقى الابجدية الفنيقية ، وهنا أيضا يستبعد الابجدية القرطاجية ، التى تقدم شكلا مختلفا جدا عن الالفباء الليبية فى القرن الثانى ق•م، قبل

---

150 قزال ، المرجع نفسه .

151 الكتابة المقطعية (l'écriture syllabique) : هى كتابة يتمثل فيها كل مقطع بحروف .

152 فضلا على قزال ، ج6 ، ص 105 ، انظر ايضا فيفرى ، المرجع السابق ، ص 322 .

أن يشير الى العلاقات المستمرة التى قامت بين الفنيقيين والافارقة منذ القرن الثانى عشر ق٠م ، وبالتالى ضـــرورة ربط الكتابـــة الليبية بأقـــدم النقوش الفنيقيـــة وهنـــا أيضـــا يـــلاحظ أن الحروف المختلفة أكثر بكثير من الحروف المتشابهة ، مما جعلـــه يفترض تعديلا واسعا لها من طرف الاهالى الذين لم يحتفظـــوا الا ببعض الحروف (153) ، قبل أن يقترح احتمالـــين اثنـــين آخـــرين :

1 ـــ الالفباء الليبية لم تشتق من الالفباء الفنيقية مباشرة ، لكن الابجديتين مشتقتان من ألفباء قديمة جدا ، تكون قد انبثقت عنها كتابات أخرى ، وبذلك يبـــرر التشابه الظاهرى العـــام ، والتشابه في الشكل والنطق لبعض الحـــروف ، وفيمـــا يخص الاختلافات كانت نتيجة التغيير والانتقاء ، وهى فرضية يدعمها فلاندرس بترى (Flinders Petrie) ، ولا تحمل دليل وجود هذه اللغة الام ، وتصطدم باعتراضات قويـــة ٠

2 ـــ يكون الافارقة قد تبنوا « نظـــام كتـــابة » ترتكز على استخدام عدد قليل من الرموز البسيطة ، لكن لم يتبنوا « شكل الحروف » الفنيقية ، باستثناء أربعة أو خمسة ، التى تشبه تماما العلامات أو الرمـــوز التى كانـــوا يستخدمونها منـــذ وقـــت طويل (154) ٠ بالنسبة لباقى حـــروف أبجديتهم يكونـــون قد

---

(153) Gsell (St), H.A.A.N., t. 6, p. 106.

154 يشير هنا الى الرموز التى تظهر على الرسوم الصخريـــة ، انظر ص 143 رقم 148 .

استمدوها من مجموعة هذه العلامات (155) ، وهو ما يعني في رأينا أن هذه الابجدية أصيلة ، وهو رأى فريدريك J. Friedrich الذى يعتقد بأن الكتابة الليبية نشأت نشأة مستقلة ، ولا شيء يشركها بالكتابات السامية غير المبدأ ، مستدلا على ذلك بـ :

1 ـ عدم تطابق الحروف الليبية مع أية حروف سامية ، باستثناء حروف محدودة جدا .

2 ـ الكتابة الليبية خلافا للكتابات السامية تدون الحروف الساكنة الاولية .

3 ـ الحروف مرتبة فى الاصل من أسفل الى أعلى ، وليس من اليمين الى اليسار ، مثلما هو فى الفنيقية ، وهو ما جعله يستخلص أنه اذا تعرضت الكتابة الليبية لتأثيرات بونيقية لاحقا فهى لم تكن أقل أصالة فى نشأتها (156) .

2 ـ الحياة الدينية :

اذا كان البعض يرى أن منطقة المغرب القديم ، تتوفر على أقدم الوثائق حول أصول الانسان (157) ، فان الانسان القفصى

---

(155) Cf. Gsell (St.), **Loc. cit.**; Fevrier (J.G.), **op. cit.**, pp. 320 et 322.

(156) J. Friedrich, zdmg, 91, 1937, p. 334 etsuiv., d'après Fevrier (J.G.), **op. cit**,; p. 322.

(157) **Piganiol (A.), «La religion et les Mouvements sociaux dans le Magreb antique» C.H.M., t. 3, (1956-57), p. 813.**

أيضا يبدو من آثاره ، أنه مارس بعض الشعائر الدينية منذ الألف الرابعة قبل ميلاد المسيح عليه السلام • وعند قدوم الملاحين الفنيقيين فى أواخر الالف الثانية ، كانت فى بلاد المغرب مواقع مقدسة كثيرة تعبد فيها آلهة أهلية •

واذا كان المغاربة قد عبدوا « الشمس والقمر » على ما يذكر هيرودوت فى العصور اللاحقة (158) ، فان الشمس والقمر ظلتا تتصدران النصب الجنائزية في مواقعهم الاثرية حتى في الفترة الرومانية (159) ، مما يدل على عمق تأثيرها في صفوف الاهالى •

حديث هيرودوت عن عبادة الليبيين للشمس والقمر (160) ، ومعرفتنا للصلة الوثيقة بين هذين المعبودين وبعل حمون وتانيت المعبودين فى قرطاجة ، يجعلنا نتساءل عن أصول المعبودين الاخيرين ، ان لم يكونا من أصول محلية ، وقد نجد فى نصوص معبد الحفرة ، ما يدعم هذه الفكرة ، وكذا التشابه فى اللفظ بين نيت التى عبدها المصريون باسم « نيت — تهينو » أى نيت الليبية ، و « تانيت » المعبودة فى قرطاجة ، اذ أننا اذا حذفنا من «تانيت» «تا» الدالة على التأنيث فى الامازيغية حصلنا على « نيت » التى عبدها المصريون (161) • وهو شأن

---

(158) Herodote, IV, 188.

(159) Cf. Le Glay (M.), **Saturne africain**, (2 vol.), éd. deBoccard, (Paris 1966).

(161) Herodote, L. C.

161 حول هذا الموضوع انظر مقالتنا : « حول التاثيرات المغربية فى الحوض الشرقى للمتوسط » ، حوليات جامعة الجزائر ، العدد 3 (1987) ، ص 97 — 104 .

« الكبش آمون (162) » ، الذى حاولت أن أجد الصلة بينه وبين الاله « بعل ــ حمون » والوصول الى أن كل ما في الامر هــو عملية مزج حدثت بين المعبود الفنيقى « بعل » والمعبود « آمون » المعبود عند المغاربة قبل قدوم الملاحين الفنيقيين بوقت طويل ، وهو ما فعله المصريون عندما مزجوا « رع » المعبود في ممفيس بـــ « آمون » عندما انتقل مركز الحكم الى طيبة ، فأصبـــح « آمون ــ رع » ، وكذا « زيوس ــ آمــون » عند اغريقى ــ قورينة في برقة ، و « جوبتر ــ آمون » عند الرومـــان فى وقت لاحـــق (163) •

استمرار عبادة هذين المعبودين « بعل ــ حمون و تانيت » فى صفوف الاهالــــى ، وبشكل واســـع فى الفتـــرة الرومانيـــة ، واحتفاظهما بكامـــل خصائصهمـــا ، مع تغيـــير اسميهمـــا الى « ساتورنوس ــ و وأبولون أو جوبتر آمـــون » بالنسبة لبعل حمون و« كايليستيس أو أفريكا » بالنسبة لتانيت ، ربما يدعم الفكرة المشار اليها (164) •

(162) انظر مقالتينا . «حول أصول عبادة بعل ــ حمون فيقرطاجة»، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 3 (1987) ، ص 9 ــ 12 . « أصول عبادة آمون فى المغرب القديم » ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 4 (1988) ص 11 ــ 18 .

163 علاقة هذا المعبود بالشمس دفع البعض الى ربطه بـــ « آمون طيبة» وهو رأى قزال في الجــزء الاول من كتابة : التـــاريخ القديم لشمال افريقيا ، ص 252 ــ 253 ، قبل ان يتراجع فى الجزء السادس ، ص 127 .

164 حول الربط بين بعـــل ــ حمـــون وساتورنـــوس ، وتانيـــت وكايليستيس ، انظـــر :
Toutain (J.), **Les cultes paiens dans l'Empire romain,** éd. Bibliothèque de l'école des hautes études Sciences religieuse 25e volume (1920), pp. 16-22 et 35-36.

الى جانب « بعل حمون وتانيت » يمكننا الحديث أيضا على « بعل — يدر » الذى طرحت حول أصوله العديد من التساؤلات، لكن عدم عثورنا على اله فنيقى بهذا الاسم فع المدن الفنيقية ، وتداول كلمة « يدر » فى اللغة الامازيغية ، والدالة على الحيـاة « الاله الحى » (165) ، يجعلنا نميل الى حدوث عملية مزج بين الاله الفنيقى « بعل » والاله « يدر » المعبود عند المغاربة ، الذى وصفته بعض النقوش بالاله الوطنى Genius Patrius (166) • Deus patrius

كما كان العجل « قورزيل » والاسـد والتنين « دراكـون » مقدسين بأشكال عادية (167) ، اضافة الى هذا فقد انتشرت عند النوميديين والموريطانيين على ما يفهـم من النصوص عبـادة « الملوك » ، التى يرى بيقانيول ضرورة البحـث عن أصولها في أقدم المعتقدات المحلية (168) •

وهكذا ، يمكننا القول ، أن المغاربة القدامى ، كان لديهم عند قدوم الملاحين الفنيقيين آلهتهـم وطقوسهم الدينية ، التى لم تتغير الا شكليا في العصور اللاحقـة ، فالكبش مثـلا والاسد والشمس والقمر والعجل قورزيل ، ظلت تحتفـظ دائما بمكانة الصدارة ، فحتى اذا تغيرت الاسماء ، فان الجوهر ظل قائما دون

---

(165) Mercier (G.), «Les divinités libyques», Rec. de Constantine, t. 34, (1900), p. 8-12.

(166) C.I.L., VIII, 5279; 19 121; 19122; 19123; 12003

(167) Cf. Gsell (St.), **Recherche archéologiques en Algérie**, éd. Leroux (Paris 1893), p. 2.

(168) Piganiol (A.), Loc. cit., p. 815.

« الكبش آمون (162) » ، الذى حاولت أن أجد الصلة بينه وبين الاله « بعل — حمون » والوصول الى أن كل ما في الامر هـو عملية مزج حدثت بين المعبود الفنيقى « بعل » والمعبود « آمون » المعبود عند المغاربة قبل قدوم الملاحين الفنيقيين بوقت طويل ، وهو ما فعله المصريون عندما مزجوا « رع » المعبود في ممفيس بـ « آمون » عندما انتقل مركز الحكم الى طيبة ، فأصبح « آمون — رع » ، وكذا « زيوس — آمـون » عند اغريقى — قورينة في برقة ، و « جوبتر — آمون » عند الرومـان فى وقت لاحـق (163) .

استمرار عبادة هذين المعبودين « بعل — حمون و تانيت » فى صفوف الاهالـى ، وبشكل واسـع فى الفتـرة الرومانيـة ، واحتفاظهما بكامـل خصائصهمـا ، مع تغيـير اسميهمـا الى « ساتورنوس — و وأبولون أو جوبتر آمـون » بالنسبة لبعل حمون و« كايليستيس أو أفريكا » بالنسبة لتانيت ، ربما يدعم الفكرة المشار اليها (164) .

---

(162) انظر مقالتينا . «حول اصول عبادة بعل — حمون فيقرطاجة»، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 3 (1987) ، ص 9 — 12 . « اصول عبادة آمون فى المغرب القديم » ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 4 (1988) ص 11 — 18 .

163 علاقة هذا المعبود بالشمس دفع البعض الى ربطه بـ « آمون طيبة» وهو راى قزال في الجـزء الاول من كتابة : التـاريخ القديم لشمال افريقيا ، ص 252 — 253 ، قبل ان يتراجع فى الجزء السادس ، ص 127 .

164 حول الربط بين بعـل — حمـون وساتورنـوس ، وتانيـت وكايليستيس ، انظـر :

Toutain (J.), **Les cultes paiens dans l'Empire romain,** éd. Bibliothèque de l'école des hautes études Sciences religieuse 25e volume (1920), pp. 16-22 et 35-36.

الى جانب « بعل حمون وتانيت » يمكننا الحديث أيضا على « بعل ـ يدر » الذى طرحت حول أصوله العديد من التساؤلات، لكن عدم عثورنا على اله فنيقى بهذا الاسم فى المدن الفنيقية ، وتداول كلمة « يدر » فى اللغة الامازيغية ، والدالة على الحيـاة « الاله الحى » (165) ، يجعلنا نميل الى حدوث عملية مزج بين الاله الفنيقى « بعل » والاله « يدر » المعبود عند المغاربة ، الذى وصفته بعض النقوش بالاله الوطنى Genius Patrius (166) • Deus patrius

كما كان العجل « قورزيل » والاسـد والتنين « دراكـون » مقدسين بأشكال عادية (167) ، اضافة الى هذا فقد انتشرت عند النوميديين والموريطانيين على ما يفهـم من النصوص عبـادة « الملوك » ، التى يرى بيقانيول ضرورة البحـث عن أصولها في أقدم المعتقدات المحلية (168) •

وهكذا ، يمكننا القول ، أن المغاربة القدامى ، كان لديهم عند قدوم الملاحين الفنيقيين آلهتهـم وطقوسهم الدينية ، التى لم تتغير الا شكليا في العصور اللاحقـة ، فالكبش مثـلا والاسد والشمس والقمر والعجل قورزيل ، ظلت تحتفـظ دائما بمكانة الصدارة ، فحتى اذا تغيرت الاسماء ، فان الجوهر ظل قائما دون

---

(165) Mercier (G.), «Les divinités libyques», Rec. de Constantine, t. 34, (1900), p. 8-12.

(166) C.I.L., VIII, 5279; 19 121; 19122; 19123; 12003

(167) Cf. Gsell (St.), **Recherche archéologiques en Algérie**, éd. Leroux (Paris 1893), p. 2.

(168) Piganiol (A.), Loc. cit., p. 815.

« الكبش آمون (162) » ، الذى حاولت أن أجد الصلة بينه وبين الاله « بعل ــ حمون » والوصول الى أن كل ما في الامر هــو عملية مزج حدثت بين المعبود الفنيقى « بعل » والمعبود « آمون » المعبود عند المغاربة قبل قدوم الملاحين الفنيقيين بوقت طويل ، وهو ما فعله المصريون عندما مزجوا « رع » المعبود في ممفيس بـــ « آمون » عندما انتقل مركز الحكم الى طيبة ، فأصبــح « آمون ــ رع » ، وكذا « زيوس ــ آمــون » عند اغريقى ــ قورينة في برقة ، و « جوبتر ــ آمون » عند الرومــان فى وقت لاحــق (163) .

استمرار عبادة هذين المعبودين « بعل ــ حمون و تانيت » فى صفوف الاهالــى ، وبشكل واســع فى الفتــرة الرومانيــة ، واحتفاظهما بكامــل خصائصهمــا ، مع تغيــير اسميهمــا الى « ساتورنوس ــ و وأبولون أو جوبتر آمــون » بالنسبة لبعل حمون و« كايليستيس أو أفريكا » بالنسبة لتانيت ، ربما يدعم الفكرة المشار اليها (164) .

---

(162) انظر مقالتينا . «حول اصول عبادة بعل ــ حمون فيقرطاجة»، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 3 (1987) ، ص 9 ــ 12 .
« اصول عبادة آمون فى المغرب القديم » ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 4 (1988) ص 11 ــ 18 .

163 علاقة هذا المعبود بالشمس دفع البعض الى ربطه بـ « آمون طيبة» وهو راى قزال في الجــزء الاول من كتابة : التــاريخ القديم لشمال افريقيا ، ص 252 ــ 253 ، قبل ان يتراجع فى الجزء السادس ، ص 127 .

164 حول الربط بين بعــل ــ حمــون وساتورنــوس ، وتانيــت وكايليستيس ، انظــر :
Toutain (J.), **Les cultes paiens dans l'Empire romain,** éd. Bibliothèque de l'école des hautes études Sciences religieuse 25e volume (1920), pp. 16-22 et 35-36.

الى جانب « بعل حمون وتانيت » يمكننا الحديث أيضا على « بعل ـــ يدر » الذى طرحت حول أصوله العديد من التساؤلات، لكن عدم عثورنا على اله فنيقى بهذا الاسم فع المدن الفنيقية ، وتداول كلمة « يدر » فى اللغة الامازيغية ، والدالة على الحيـــاة « الاله الحى » (165) ، يجعلنا نميل الى حدوث عملية مزج بين الالـٰه الفنيقى « بعل » والاله « يدر » المعبود عند المغاربة ؛ الذى وصفته بعض النقوش بالاله الوطنى Genius Patrius (166) •
Deus patrius

كما كان العجل « قورزيل » والاســـد والتنين « دراكـــون » مقدسين بأشكال عادية (167) ، اضافة الى هذا فقد انتشرت عند النوميديين والموريطانيين على ما يفهـــم من النصوص عبـــادة « الملوك » ، التى يرى بيقانيول ضرورة البحـــث عن أصولها في أقدم المعتقدات المحلية (168) •

وهكذا ، يمكننا القول ، أن المغاربة القدامى ، كان لديهم عند قدوم الملاحين الفنيقيين آلهتهـــم وطقوسهم الدينية ، التى لم تتغير الا شكليا في العصور اللاحقـــة ، فالكبش مثـــلا والاسد والشمس والقمر والعجل قورزيل ، ظلت تحتفـــظ دائما بمكانة الصدارة ، فحتى اذا تغيرت الاسماء ، فان الجوهر ظل قائما دون

---

(165) Mercier (G.), «Les divinités libyques», **Rec. de Constantine**, t. 34, (1900), p. 8-12.

(166) C.I.L., VIII, 5279; 19 121; 19122; 19123; 12003

(167) Cf. Gsell (St.), **Recherche archéologiques en Algérie**, éd. Leroux (Paris 1893), p. 2.

(168) Piganiol (A.), **Loc. cit.**, p. 815.

« الكبش آمون (162) » ، الذى حاولت أن أجد الصلة بينه وبين الاله « بعل — حمون » والوصول الى أن كل ما في الامر هو عملية مزج حدثت بين المعبود الفنيقى « بعل » والمعبود « آمون » المعبود عند المغاربة قبل قدوم الملاحين الفنيقيين بوقت طويل ، وهو ما فعله المضريون عندما مزجوا « رع » المعبود في ممفيس بـ « آمون » عندما انتقل مركز الحكم الى طيبة ، فأصبح « آمون — رع » ، وكذا « زيوس — آمون » عند اغريقى — قورينة في برقة ، و « جوبتر — آمون » عند الرومان فى وقت لاحق (163) .

استمرار عبادة هذين المعبودين « بعل — حمون و تانيت » فى صفوف الاهالى ، وبشكل واسع فى الفترة الرومانية ، واحتفاظهما بكامل خصائصهما ، مع تغيير اسميهما الى « ساتورنوس — و وأبولون أو جوبتر آمون » بالنسبة لبعل حمون و« كايليستيس أو أفريكا » بالنسبة لتانيت ، ربما يدعم الفكرة المشار اليها (164) .

---

(162) انظر مقالتينا . «حول اصول عبادة بعل — حمون فيقرطاجة»، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 3 (1987) ، ص 9 — 12 .
« اصول عبادة آمون فى المغرب القديم » ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 4 (1988) ص 11 — 18 .

163 علاقة هذا المعبود بالشمس دفع البعض الى ربطه بـ « آمون طيبة» وهو رأى قزال في الجزء الاول من كتابة : التاريخ القديم لشمال افريقيا ، ص 252 — 253 ، قبل ان يتراجع فى الجزء السادس ، ص 127 .

164 حول الربط بين بعل — حمون وساتورنوس ، وتانيت وكايليستيس ، انظر :
Toutain (J.), **Les cultes paiens dans l'Empire romain,** éd. Bibliothèque de l'école des hautes études Sciences religieuse 25e volume (1920), pp. 16-22 et 35-36.

الى جانب « بعل حمون وتانيت » يمكننا الحديث أيضا على « بعل — يدر » الذى طرحت حول أصوله العديد من التساؤلات، لكن عدم عثورنا على اله فنيقى بهذا الاسم فع المدن الفنيقية ، وتداول كلمة « يدر » فى اللغة الامازيغية ، والدالة على الحياة « الاله الحى » (165) ، يجعلنا نميل الى حدوث عملية مزج بين الاله الفنيقى « بعل » والاله « يدر » المعبود عند المغاربة ، الذى وصفته بعض النقوش بالاله الوطنيGenius Patrius (166) •
Deus patrius

كما كان العجل « قورزيل » والاسد والتنين « دراكون » مقدسين بأشكال عادية (167) ، اضافة الى هذا فقد انتشرت عند النوميديين والموريطانيين على ما يفهم من النصوص عبادة « الملوك » ، التى يرى بيقانيول ضرورة البحث عن أصولها في أقدم المعتقدات المحلية (168) •

وهكذا ، يمكننا القول ، أن المغاربة القدامى ، كان لديهم عند قدوم الملاحين الفنيقيين آلهتهم وطقوسهم الدينية ، التى لم تتغير الا شكليا في العصور اللاحقة ، فالكبش مثلا والاسد والشمس والقمر والعجل قورزيل ، ظلت تحتفظ دائما بمكانة الصدارة ، فحتى اذا تغيرت الاسماء ، فان الجوهر ظل قائما دون

---

(165) Mercier (G.), «Les divinités libyques», Rec. de Constantine, t. 34, (1900), p. 8-12.

(166) C.I.L., VIII, 5279; 19 121; 19122; 19123; 12003

(167) Cf. Gsell (St.), **Recherche archéologiques en Algérie**, éd. Leroux (Paris 1893), p. 2.

(168) Piganiol (A.), Loc. cit., p. 815.

تغيير ، وهو ما يفسر — ربما — سرعة انتشار عبادتى « بعل — حمون وتانيت » المنسوبتين الى القرطاجيين أو « ساتـــورنوس وكايليستيس» المنسوبتين الى الرومان فى صفوف الاهالى (169) •

المعـــابـــد :

المعابد التى كانت تعبد فيها هذه الالهة ، ليست لا أقل تنوعا ولا أقل أصالة من الالهة نفسها ، ففى الوقت الذى نجد فيـــه قمم الجبال والكهوف تمثل مواقع العبادة الطبيعية الاولى نجد أن الاراضى المسورة التى تقام في الهواء الطلق ، تمثل مرحلة انتقالية بينها وبين المعابد ، التى أنجزت فى عهد الملوك المغاربة ، مثل معبد ماسنسان الذى بنى فى دوقة فى عهد مكوسان (170)•

ومعبد الحفرة فى قيرطا الذى يعود الى القرن الثالث ق•م ، والملاحظ أن هذه المعابد وحتى التى أنشئت في العهد الامبراطورى ظلت تحتفظ بأصالتها وبعيدة كل البعد عن العمارة الاغريقية — الرومانية على ما يرى البعض (171) •

الكهنـــوت :

للسهر على احترام العادات والشعائر الدينية يجب أن تتوفر هيئة كهنوتية ليبية واذا كان هيرودوتس لم يقل لنا شيئا عنها ،

---

(169) Toutain (J.), Loc. cit., pp. 13-17

(170) Cf. Dussaud (R.), «Dedicace bilingue punico-bérbère en l'honneur de Massinissa», B.A.C., (1914), p. 38 et suite.

(171) Toutain (J), op. cit., pp. 54-55

فاننا نجد في نقوش معبد الحفرة ما يوحى بانتظام هذه الهيئة ، فهنالك الكاهن وكبير الكهنة ، والكاهنة وكبيرة الكاهنات (172) ، مما يدل على انتظام هذه الهيئـــة •

فى وقت لاحق ، كوربيوس ، وهو يتحدث عن الملك « ايرنا » (Ierna) من قبيلة لواتة في القرن السادس الميلادى ، يذكر أنه كان فى نفس الوقت ملك و« كاهن » الاله « قورزيل » (173)، مما يمكننا الاقـــرار بوجود هيئـــة كهنوتية منظمـــة فى الديانة الليبية ، حيث لعبت المرأة دورا هاما ، بدليـــل أننا عثرنا علـــى وظيفة رئيسة الكاهنات فى نصوص معبد الحفرة ، التى تعـــود الى ما بين القرن الثالث والاول ق•م (174) •

العـــبادة :

يفهم من بعض النقوش والنصوص ، وجود أعياد دينية ، يحتفل بها فى كامل افريقيا ، فهذا نص سالوستيوس المشار اليه سابقا (175) يتحدث عن احتفال مبجل في كامل افريقيا ، وهذه نقوش عثر عليها في دوقة تشير الى « اليوم السعيد والمبارك » (176) ، ونقش يشير الى يوم نعيم ومبارك من معبد تبرسوق ،

---

172 انظر نقـــوش : 65 ، 67 ، 68 — 71 ، 177 ، 235 مـــن معبد الحفـــرة •

(173) Corippus, **Johannide,** II. 109 trad. Alix (J.), **Revue Tunisienne,** t. 6-9, (1899-1902).

(174) Cf. Berthier (A.), Charlier (l'Abbe-René), Le **sanctuaire punique d'él-Hofra à Constantine,** Pl. 65, 67-71 177 et 235.

(175) Supra, P. 83 .

(176) انظر اعلاه ، ص 83 •

وهذا الاحتفال الذى يقام على شرف أثينا « تانيت ؟ » حـول نهر تريتون على ما يذكر هيرودوتس (177) •

أما حول الطقوس التى يقيمها المغاربـة فى المعابد المخصصة لآلهتهم التى تعرفنا عليها من خـلال النصب والنقـوش فيمكن الاشارة الى قدوم هؤلاء المخلصين الى المعابد وتقديم الاضاحى ، وقد أشـار هيرودوتس الى الاضاحـى الجارحة منـذ القرن الخامس ق•م ، ويفهـم منه أنها كانت تقـدم وفـق مراسيم محـددة (178) •

ومن ضمن القربان ، يجب أولا ذكر بواكير الفواكه مثل الرمان ، العنب ، وأحيانا حلويات بأشكال مختلفة ، وبعض السوائل مثل الخمر والزيت والعطور وكـذا بعض الاشياء التـى تستخدم لتزيين أو تأثيث المعبد مثل المصابيح (179) •

عـادات الدفـن :

كان تنوع القبور كبيرا ، البعض عبارة عن غرف محفورة فى الصخر ، والبعض الاخر مبنى بأحجار ضخمة وهى المعروفـة « بالدولمن » ، أما قبر مكثر الذى اكتشفه بوفيلى **(M.D Pauphilet)** فهو نموذج فريد من القبور الميقالتية (180) ، يتشكل من سلسلة

---

177 هيرودوت ، IV ,180

178 هيرودوت ، المرجع السابـق .

(179) Toutain (J.), **Les Cultes paiens**, p. 63.

(180) Pauphilet (D.),«Monument megalithiques à Maktar, **Karthago**, t. 4, (1953), pp. 50-82.

من الغرف فوق بعضها البعض مغلقـــة كلية ، كل واحـــدة منها مسبوقة بشكل مدخل ، تتصل به عبر ممر محفور تحت الواجهة ، هذا المدخل مفتوح على فناء مغطى ، يصل اليه عبـــر درجات • كانت طريقة الدفن العادية فى الدولمن المدخل والفناء مخصصان للعبادة، والغرف تستقبل القرابين الموجودة فى الفخاريات (181) •

قبور أخرى تبدو فى شكل أبراج مستديرة ، أو فى شكل بناء هرمى يغطى الضريح ، تعرف الاولى بالشوشت (Chouchet) والثانية بالبازينية (Bazina) ، بينما كانت الحوانيت (Haouanet) والقبور الميقاليتية توجد في التل فقط ، كانت الشوشت والبازنية في التل والصحراء • وربما هذه الاشكال البسيطة ، هى التـــى تطورت الى القبور الملكية الضخمة التى نسميها المدغاسن وقبر الرومية ، المعاصرة بالتأكيـــد للنهضـــة الملكيـــة النوميديـــة ــ الموريطانية فى القرون الاخيرة لما قبـــل الميلاد • وقـــد احتفظ المغاربة بهذا الطراز الذى يبدو في القرن السادس الميلادى فى جدارات تيهرت ، التى تعد شكـــلا من الاهرامات على قاعـــدة مربعة ، احتوت جثث أمراء موريطانيين • أما ضريحا الخروب ودوقة فيخضعان لتأثيرات بونيقية أو اغريقية (182) •

---

181 حول التفاصيل المتعلقة بهذا الدولمن انظـــر :

(182) Camps (G.), **Aux origines de la berberie, monument et rites funeraires protohistoriques** , Arts et metiers graphiques (Paris 1961), pp. 191-193.

العمـــارة والفنـــون

1 ــ العـمــارة :

عندما نريد الحديث عن العمارة فى البلاد المغاربية القديمة ، تتبادر الى أذهاننا تلقائيا العمارة الرومانية ، فكثرة الاثار التى تعود الى هذه الفترة ، تحجب عنا آثار فترة ما قبل الرومان ، زد على ذلك أنهذه الاخيرة توجد فى كثير من الاحيان على بقايا الفترة ما قبل الرومانية ، والبحث عنها بالتالى يستلزم التضحية بالاثار الرومانية ، وهو ما لا يخدم أغــراض المدرسة الاثريـــة الاستعمارية ، وكـــان نتيجة ذلـــك ، ان ظلت تقنيـــات العمارة النوميدية مجهولة تقريبا بعد أزيد من قرن ونصـــف من البحث الاثرى (183) ، لدرجة أن المرء يشعر معها بغياب عمارة مغاربية أصيلة ، لكن الاثار المتناثرة هنا وهناك فى البلاد المغاربية ، تؤكد بما لا يدع مجالا للشك وجود هذه العمارة التى تطورت محليا •

النماذج المتبقية من العمـــارة النوميدية في مجملهـــا معابد وأضرحة ، وتقع خارج المدن ، وهو ما يفسر دوامها ، في وقت اندثرت فيه كل المبانى الاخرى أو طمرت تحت المبانى الرومانية ، وعليه يمكننا التعرض فى هذه الدراسة الى :

---

(183) Friedrich Rakob, «Numidische konigs archite-cktur in Nordafrika», dans **Die numider, Rheinsches Landesmuseum, Bonn (1979), p. 119.**

أ ــ المعابد •

ب ــ الاضرحة الملكية النوميدية •

ج ــ الاضرحة الملكية النوميدية الهيلينستية ، أما القصور الملكية فرغم النصـــوص التى تحدثـــت عن قصـــور ماسنسان وسيفاكس فى قيرطا (184) ، والتـــى شيدها مكوســـان في هذه المدينة (185) ، ويوبا الاول فى زاما ــ الملكية (186) ، لا نجد لها أى أثر ما عدا على القطع النقدية التى ألقى من خلالها تريل (Bluma L. Trell) أضواء على العمارة فى شمال افريقيا (187) •

أ ــ المعـــابـــد :

1 ــ معبـــد شمتـــو :

يعد هذا المعبد النموذج الوحيد للفترة النوميدية ، قام ببنائه الملك مكوسان على عشر مراحل من المدينة الملكية بولا ــ ريجيا على أعلى قمة جبل المرمر ويمكن تحديد محيطه الذى تعـــرض

---

(184) Tite Live, XXX, 12, Appien, **Guerre punique** 27 et 206

(185) Strabon, XVII, 3, 13.

(186) Vitruve, L'architecture VIII, 5, 24, trad. Ch. Maufras, éd Panckoucke (Paris 1847).

(178) Bluma L. Trell, «Ancient coins: New light on North-africa achitecture» **In actes du premier congré d'histoire et de la civilisation du Maghreb** (2 vol.), Université de Tunis, t. 1 (1979), pp. 81-99.

لنوائب الدهر بالاعتماد على خطوط التسوية ، ومقاساته تتجاوز 39ر45 على 50ر8م • ويدل العمل الدقيق ومواد البناء وكذا دقة نقاط الاتصال النهائية واستخدام المرمر على قدرة البنائين •

وتعد القطع الزخرفية المستمدة منه أعظم القطع المستمدة من العمارة الملكية النوميدية • والمعبد ارتفاعه حوالى 10م ، مقـام على قاعدة من ثلاثة طوابق ، السند الاعلى موجه نحو الشرق ، يبدو كباب وهمى فى الجهة الشرقية • الدروع البيضوية الرهيفة في الجهة الغربية (188)، تختلف عن الدروع المنقوشة في الواجهة المركزية (189) • الدرع الملحق بالمدرع (Cuirassé) الموضوع فى فتحة القسم العلوى ، يعنى تقديس الشكة (190) (l'Armure الدروع الدائرية ، على العكس ، توجد أساسا في الافريز بـين الواجهة الشرقية والقسمين الضيقين وعلى الكتل المنقوشة نلاحظ أيضا شريط زخرفة (191) •

فى القرن الثانى الميلادى وسـع هذا المعبد ليصبـح معبدا لساتورنوس ، قبل أن يتحول الى كنيسة مزينة بالفسيفساء فى القرن الرابع • وقد كشفت أحدث الحفريات على قمة جبل شمتو بعض بقايا الكنيسة المسيحيـة والعديـد من أجـزاء المعبـد النوميدى (192) •

---

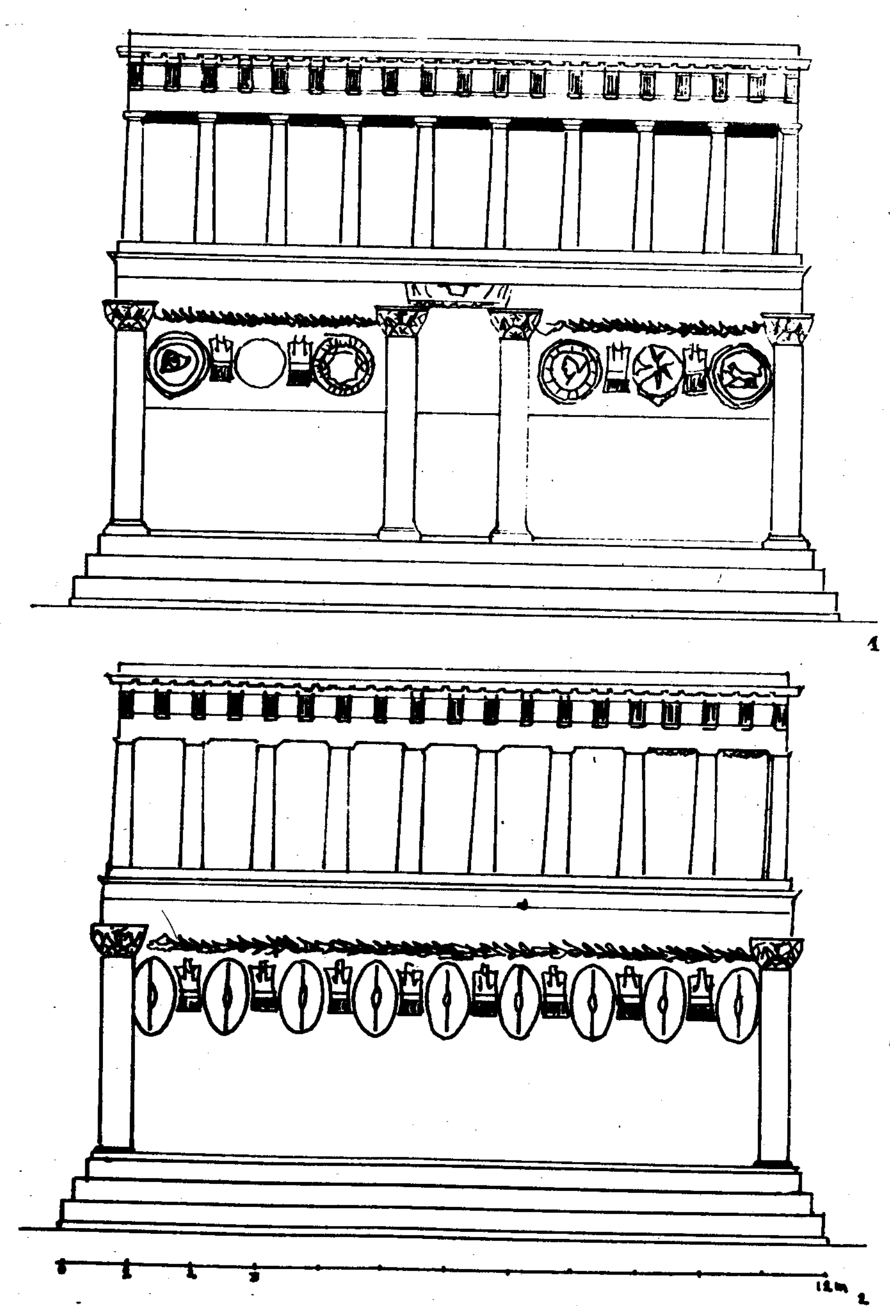
(188) انظر شكل 3، ص 155 •

(189) انظر شكل 4، ص 156 •

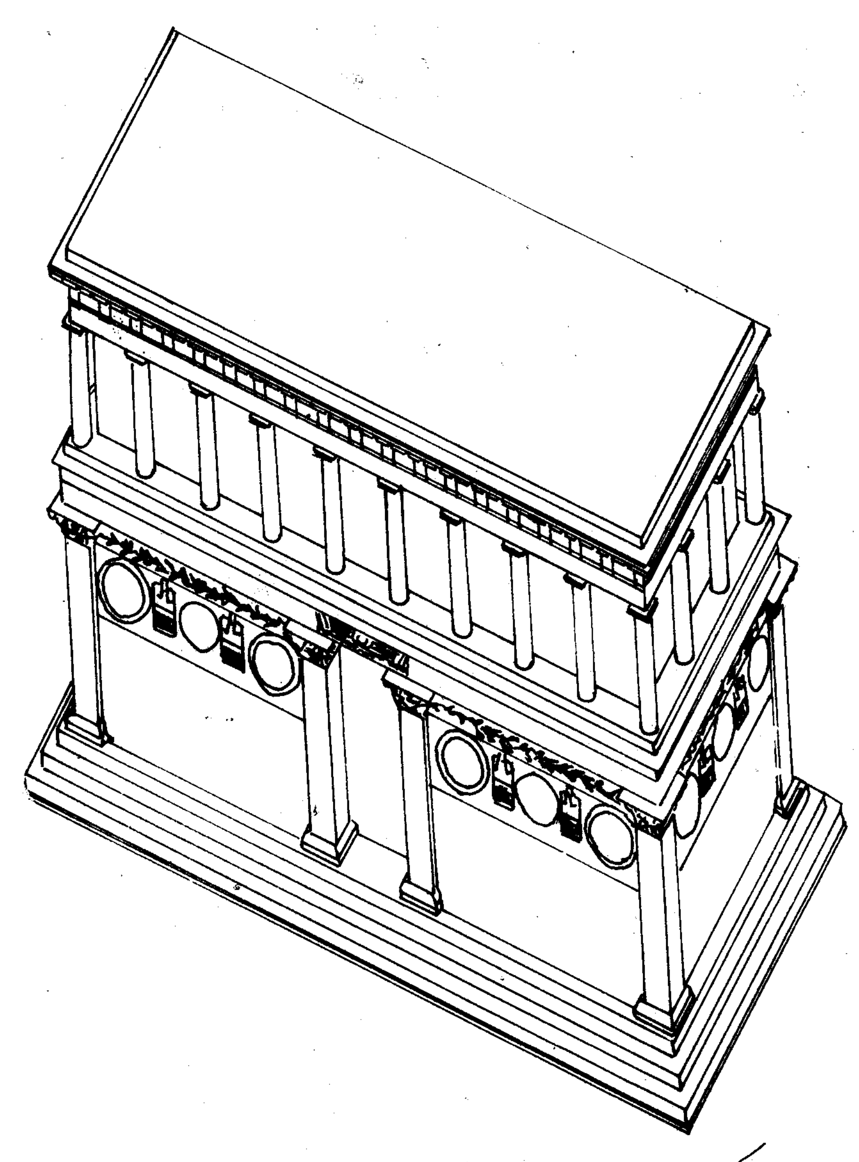
190 الشكة : مجموعة الات الوقاية المعدنية كالدرع والخوذة الخ ..

(191) Cf. Friedrich Rakob, op. cit., p. 126, ill. 37.

192 نفسه ، ص 128 — 129 •



شكل 3 : شمتو ، المعبد النوميدي الكبير : إعادة تشكيل
الواجهتين الشرقية والغربية ، نقلا عن راكوب



شكل 4 - خمتو: المعبد النوبيدي الكبير
عن راكوب.

2 ـ معبد القليب :

حاول فريدريك راكوب أن يضع مخطط هذا المعبد اعتمادا على بقايا القطع الزخرفية ، وتوصل أن هذه القطع يمكن أن يعاد بها بناء معبد من 11م على الاقل (193) •

ب ـ الاضرحة الملكية النوميدية :

اذا كان المعبدان الانفان فريدين فى نوميديا ، فان بصمة التقاليد المعمارية النوميدية تتجلى بشكل واضح فى الاضرحة الملكية التى تطورت عن القبور المخروطية (Bazina) (194) والابراج الجنائزية ـ الشوشت (Chouchet) (195) •

واذا كانت البازينة والشوشت ، قبور تغطى كامل بلاد المغرب تقريبا ، مما جعل كومس يعترف بأصولها المحلية (196) ، فان هذه الاضرحة أيضا منتشرة عبر الزمان والمكان من المدغاسن الذى يعود الى القرن الثالث ق‌م على أقل تقدير بالاوراس (197)

---

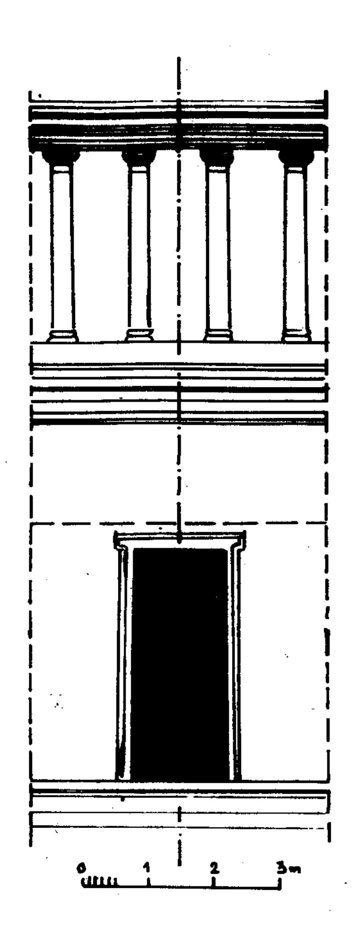
(193) نفسه ، انظر شكل 5 ، ص 158 .

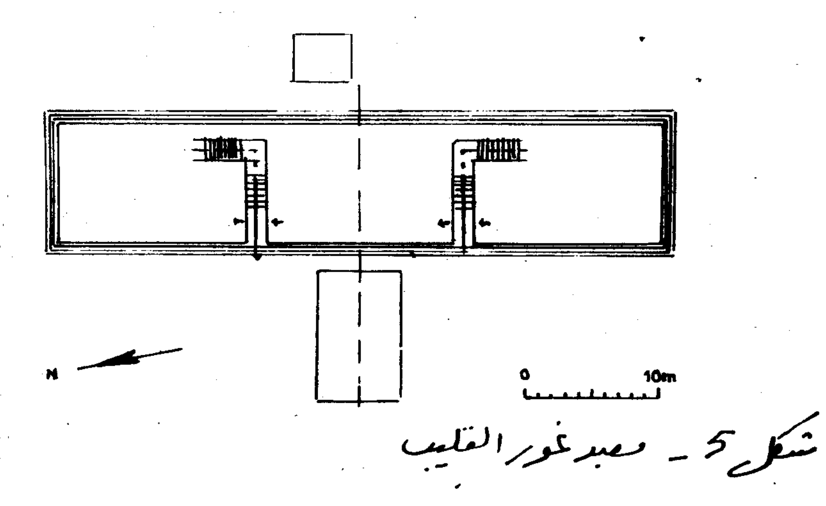
194 البازينة : هى تكديس احجار بقاعدة اسطوانية تغطى الغرفة الجنائزية . هذه الاخيرة مخفية تحت المخروط أو يصل اليها عبر رواق . الرواق الداخلى معزول عن الغرفة الجنائزية المرتبطة مباشرة بقبر التعبد . والبازينة ليست قبرا فحسب بل هى معبد ايضا . انظر .
فريدريك راكوب ، المرجع السابق ، ص 132 ، حول البازينة عموما انظر :
Camps (G.), Monuments, pp. 158-270.

195 حول الشوشت انظر :
Camps (G.), Monuments, pp. 170-173.

(196) Camps (G), Monuments p. 206.

197 نفسه ، ص 201 .





شكل ٥ - معبد غور القليب

الى قبر الغور الذى يعود الى القرن السابع الميلادى بالمغـــرب الاقصى (198) ، مرورا بقبر الرومية (القرن الاول ق•م) (199) وجدارات تيهرت (القرن الخامس الميلادى) (200) •

ــ المدغـــاسن :

يعد المدغاسن كأقدم نموذج للعمـــارة النوميدية ، بنى على ارتفاع عشرين مترا الى الشمال مـــن الاوراس بين هضبة جبل عازم وجبل تفراوت ، ويعد أكثر أصالة في هيئته الاساسية وفي حجمه ، ورغم أن قـــزال (201) يـــرى أن المدغاســـن منخفض بالمقارنة مع قطره (202) ، غير أن كومس الذى يرى أن المدغاسن الذى ينتمى الى فصيلة البازينات ذات القاعدة الاسطوانية القليلة الارتفاع بالمقارنة مع قطرها ، أكثر أصالة وأكثـــر رونقا مما لو كان أكثر ارتفاعا (203) •

---

(198) Camps (G.), «Le Gour, Mausolée bérbère du VIIe Siecle», Ant. af., t. 3 (1974), pp. 191-201; ID., «Un mausolée marocain : la grande bazina de souk-el-Gour», B.A.M., t. 4, (1960), pp. 47-92

(199) Berbrugger, «Tombeau de la chrétienne», Rev. Af., t. 11 (1867), pp. 12, 16 et 18.

(200) Cf. Rakob (Friedrich), op. cit., p. 143;
Camps (G.), «Nouvelles observations sur l'architecture et l'age du Medracen, Mausolée Royal de numidie» C.R.A.I., et belles lettres (1973), p. 472, n° 3 (par suite : Nlle observations.)

(201) Gsell (St.), H.A.A.N., t. 6, p. 269.

(202) ارتفاعه 18,50م قطره 58,86م •

(203) Camps (G.), Monuments p. 201.

يبدو المدغاسن من الخارج وكأنه مشكل من قسمين : قاعـــدة أسطوانية ، ارتفاعها أقل من خمسة أمتار ، وطـــوق مشكل من الدكات (Gradins) التى تعطى للمبنى شكلا مخروطيا ، وعددها ثلاث وعشرين دكة ، وبين الدكة الثالثة والرابعة يوجد المدخـــل المؤدى الى السلم الذى يؤدى بدوره الى رواق طوله 17 مترا ، ينتهى عند باب خشبى كبير للغرفة الجنائزية ذات 30ر3م علـــى 45ر1 / 59ر1م (204) .

المدغاسن، شأنه شأن العديد من البازينات الموزعة على كامل البلاد المغاربية مسبوق الى الامام بمنصة ذات 25 م على 14 م، مبلطة، فقام عليها المراسيم الجنائزية، (205) وهو فى هذا لا

---

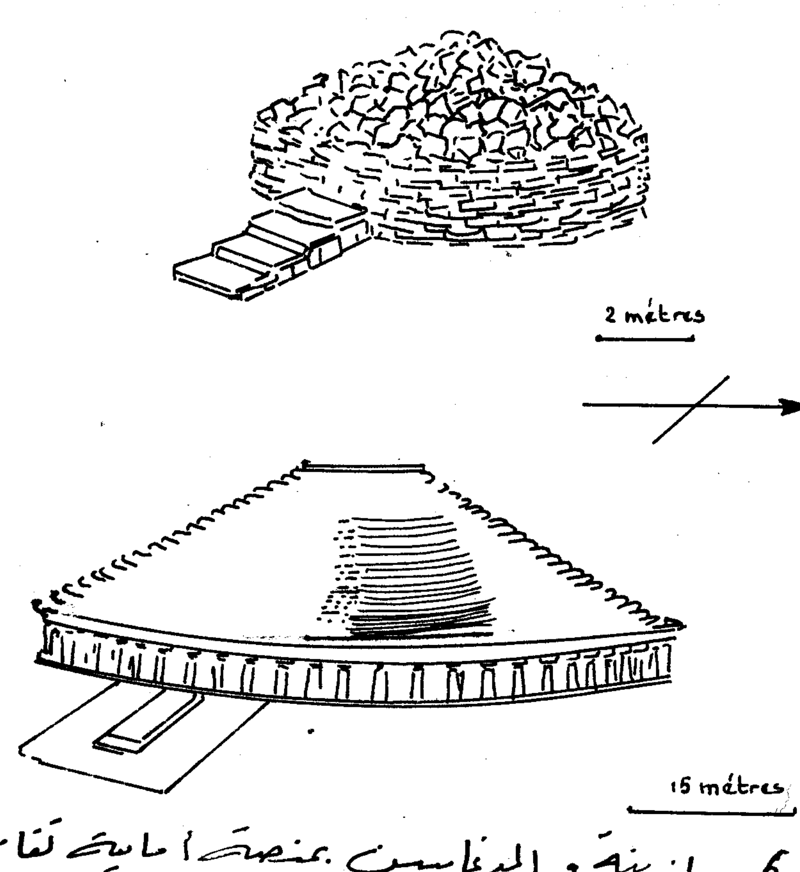
204 انظر راكوب ، المرجـــع السابق ، ص 134 : حـــول مختلف مقاسات المدغاسن انظر :

Camps (G.), (Nlle observations) p. 479; Pamart (H.), Etudes sur le Madracen (Tombeau de syphax) et le kebeur roumia (Tombeau de la chrétienne), **Rev. Af.**, t. 61 (1917), pp. 281-286; Foy, «Notice archéologique sur le Madrazen,» **Rec. de Constantine**, 855-56 pp. 58-69 Becker (F.), «Essai sur le Madrasen, **Rec. de Constantine**, 1854-55, pp. 108-118.

(205) انظر شكل 6، ص 161 . يرى كوموس

(Nelle observations p. 481)

ان هذه المنصة تقام عليها المراسيم الجنائزية ، معتمدا على الكمية الهامة من الطلاء الاحمر الذى يغطيها والرواق المؤدى الى القبر المركزى ، وهو الطلاء الذى يرى فيـــه ذكرى حية للاحمر الجنائزى الذى يذره انسان ما قبل التاريخ فى المنطقة المغاربية على الميت ، كما كانت هذه المنصة توجد فى كل القبور الجنائزية فى شمال افريقيا كبيرة كانت امصغيرة، هذا خلافا لفو (Foy) (المرجع السابق ، ص 60) الذى اعتقـــد أنه مبنـــى لايـــواء حارس الضريح ، وانه من هذه المنصة يبدأ السلم المؤدى الى مدخل الـــرواق .



6 : بازينة و المدغاسن بمنصة امامية تقام عليها المراسيم الجنائزية .

يختلف عن قبر الرومية أو الجدارات المسبوقة هى الاخرى بمثل هذه المنصة الموجهة نحو الشرق (206) •

– قبر الرومية: يعد أيضا قبر الرومية الذى وصفه المؤرخ الرومانى بومبونيوس ميلا فى القرن الاول الميلادى بالضريح الملكى العائلى المشترك (Monimuntum Commune regiac gentis (207) ضمن فصيلة البازينات ذات القاعدة الاسطوانية (208) ويشترك مع المدغاسن فى كثير من العناصر (209) • وقد أقيم على قاعدة مربعة ينتهى بطوق يعطيه الشكل المخروطى، قطره حوالى 64 م، ارتفاعه الحالى 33 م يمكن أن يصل فى الاصل الى أربعين مترا (210) ، جزؤه الاسطوانى مزين بأفريز عادى يحيط بكامل المبنى، مدعم بستين عمودا ايونيا تنتهى عند الجهات الاربع بأربعة أبواب وهمية محاطة باطارات أبواب ، تعلوها أسطح معمدة خاصة اثنان وخمسون

---

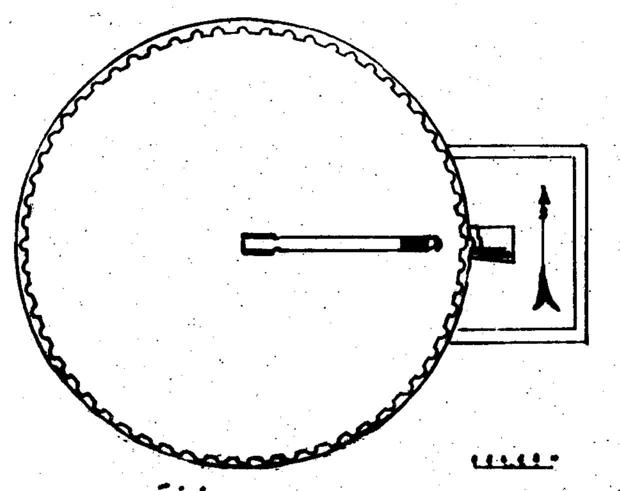
(206) Cf. De la blanchere (R.), Voyage d'étude dans une partie de la Maurétanie cesariènne, dans **Nlle archives des messions, IIIe Série** t. 10 (1883) , pp. 1-131; pour les Djedars cf. kadra (Fatima Kadaria) , **Les Djedars, monuments funéraires bèrbères de la région de Frenda,** éd. O. P. U., (Alger 1983), p. 25 et 27 ect...

(207) Pomponius, Mela, **Géographie,** I, 6, trad, Baudet (L.) , ed. Panckoucke (Paris 1843).

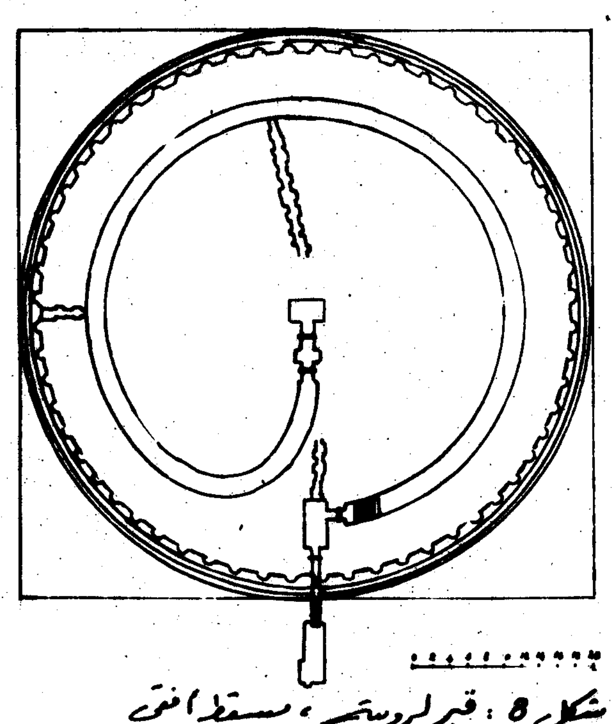
(208) **Camps** (G.) , **Monuments,** p. 201 ....

(209) نفسه . قارن بين شكل المدغاسن وقبر الرومية فى شكل 7 و 8 ص 163 .

(210) Berque (A.) , **L'Algérie terre d'art et d'histoire,** éd. im. Heintz, Alger (1937), p. 16.



شكل 7 : المغناطيس ، مسقط افقي



شكل 8 : قبر لروستر ، مسقط افقي

من هذه الاعمدة كانت لها تيجان بحاشية، عوضت بنخلات على تيجان الاعمدة الثمانية التى تلتصق بالابواب الوهمية (211) •

فى الداخل القبر يحتوى على ناووس بـ 170 م وهو يتشكل كالتالى : ؟ ـ المدخل تحت مصراع الباب الوهمى الشرقى• بـ ـ قبو الانتظار (طوله 30ر5 م عرضه 50ر1 م، ارتفاعه 50ر2 م) وهو المعروف بقبو الاسود ج ـ رواق طوله 50ر1 م ، د ـ قبو جنائزى • أ•هـ ـ قبو جنائزى ب (212) •

ـ **الجدارات:** نجد هذه المبانى الثلاثة عشر المحاطة بقبور صغرى مقامة بدورها على قاعدة مربعة، لكنها ذات مخطط مستطيل، يعلوها طوق بدكات يعطيها هنا شكلا هرميا وليس مخروطيا مما يقربها أكثر من البازينة المدرجة المربعة الزوايا (213)

الميزة الاكثر أصالة للجدارات تكمن فى المخطط الداخلى، أكبر هذه الجدارات هو قبر (الكسكاس) الذى يبلغ طوله 43 م وعرضه 15 م، يحتوى على ممر مزود بردبين ملتويين وقبوين متصلين ببعضهما، ومجموعة من الغرف (214) . الجداران أ و ب اللذان يبدوان أكثر قدما يقدمان ترتيبا داخليا مختلفا : الممر ينقسم الى فرعين ملتويين فى ردب دون اتساع، يؤديان الى طريق مسدود فى المبنى أ والى غرف مستطيلة فى المبنى ب ،

---

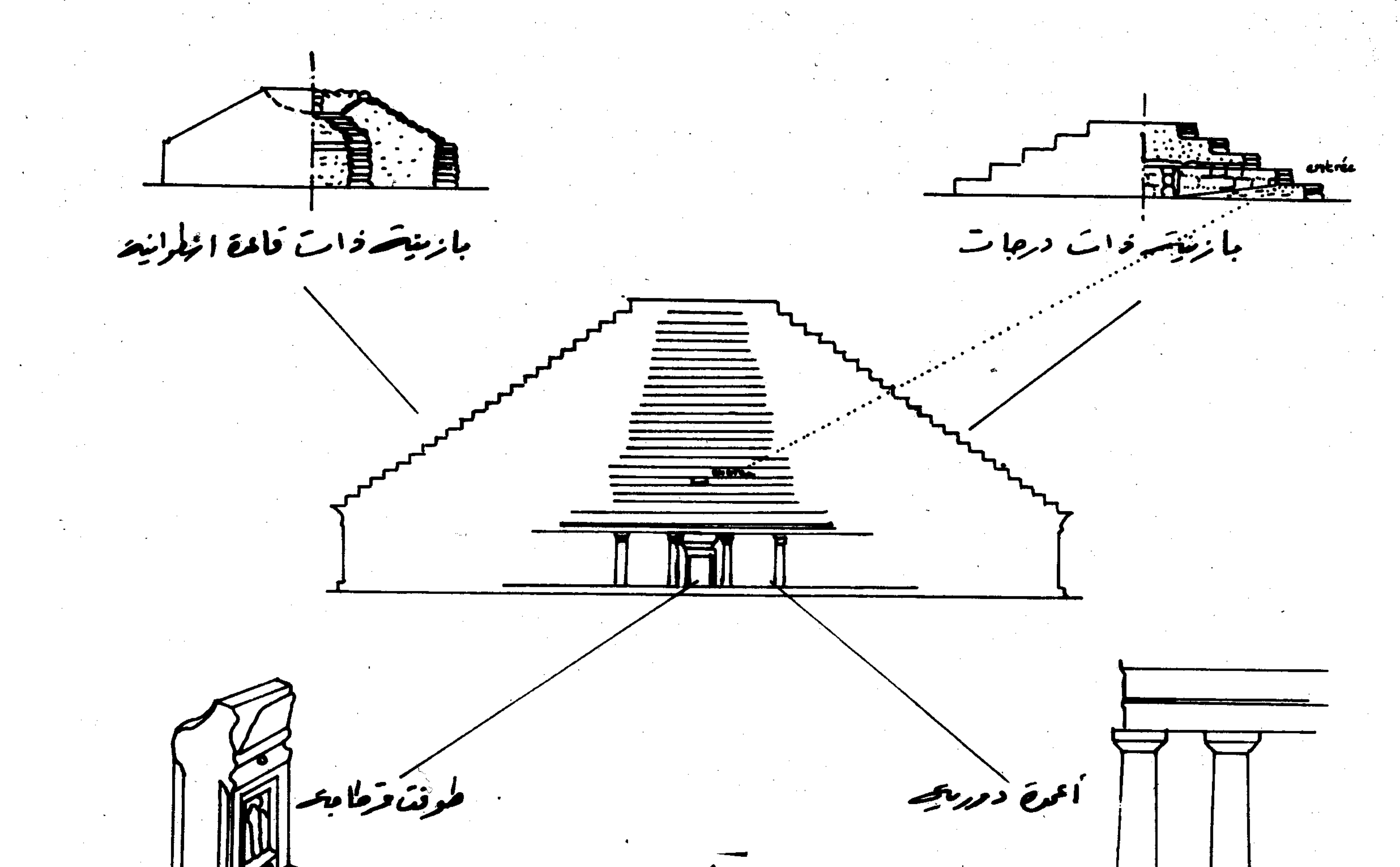
(211) Berbrugger, Tombeau de la chretienne, p. 17

(212) ا انظر شكل 8 ، ص 163 .

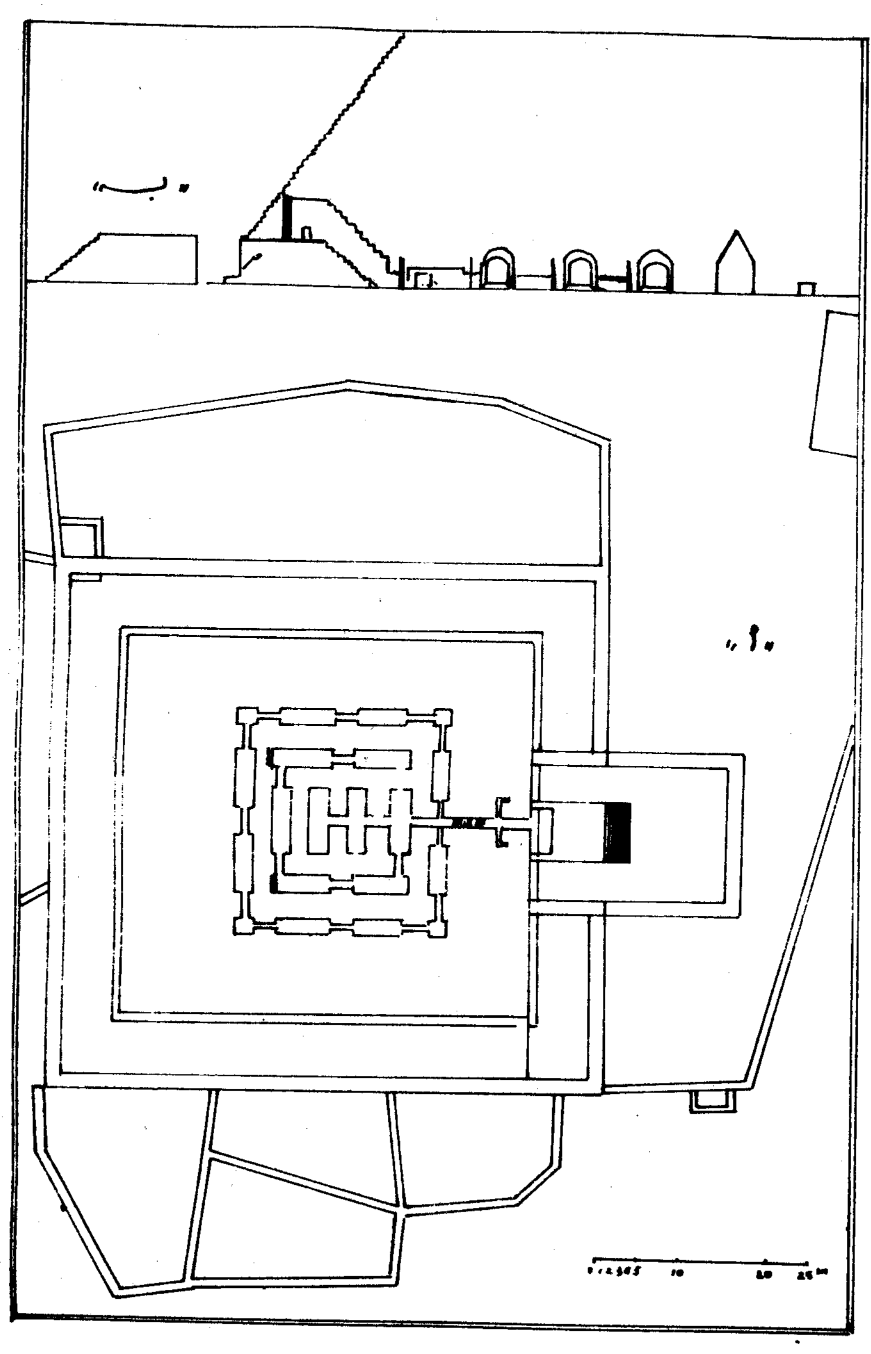
(213) انظر شكل 9 ، ص 165 . انظر ايضا

Kadra (Fatima Kadaria), op. Cit. p. 25.

(214) انظر شكل 10 ، ص 166 .



بازينة ذات قاعدة أسطوانية
بازينة ذات درجات
entrée
طوقة قرطاجية
أعمدة دورية



شكل 10 : جيرا ر اكسكاس

وهما يخلوان من غرفة أو قبو مركزى، مما يبعث على الاعتقاد أن القبر الرئيسى يمكن أن يوجد فى مكان ما فى النواة المركزية للمبنى أو فى خندق •

المخطط المستطيل لهذه الاضرحة المختار بانتظام وكذا رسومات الاشخاص الموجودة على جدرانها جعل كومس يقول بغلبة التأثير الصحراوى على هذه المبانى (215)

ج ــ الابراج الجنائزية الملكية النوميدية ــ الهيلينستية :

يمكننا التعرض تحت هذا العنوان الى العمارة النوميدية التى مسها جناح التأثير الهيلينستى ، وقد بنيت هذه الابراج بعدة طوابق مثل ضريح صبراتة ، سيقا ، دوقة والخروب •

ج ا ــ ضريح صبراتة : يعود هذا الضريح الى القرن الثانى ق•م ، والمعروف تاريخيا أن اقليم طرابلس ، الذى تعد صبراتة احدى مدنه الثلاث الشهيرة ، قد أفلت من السيطرة القرطاجية، بعد معركة زاما ليلحق بمملكة نوميديا ، مما يدل على أن الضريح بنى فى عهد هذه المملكة ، وقد بنى أساسا من حجارة كلسية ذات مسامات ، وقد خضع لتأثيرات مصرية وتأثيرات بونيقية، مما جعل راكوب ينعته بالنموذج الهيلينستى الشاذ (216) •

ج ، ب ــ برج سيقا : بعد بضعة سنوات من بناء البرج الجنائزى الشاذ فى صبراتة ، بنى ضريح كبير فى أقصى غرب

---

(215) Camps (G.), Monuments, p. 205 ....
(216) Freidrick Rakob, op. cit., p. 146, cf. fig. 11, p. 168.

مملكة نوميديا ، فى أعالى سيقا ، عاصمة سيفاكس ، هذا المبنى يقترب من مبنى صبراتة ، لكنه يختلف عنه بصورة واضحة فى المقاسات وطريقة الدعم ، وهو ما جعل فويلومو (Vuillemot) يقول ان الحجم الكبير للبناء هو الذى دفع البناء الى تغيير الشكل الدائرى للمبنى ليعطيه هذا الشكل ذى الجوانب المنحنية حتى يخفف من كتلة هذا الضريح • ويرى أيضا أن هذا الضريح يعد مرحلة انتقالية بين المبانى الاسطوانية والمبانى ذات الطوابق (217) ، ووجود عشر غرف جنائزية بهذا الضريح (218)، دفع راكوب الى القول أن القبر أعيدت تهيئته لعدة قبور (219) ، بينما كان فى الاصل ضريح فيرمينا ابن خليفة سيفاكس ، ما دام هذا الاخير قد توفى فى الاسر فى روما (220) •

ج ، ج — ضريح دوقا : يمثل وفق رأى البعض أفضل نموذج لضريح ملكى نوميدى بعدة طوابق محفوظة بكاملها (221) ، فهو يتشكل من ثلاثة طوابق ذات 21 مترا (222) ، مزخرف فى الزوايا بأعمدة ذات تيجان ايولية حلزونية واسعة الفوهة تنفرد بأزهار اللوتس • على الواجهة الشمالية توجد نافذة مغلقة

---

(217) Vuillemot (G.), «Fouilles du mausolée de Beni-Rhenane en Oranie.», C.R.A.I. et belles-lettres, (1964), p. 95.

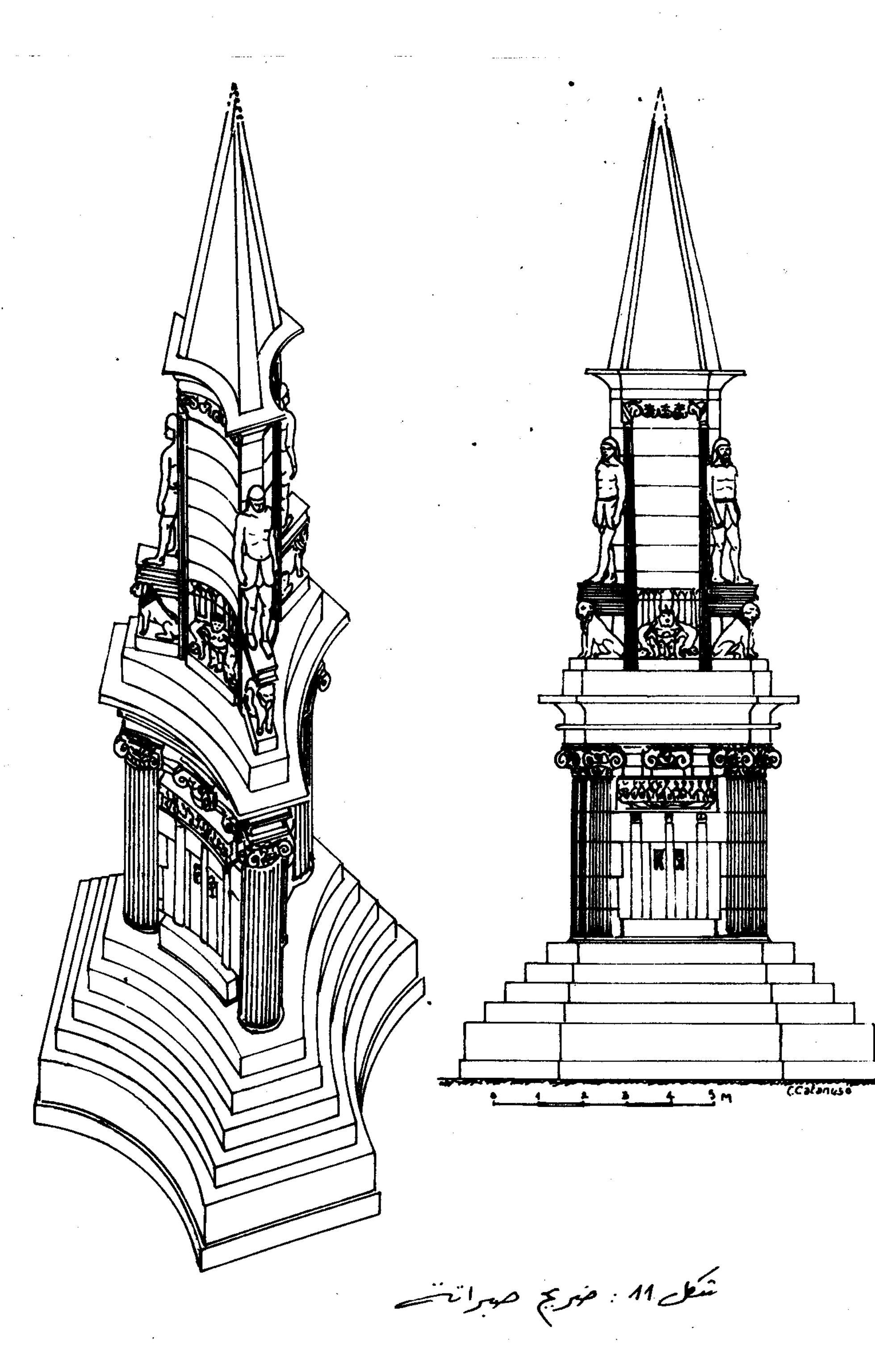
(218) انظر شكل 12 ، ص 170 .

(219) Friedrick Rakob, op. cit., p. 152

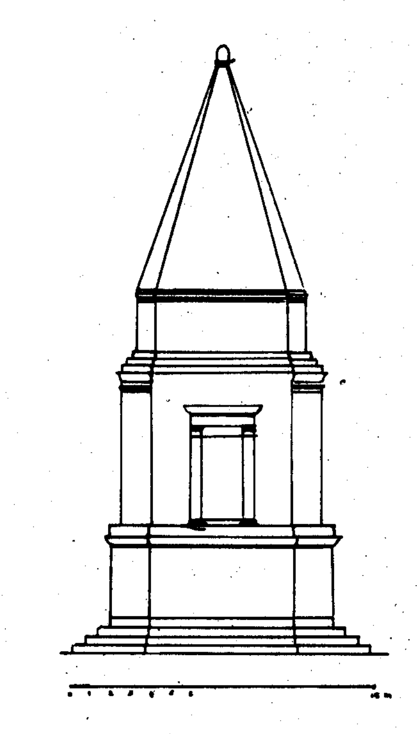
(220) Ibid, p. 154; Vuillemot (G.), op. cit., pp. 91-92

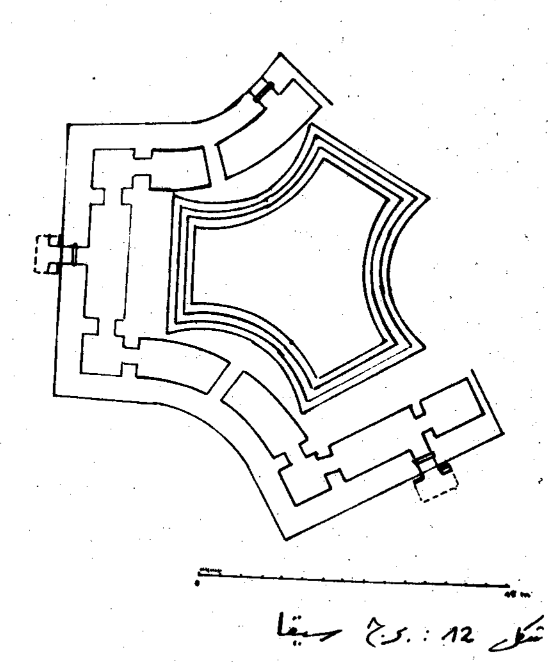
(221) Rakob (F.), op. cit., p. 156.

(222) انظر شكل 13، ص 170 .



شكل ١١ : ضريح صبراتة





شكل 12 : برج سيقا

تشكل منفذا الى غرفة جنائزية ، بينما كانت كـل الواجهـات الاخرى مزينة بنوافذ وهمية (223) •

الطابق الثانى المقام على ثلاث دكات يتشكل من ثلاث قواعد من الحجر المشذب بشكل عتب (224) ، ثم حلـق مصـرى • الطابق مزخرف بأعمدة مضلعة كل واجهة لهـا عمـودان دون اعتبار أعمدة الزوايا التى أعيد احداها فقط ، وكانت توجد على الواجهتين : الشمالية والشرقية نوافذ مغلقة ببلاطات أعيـدت احداهـا فقـط •

الطابق الثالث : يبدأ كالسابقين بالدكات ، لكن ، هذه متقطعة عند الزوايا الاربع بقواعد التماثيل التى تحمل فرسانا ، عثـر على اثنين منهما فقط • هذا الطابق مزين فى زواياه بأعمدة ذات تيجان بأزهار اللوتس كالطابق الاول ، يعلوها عنق مصرى مثلما هو فى الطابق الثانى (225) • ونجد على كل واجهة نقشا ناتئـا يمثل مركبة مرصعة فى القاعدة يركبها شخصان (225) • أخيرا قمة هرمية مرصعة فى زوايا أربعة تماثيل لاربع نساء مجنحـة تزين النصب ، وعلى القمة الهرمية وضعوا أسدا جالسا علـى رجليه الخلفيتين (226) •

وكان بالطابقين : الاول والثانى أربع غرف مربعة ، بينما كانت

---

(223) Poinssot (Cl), Les ruines de Dougga, ed. Institut National d'archeologie et d'art (Tunis 1958) ,p. 58

(224) عتب : عارضة مركزة على عمود .

(225) Loc. cit.,

(226) Loc. cit.,

توجد بالطابق الثالث غرفتان مستطيلتان متصلتان ببعضهما وبحيطانها مشكاوات (227) يعود تاريخ هذا المبنى الى أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الثانى ق•م ، وقد أراد فيرون (J. Ferron) أن يربط هذا المبنى بمبنى آخر أقيم على شرف ماسنسان سنة 138 ق•م ، ومن ضمن أعضاء ورشة البناء نجد اسم المهندس والنحات والحجار (228) وصاحب الانجاز وثلاثة حرفيين : صانع السقوف وحدادين • والاسماء كلها دون استثناء من أصل نوميدى ، مما يدعم فكرة بنائه فى عهد مكوسان (229)•

ج ، د : ضريح الخروب : بنى هذا الضريح على هضبة صخرية على بعد ثلاثة كيلومترات الى الشمال الشرقى من مدينة الخروب ، وعلى أربعة عشر كيلومترا من العاصمة الملكية قيرطا• بنى فى الخارج بأحجار ضخمة ، جيدة الصقل ، تتجاوز عادة المترين طولا ، بينما يتشكل المركز من كتل مربعة بشكل عام (230) •

قاعدة البناء من 10ر50م على 10ر50 ، و2ر80م ارتفاعا ، تحمل ثلاث درجات ترتكز عليها القاعدة القصيرة المزينة

---

(227) Poinssot (Cl), Jan Willen Salomonson, « Le mausolée Libyco-punique de Dougga et les papiers du Comte Borigia», C.R.A.I., et belles lettres (1959), p. 146.

(228) الحجار : نحات حجارة البناء .

(229) CF. Rakob (F), OR Cit, P. 158 .

(230) Bonnell, «Monuments greco-punique de la Souma», Rec. de Constantine, t. 49, (1915), pp. 169 - 170.

بالناتئات (231) (Molures) فى الاسفل والاعلى • فوقها ترفع أربع كتل تشغل زوايا مربع من 55ر5م من كل جهة ، مزخرفة خارجيا بدروع مستديرة كبرى • وقد تساءل قزال ان لم تكن تشكل أعمدة أربع شرفات مقوسة ، لكن عدم وجود تقوس ضمن الحطام الموجود على الارض ، جعله يميل الى افتراض أن هذه الكتل تحدد غرفة وتحيط بأربعة أبواب وهمية (232) •

وتهدم كل الجزء العلوى للمبنى ، ربما نتيجة هزة أرضية ، وتكدست المواد التى تشكله حول القاعدة خاصة من الشمال ، من ضمنها افريز من النوع المشتق من العنق المصرى ، يبدو أنه كان يزين الطابق ذى الدروع ، فوقها توجد مقصورة محاطة بثمانية أعمدة دورية ذات جذوع مظلمة ، كانت تحمى تمثالا أو تماثيل عديدة (233) • ترتيب قمة المبنى غير مؤكد ، قطعة من افريز مائلة تدل على وجود جبهية (234) • الارتفاع الكلى يتراوح ما بين 16 و 18 م (235) •

الغرفة الجنائزية وضعت على عمق 50ر1م تحت الارض ، ومغطاة ببلاطات من الحجر تشكل أسوارا من 2 م طولا و 1 م عرضا ، والحلقات الجنائزية توجد فى الجهة الغربية للغرفة ، وعثر على جرتين فارغتين فى الجزء الجنوبى منها ، قمة مفتاح

---

(231) الناتئة : بروز لزينة بناء او اثاث .

(232) Gsell (St.), Monuments, P. 63

(233) Loc. cit.

(234) جبهية : زخرف المدخل او مثلث فوق المدخل .

(235) Loc. cit.

القبة توجد فى المستوى الثالث لمبنى القاعدة (236) •

لم يحدد البحث الاثرى أسماء الذين دفنوا فيه ، واذا كان معبد شمتو يؤرخ بحكم مكوسان ، فان ضريح الخروب يكون قد بنى بعده ، واعتباره كقبر لمكوسان ممكن جدا ، لكن لا يمكن الاستدلال عليه •

وفى الختام اذا كنا قد لاحظنا وجود أنواع مختلفة من الاضرحة ، فان أفضل ما نختم به عرضنا هذا يكمن فيما لاحظه قزال عن الجدارات عندما كتب يقول : « والحقيقة أن انجدارات قبور أهلية ، وليست نصب كلاسيكية ، الحضارة الاغريقية ــ الرومانية ، التى دخلت الى افريقيا منذ العديد من القرون ، كانت قد اصطدمت فى العديد من النقاط بلامبالاة الاهالى ، فلم يكن لها تأثير كبير حتى تنسيهم الماضى ، ويغيرون عاداتهم وتقاليدهم» (237) •

هذه الملاحظة كما لاحظ أيضا كومس تنطبق على مجموع المبانى الجنائزية للاهالى العائدة للعهد الرومانى أو حتى السابقة ، كما تنطبق حتى على التى يقدم شكلها ظاهريا تغيرات كبرى بالقياس الى مخططها الاولى للدولمن أو القبر المخروطى (238) •

2 ــ الفنون : تعد تلك البقايا المعمارية الموزعة على البلاد المغاربية قليلة جدا ، حتى تعطينا فكرة واضحة على ما يمكن أن

---

(236) Rakob (F.), op. cit., p. 162.

(237) Gsell (St.), Monuments, t. 2, p. 324.

(238) Camps (G.), Monuments, p. 205.

نسميه بالفنون الكبرى ، أما بخصوص الفنون الصغرى فهي أكثر تنوعا ، فمن النقش الى النحت الى الرسم على الفخار •

واذا كنا في هذه العجالة غير قادرين على الالمام بكل هذه العناصر ، فيمكننا الاشارة فقط الى ما يمكن أن يبين لنا أن المنطقة لم تكن عقيمة فنيا ، فالقاء نظرة على خريطة انتشار الرسوم الصخرية أو الفخار الملون وكذا الكتابات الليبية يكفي لادراك ذلك •

ان القاء نظرة على الفخاريات المكتشفة في تيديس تعطينا فكرة على بعض الزخارف المستعملة ، فمن الاواني المزينة بحاشية حمراء على دهان أبيض الى زخرفة هندسية معقدة جدا: مثلثات مضلعة أو مشكلة في شكل معينات ، حاشيات عادية أو موضوعة في معينات متلاصقة الاطراف ، أو خطوط منحرفة متقطعة ، اضافة الى عناصر ثانوية نباتية أو عصافير منمنمة وحتى الأشخاص (239) • وهذه العناصر الزخرفية لا تخص المنطقة الشرقية ، ما دمنا نجدها في الفخار المكتشف في قوراية •

كما تم العثور أيضا في تيديس على آنية كبيرة ثلاثية القوائم، أرجلها عبارة عن رؤوس انسانية منمنمة ، يرى فيفري أن الرغبة في تجاوز الزخرفة الهندسية هي التي دفعت هؤلاء الفنانين الى التعبير بنحت هذه الرؤوس (240) ، وهي الرغبة التي دفعت أيضا الى نقش أشخاص أو حيوانات على الحواجز

---

(239) انظر الاشكال : من 15 الى 18 ، ص 177 — 178 •

(240) Fevrier (P.A.), **Art de l'Algérie antique**, éd. E. Boccard, (Paris, 1971), p. 22.

الصخرية للحجار أو كاف سيدى صالح ، التى يستحيل علينا للاسف تأريخها ، ولا رسوم الجنوب الوهرانى ، كما نجهل العلاقة بين النقوش الناتئة الدائرية الصحراوية والنقوش الناتئة المسطحة التى تظهر فى اقليم قسنطينة مرفوقة بالرموز الليبية (241) •

مهما كانت أصولها غير المحددة ، فالنقوش الناتئة المسطحة لمنطقتى سيقوس وسيلا ، وكذا نصب منطقة القبائل تقدم لنا صورة عن الفن فى بلاد المغرب ما قبل الرومان ، فهذه النقوش تكشف من وجهة نظر فيفرى عن جمال يتجاوب مع التجريد والرغبة فى ضبط الاحجام (242) •

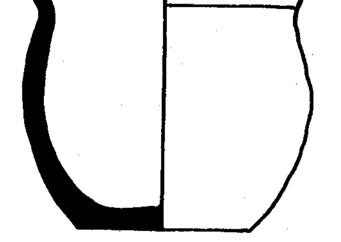
ونجد على المنهير (243) الكلسى الكبير الذى عثر عليه على الضفة اليمنى للواد قرب سيقوس ، شخصا واقفا ، قابضا بيده اليمنى رمحا طويلا ويده اليسرى على صدره ، بينما نجد على نصب ابيزار فى منطقة القبائل المحارب يمتطى فرسا يده اليمنى مرفوعة ، ويحمل باليسرى درعا دائريا وثلاثة رماح وأمامه تجرى نعامة ، ومن المهم الاشارة الى وجود صورة مماثلة على نقش ناتىء على السور المحيط بجدار (أ) لجبل الاخضر بضواحى فرندة ، وهو ما يدل على استمرار عالم ليبى بعيد عن التأثير الرومانى حتى بعد أزيد من خمسة قرون من الحكم الرومانى وقرن من الاحتلال الوندالى •

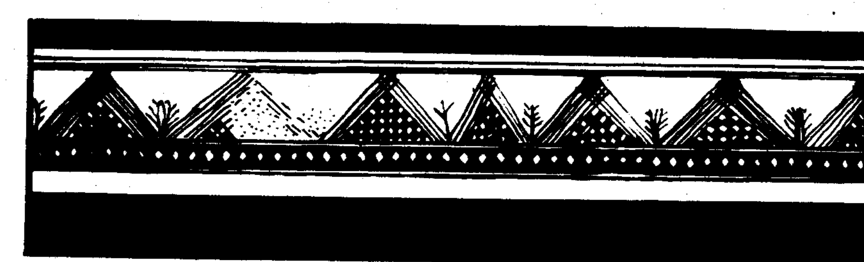
---

(241) Fevrier (P.A.), op. cit., p. 22.

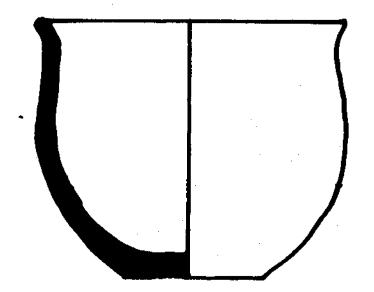
(242) نفسه .

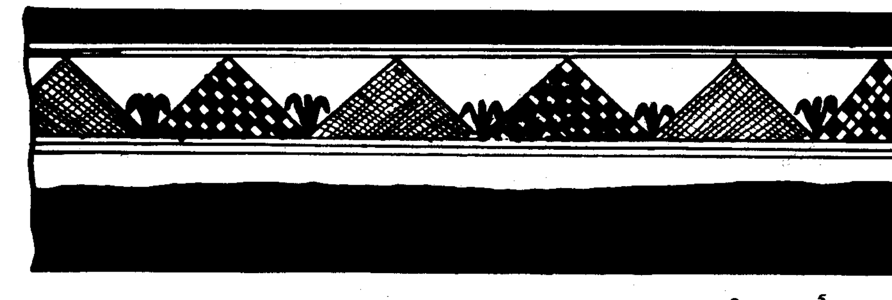
(243) منهير : نصب حجرى عمودى ، قد يبلغ 20 مترا فى الارتفاع.



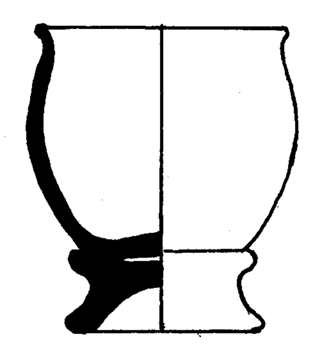


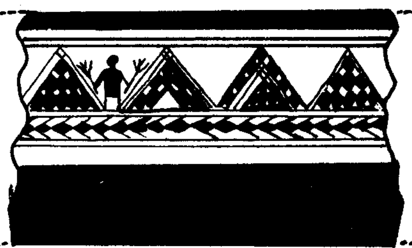
شكل 15 ـ أنية من تيدلس (ضواحي قسنطينة) بعناصر زخرفية نافرية نباتية
نقلا عن كومس، المباني الكنائزية ص 369



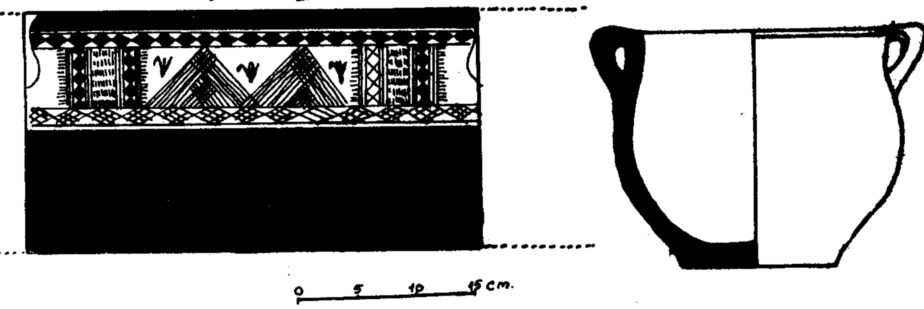


شكل 16 ـ أنية من تيدليس بعناصر زخرفية ناتئة نباتية





شكل 17 ـ آنية من تيدلس: صورة بشرية بين مثلثين

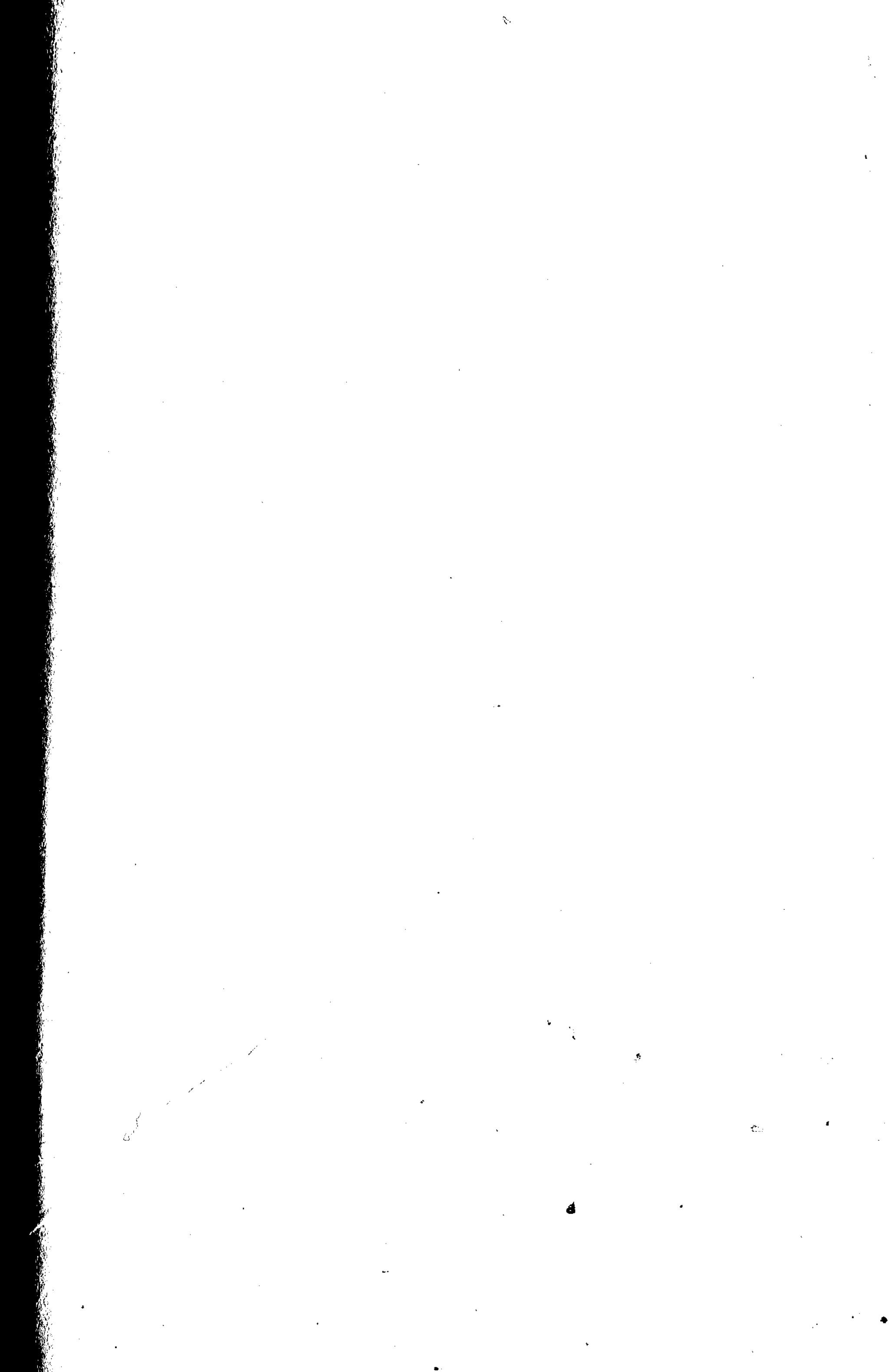


شكل 18 ـ جرة من تيدلس : ها شيئان بينها مثلثات زخرفية
وعناصر زخرفية ثانوية جوية.

الفصــل الثــالث

البــلاد المغاربية فى العهد الرومانى

146 ق م — 429 م



الاطـــار التــاريخى والجغـــرافى

قبل الخوض فى دراسة المغرب فى العهد الــــرومانى نود أن نسجل أولا المراحل الكبرى للاحتلال فى الزمان والمكان •

ـ الاطـــار التــاريخى :

ظلت العلاقات الرومانية بالمنطقة المغاربية حتى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد ، لا تتجاوز بأى شكل من الاشكال الحروب مع قرطاجة • لكن بعد تهديم هـــذه الاخيرة سنـــة 146 ق م، كما رأينا (1) ، حول سكيبيو افريكانوس الاراضى القرطاجية الــــى مقاطعة رومانية (2)، (Provincia Africa) وفصلهـــا عن بـــاقى الاراضى النوميدية بالخندق الملكى (3) (Fossa regia) وكانت هذه المقاطعة تحتوى تقريبا شمال شرق تونس الحالية من طبرقة فى الشمال الغربى الى هنشيرطينـــة (Thanae) فى الجنوب الشرقى (4) •

---

(1) Supra, p. 37

(2) Cf. Boissier (Gaston), L'Afrique romaine (promenade archéologique en Algérie et en Tunisie) 7e éd. Hachette, (Paris (S.d.) P. 92.

(3) اقامة هذا الخندق من طرف سكيبيو، اضافة الى التباطؤ فى سياسة الاستيطان ، دفع بعض المؤرخين الى الاعتقاد بانه لم يكن فى نية الرومان التوسع فى افريقيا، اذ لو كان فى نية هؤلاء التوسع، لما وضعوا حدودا دائمة لما ورثوه عن قرطاجة، وكذا رفض مجلس الشيوخ او تحفظه تجاه مشاريع الاستيطان التى كانت تقـــدم له ، كما ان حرب يوغرطة لم تفض الى توسعات رومانية جديدة •

(4) أنظر الخريطة رقم 5 ص ، 183 ، أنظر أيضا :
Cagnat (R.), " Notes sur les limites de la province romaine d'Afrique en 146 Av. J. C " C. R. A. I et belles - lettres (1894), pp. 43-51

بعد حرب يوغرطة اكتفى الرومان بفرض سيطرتهم على لبدة (5) ، خلافا لما بعد معركة تابسوس سنة 46 ق م، التى ضم علىّ اثرها قيصر جزءا من نوميديا الى الممتلكات الرومانية ، تحولت مباشرة الى مقاطعة رومانية تحت اسم (افريقيا الجديدة) (Africa-Nova) وسلم الجزء الاخر مؤقتا للمرتزق ستيوس (Sittius) .

الى الغرب من أمساقا (الوادى الكبير) كانت تمتد مملكة موريطانيا التى توسعت مرتين على حساب نوميديا المرة الاولى بعد هزيمة يوغرطة سنة 105 ق م،حيث مدت حدودها حتى وادى الساحل (الصومام) على ما يفهم من بعض المؤرخين، والمرة الثانية بعد هزيمة يوبا الاول فى معركة تابسوس ، ووصلت بحدودها حتى وادى أمساقا (6) .

بعد وفاة بوخوس الثانى سنة 33 ق م دون أن يترك وريثا، استولى أغسطس على موريطانيا، واصبحت تدار بواسطة وال رومانى حتى سنة 25 ق م، تاريخ تسليمها الى يوبا الثانى وبلاد

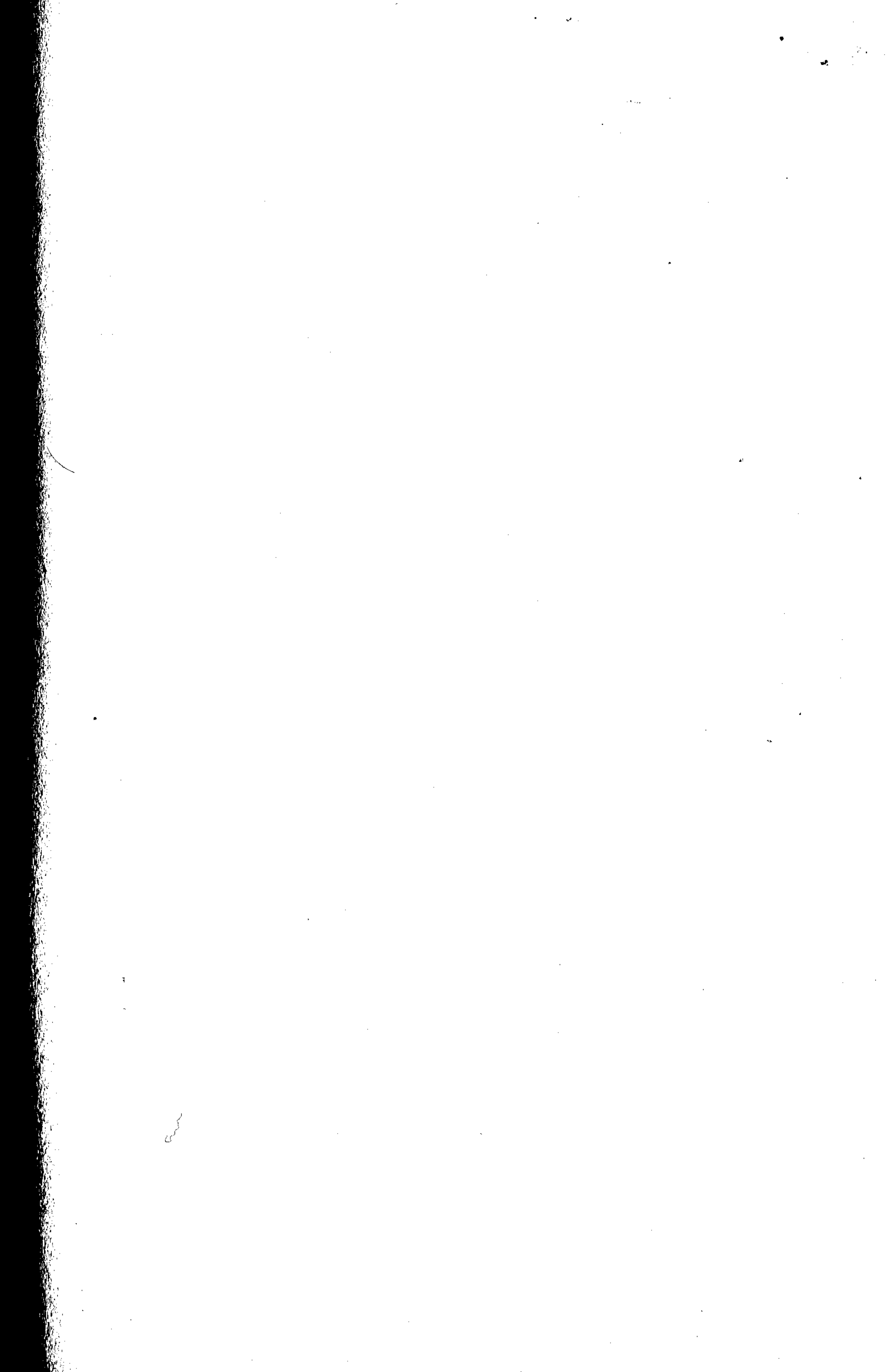
---

(5) Cf. Salluste, **La conjuration de Catilina, la guerre de Jugurtha,** trad. F. Richard, ed. flammarion, (Paris 1966).

(6) انظر اعلاه، ص 60 . ووالجدير بالذكر ان الامير ارابيون — ابن الملك ماسنسان الثانى — قد استعاد جزءا من اراضى والده بعد أن اغتال ستيوس سنة 44 ق م ، كما استرجع بسرعة الاراضى التى ضمها بوخوس الثانى (ابيانوس ، الحرب المدنية ، (IV . 54) واثناء النزاع بين حاكمى المقاطعتين الناتج عن الصراع بين انطونييوس واكتافيوس ، حاول هذا الامير النوميدى استغلال الخلاف بتدعيم هذا تارة واثارة ذاك تارة أخرى (ابياوس، الحرب المدنية، IV . 53-56)، واصبح مشبوها بسبب تاثيره المتزايد ، فتم اغتياله أوائل سنة 40 ق م ، واستولى بوخوس الثانى على أراضيه (انظر قزال ، ج 8، ص 194).

الخريطة: 5

تطور خط الشمس



الجيتول جنوب نوميديا ، فى الوقت الذى أدمجت فيه نوميديا فى افريقيا وتشكلت البروقنصلية (7) •

سنة 23 م على اثر وفاة يوبا الثانى خلفه ابنــه بطليموس ، لكن كاليقولا اغتالــه سنة 40م ، ووضــع بذلك حــدا للمملكــة موريطانيا التى قسمها كلوديوس بعد انهائه لحرب المور بقيادة ايديمون Aedémon) وسالابوس (Salabus) الى مقاطعتين موريطانيا القيصرية (قيصرية شرشال) وموريطانيا الطنجية (المقر طنجة ـــ وليلى) ، وبذلــك أصبحت شمال افـــريقيا تحت السيطرة الرومانية حتى القرن الخامس الميلادى (8) •

ـــ الاطــار الجغرافى لافريقيا الرومانية :

اذا كانت الحدود الشمالية والغربية واضحة، فانه خلافا لذلك تعــرضت الحــدود الشــرقية والجنوبية لتغيــيرات كبــيرة خلال فترة الحكم الرومانى فى المنطقة المغاربية • فالحدود الى الشرق تتوقف عند الكثبان الرملية التى تفصــل اقليم طرابلس عن برقة ـــ ربما ـــ عند هنشير المرقب (Macomade) أما الحدود الجنوبية فهى لم تكن ثابتة وقد بلغت أوج امتداد لها جنوبا فى عهد السيفيريين (9) •

---

(7) Cf. Petit (P.), «La crise de l'Empire» dans **Histoire générale de l'Empire romain**, (3 vol.) éd. du Seuil, (Paris 1974), t. 2, p. 112.

(8) Cf. Albertini (E.), L'Afrique romaine, imp. officiel (Alger 1955), p. 19.

(9) Cf. Chaligne, «Occupation romaine de l'Afrique», Rec de Constantine, t. 53, 1921-22, p. 34.

1 ـ الحدود فى القرن الاول :

أكتفى الرومان فى المنطقة الممتدة بين طرابلس وقابس بالشريط الساحلى الضيق، والى الغرب من قابس يقف التوسع الرومانى عند الضفاف الشمالية لشط الفجاج من حيث تتجه الحدود شمالا نحو قفصه ـ المدينة القديمة (Thelepte) وتبسة، ومن تبسة تأخذ عموما باتجاه جنوب شرق ـ شمال غرب الى الشمال من الاوراس وجبال الحضنة الى سهول سطيف ومجانة حتى تصل الى سور الغزلان (Auzia) ثم تنزل غربا حتى البرواقية، وتساير وادى الشلف من حيث تأخذ اتجاه شرق ـ غرب ـ مليانة عين الدفلى ، الى الغرب تجتاز غيليزان المحمدية وسيق ، وتقترب بالتدريج من البحر وتنتهى عند مليلة، ووراء الريف التى لم تخضع للرومان نجد منطقة أخرى خاضعة لهم تمتد من طنجة الى سالا (10) .

2 ـ الحدود فى القرن الثالث (العهد السفيرى) :

اذا كان الامتداد السالف هو الامتداد العام لخط الليمس (الحدود) فى العهد الرومانى ، فقد طرأت عليه تغييرات منذ أواخر القرن الثانى ، بسبب الحركة التوسعية التى قام بها الاباطرة جنوبا، وهى الحركة التى بدأت أواخر القرن الثانى فى

---

(10) انظر : جوليان (شارل أندرى)، المرجع السابق ، ص 185.

عهد الانطونيين لتبلغ أوجها فى عهد السيفيريين فى النصف الاول من القرن الثالث، لدرجة أن خط الليمس كان عند نهاية الحكم السيفيرى 235 م، قد امتد جنوبا بشكل محسوس (11) اذ نجد المراكز الرومانية فى اقليم طرابلس الى الجنوب من سهل جفارة الذى يفصل الصحراء عن البحر، كما أقيمت خطوط فى شكل حاميات دائمة فى بونجم ، غارية الغربية وغدامس (12) •

الى الغر ب من قابس اصبحت الاراضى الرومانية تشمل الاطراف الجنوبية لشط الفجاج وواحتى نفطة وتوزر، الواقعتين بين شط الجريد وشط الغرسة، ثم تتواصل الحدود كالسابق باتجاه الجنوب الشرقى — الشمال الغربى ، لكنها شاملة الاوراس منذ عهد تراجانوس (13)، كما وضعت الحاميات فى نقرين ، بادس (Badias) مليلى والدوسن، وتتوجه من هنا الى بوسعادة وبوغار، واصبحت بذلك كل سهول الحضنة تحت ادارة المؤسسات الرومانية (14) •

---

(11) Cf. Albertini (E.), **L'Empire romain**, (Collection peuplés et civilisations), éd. Felix Alcan (Paris 1929), p. 272.

(12) Cf. Rebuffat (R.), «Deux ans de recherches dans le Sud de tripolitaine», C.R.A.I (Avril - Juin 1969), p. 189-212.

(13) Cf. Chaligne (C.), **op. cit.**, pp. 28-29.

(14) Cf. Albertini (E.), **L'Afrique romaine**, p. 23.

بداية من بوغار ، تتبع الحدود طريقا استراتيجيا تمر على ثنية الحد ، تيبارت ثـم فرندة ، تقريمارى (Tagremarets) سيدى على بن يوب، اولاد ميمون ، (Altava) تلمسان لالة مغنية• وبذلك نلاحظ أنها تتبع تقريبا الحواف الشماليـــة للهضاب العلياء• وقد اقيمت هنا أيضا المراكز الاماميـــة، أهمها مركزى دماد (قرب مسعد) (Castellum Dimmidi) فى جبال أولاد نايل ومركز جميلاى (15)• والى الغرب من لالـــة مغنية نفقد اثر الليمس ، لكـــن يبدو أنه واصل سيـــره الى ما وراء ذلك (16) حيث عثر على أثر له الى الجنوب من الـــرباط ، مما يبعث على الاعتقاد باستمراره حتى المحيط الاطلسى (17) •

---

(15) حول القلعتين انظر :
Picard (G. ch.), **Castellum dimmidi,** éd. de Boccard, (Paris 1947); Albertini (E.) Massiera (P.), «Le poste romaine de Messad», R.E.A., t. 40-41 (1938)-1939); Baradez (J.), «Gemellae, un camp d'Hadrien et une ville des confins sahariens aujourd'huit ensevelis sous les sables, Rev. Af., t. 93, (1949), pp. 5-24.

(16) Cf. Rouland (M.), «le limes de Tingitane au Sud de Sala Colonia» C.R.A.I et belles lettres t. 14 (1924), PP. 461-68.

(17) Cf. Courtois (chr), **Les Vandales et l'Afrique,** éd. Arts et Metiers graphiques (Paris 1955) p. 79; C.F Carte n° 5 p. 203.

1 — تنظيـم المقاطعات :

أ — فى العهـد الجمهـورى :

ما كان فى يد القرطاجيين حتى سنة 146 ق•م ، تحول بعـد تهديم قرطاجة الى مقاطعة رومانية (Provincia - Africa) اسندت ادارتها لاحـد القضـاة السنويين (Praetor) أو الى قاض مخول (18) (Propraetor

الحرب ضد يوغرطة 112 — 105 ق•م ، لم تـؤد الى تغيير يذكر باستثناء انفصال لبدة على ما يذكر سالوستيوس ، وهـى التى ظلت تكون مع أويا (طرابلس) وصبراتـه (زوارة) اقليـم المدن الثلاث (Confederation de tripoli) وهو ما دعا البعض الى القول بضم هذا الاقليم كله الى المقاطعة الرومانية منـذ ذلـك التـاريخ (19) •

---

(18) كان عدد القضاة السنويين (Praetor) لا يتجاوز ستـة ، وهو عدد لا يكفى لتغطية كل المناصب بالمقاطعات ، فكان يقـع تعيين قاض مخول ، وهو عبارة عن قاض انتهت مهامه تخـول لـه ادارة مقاطعة رومانيـة •

(19) Cf. Marquardt (Joachim), «L'organisation de l'Empire romain» Manuel des antiquites romaines, (16 vol.), trad. Gustave Humbert, éd. Thorin (Paris 1889-97), t. 9, p. 451.

لم يستولِ الرومان على نوميديا الا بعــد معركــة تابسوس 46 ق • م ، وتكونت منها مقاطعة مؤقتة عــرفت بـــ « افريقيا الجديدة » ، يذكر ديون كاسيوس أن أغسطس سلمها الى يوبا الثانى سنة 30 ق•م ، قبل أن يتخلى عنها سنة 25 ق•م ، عندما أسندت له مملكة موريطانيا (20) ، بينما ألحقت نوميديا منذ ذاك بافريقيا القديمة ، التى أصبحت حدودها تمتد حتى نهر أمساقا غــربا ومعبد الــفيلان شــرقا (21) وخــــلافا للقــاعدة المعمول بها فى العهد الجمهورى أصبح يحكمها القنصل المخــول (Proconsul) ، وبذلك أصبحت تعرف بـــ «البروقنصلية»، وقسمت الى ثلاث دوائر ادارية استغلت كقاعــدة فى توزيــع الاسس الضريبية ، وتطابق أيضا ــ ربما ــ مقاطعات اداريــة وقضائية (23) ، تحولت فيما بعد الى أربع دوقيات بعد ضــم نوميديا وهــى :

---

(20) ديون كاسيوس .2,26, LIII. 6,15,LI أنظر اعلاه ص 103 وكــذا :

Boissiere (G.), «Esquisse d'une histoire de la conquête et de l'administration romaine dans la province de numidie, » éd. Hachette (Paris 1878) P. 228.

بينما يؤكد سترابون (7, 3, XVII) ان اغسطس منــح يوبــا مملكتى بوغود وبوخوس زيادة على مملكة والــده .

(21) هذا ما يذكره سترابون (25, 3, XVII) فى فقرة يذكر فيهــا المقاطعات التى اسندت سنة 27 ق.م الى الشعب اى مجلس الشيــوخ .

(22) القنصل ــ المخول : هو فى الغالب قنصل قديم انتهت مهامــه وابقى فى منصبه لانهاء الحملة التى شرع فيها او لادارة مقاطعة سيناتورية ، وهو مزود بكامل السلطات المخولة للقنصل .

(23) Cf. Decret (F.), Fantar, op. cit., p. 143.

أ•أ دوقيــة قرطاجة (Dioecesis Carthaginiesis)

أ•ب ــ دوقية بنزرت (« Hipponiensis)

أ•ج ــ دوقية حضرموت (« Hadramitina)

أ•د ــ دوقية نوميديا (Numidica) بقيرطا كمقر ، وكان على رأس كل دوقية قائــد (Legatus) تابــع للقنصــل المخــول (البروقنصل) (24) •

ب ــ فى العهد الامبراطورى : قام النظام الادارى على مبدأ تقسيم السلطة بين الامبراطور والشعــب الممثــل فى مجلس الشيوخ ، وعلى هذا الاساس قسم اغسطس العالم الرومانــى الى نوعين من المقاطعات (25) : مقاطعات سيناتورية ، على رأس كل منها قنصل ــ مخول ، يعين من طرف مجلــس الشيــوخ ، ومداخيلها تذهب الى الخزينة العامة ، ومقاطعات امبراطوريــة تسير من طرف القاضى ــ المخول (Propraetor) أو وكيــل ــ الامبراطور (Procurator) الذى يعينه الامبراطور ، ومداخيلها تذهب الى خزينته الخاصة (26) •

---

(24) Cf. Marquardt (J.), op. cit., p. 453.

(25) تصنف المقاطعات الى مقاطعات سيناتورية (مدنيــة) واخــرى امبراطورية (عسكرية) تبعا للنفوــذ الرومانــى ، فالمناطــق السيناتورية (المدنية) هى المناطق الهادئة والاكثر استقــرارا اما المناطق التى كانت فى حاجة الى العمل العسكرى ، فكانت تعتبر مناطق امبراطورية (عسكرية) لجا اغسطس الى هــذا التصنيف حتى يحتفظ بالقوات المسلحة تحت قيادته .

(26) Cf. Albertini (E.), *L'Afrique romaine*, p. 32.

وعلى هذا الاساس نجد فى القرون الثلاثة الاولى من الامبراطورية بافريقيا أربع مقاطعات هى : افريقيا البروقنصلية، نوميديا ، موريطانيا القيصرية ، موريطانيا الطنجية (27) •

ب•أ — افريقيا البروقنصلية : تشمل الاراضى الموروثة على قرطاجة واقليم طرابلس وجزء من الجزائر الحالية من غرب عنابة فى الساحل الى سوق أهراس وقالمة وربما تبسة منذ أواخر القرن الاول الميلادى ، وباعتبارها منطقة هادئة ، أسندت ادارتها الى مجلس الشيوخ ، الذى يعين عليها قنصلا — مخولا لمدة سنة (28) •

ب•ب — نوميديا : يحدها غربا مصب الوادى الكبير ثم مجموعة الاودية التى تضع جميلة فى نوميديا وسطيف فى موريطانيا القيصرية وفى الجنوب تمتد نوميديا الى شرق وجنوب سهول الحضنة ، وكانت تحت حكم قائد الفرقة الاغسطية الثالثة منذ أن فصل كاليبقولا سنة 37 م قيادة هذه الفرقة عن البروقنصل (29) ، وقد حمل القائد (Legat)• الذى يعينه الامبراطور منذ ذلك الوقت لقب « القاضى المخول » (Propraetor) ، ورغم التبعية النظرية للبروقنصلية حتى سنة 204 تاريخ انفصال نوميديا الرسمى عن البروقنصلية ، فعان سلطة القاضى المخول أصبحت كاملة ولا يحاسبه أحد غير الامبراطور ، وكانت مهامه تتجاوز قيادة الجيش الى الادارة

(27) أنظر الخريطة رقم 6 ، ص 193 .

(28) Boissiere (G.), op. cit., p. 230.

(29) Cf. Tacite, Histoire, I, II et IV, 48.

الخريطة: 5

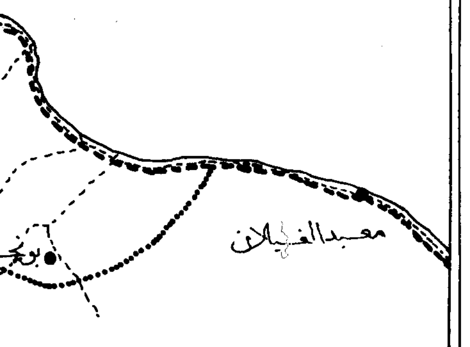
المفتاح .

- مقاطعة افريقيا (الخندق الملكي)
- الحدود الرومانية في القرن الثاني الميلادي
- الحدود الرومانية في القرن الثالث الميلادي
- مواقع المدن
- أوديـــــة
- شطوط .

مقياس الرسم

5500000/1

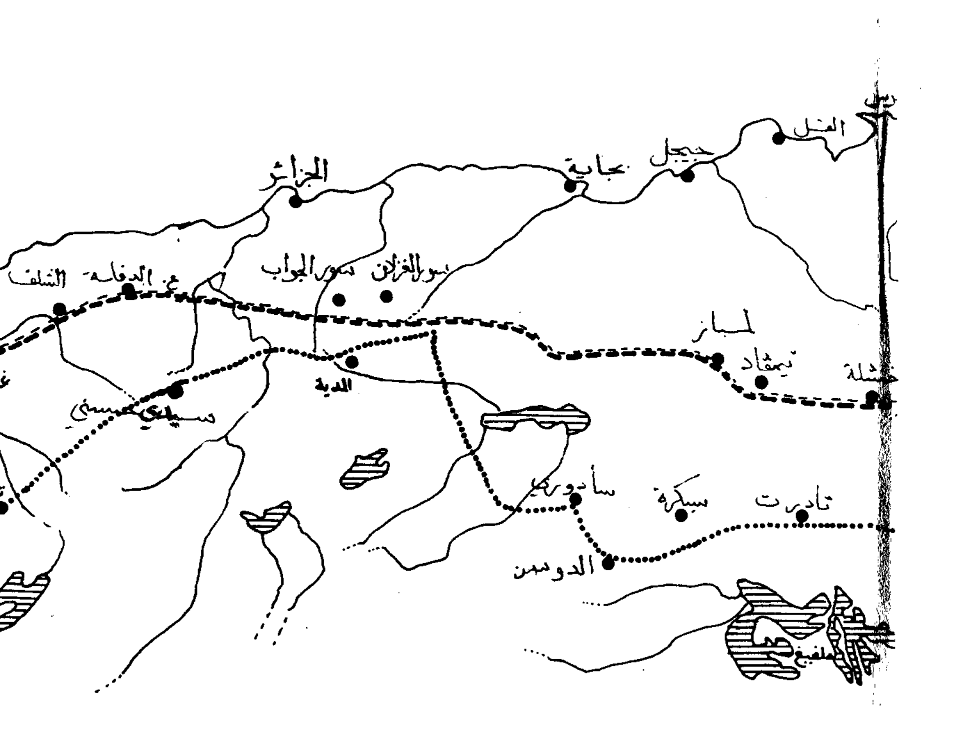
0 — 275 كلم



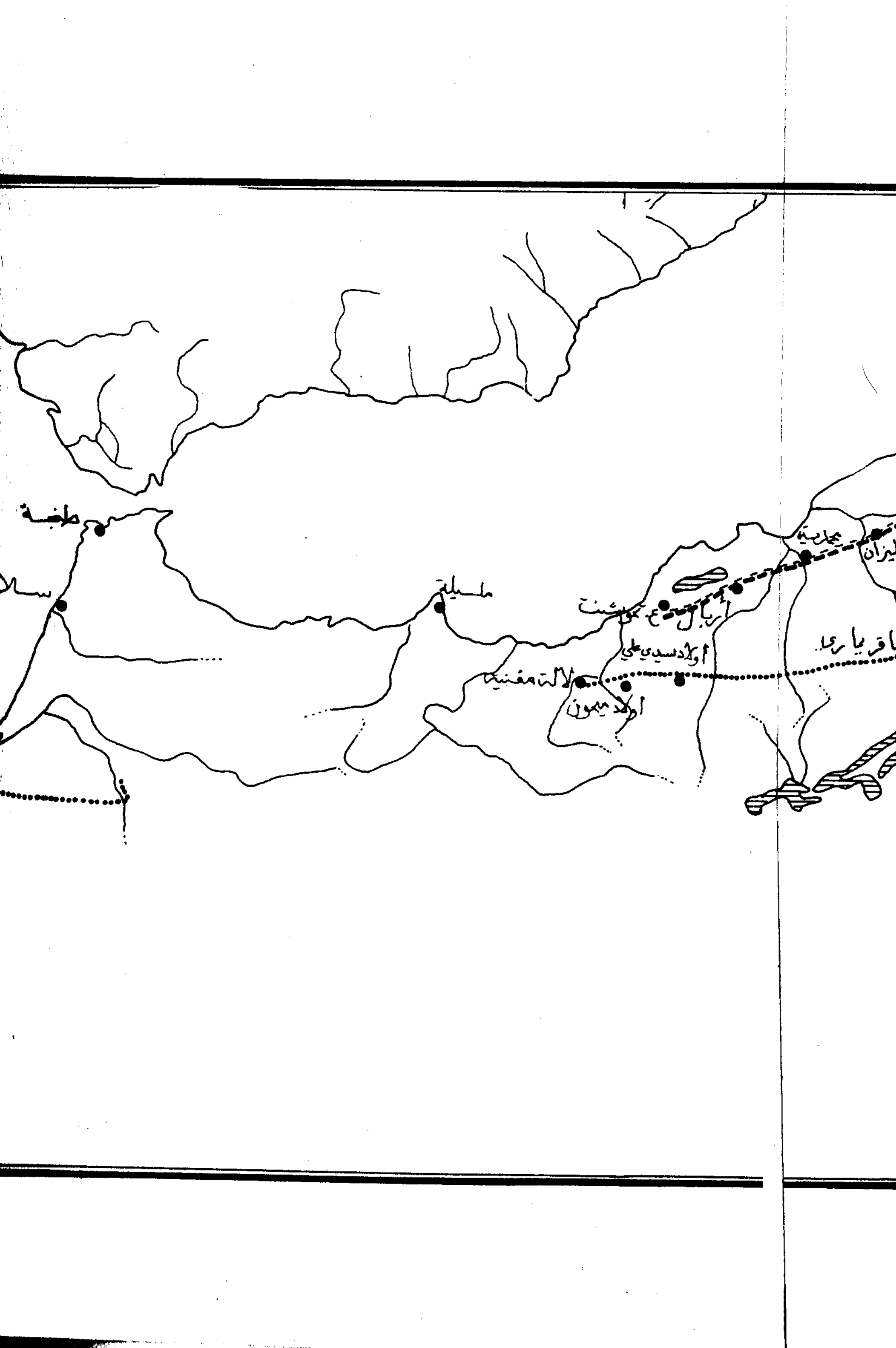
تطور جغ

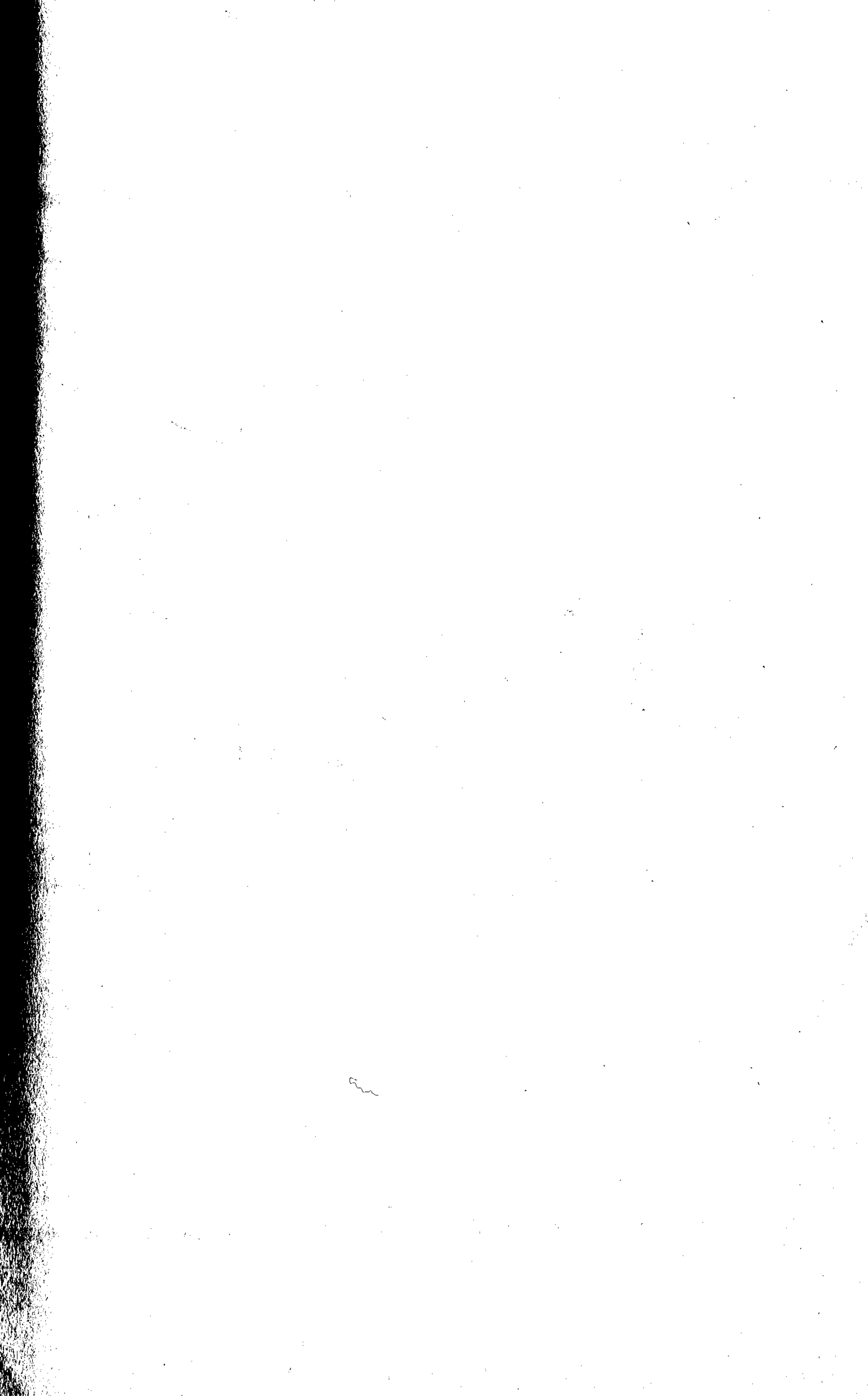
هيبو دياريتوس
طبرقة
هيبو
صقلية
مالطة
تبسة
م. القديمة
قفصة
تاميرزة
قابس
طينة
نفطة
الجريد
بوغارة
سيدي محمد بن عيسى
قصر غيلان
سي عون
لبدة
طرابلس
صبراتة
ترهونة
ميزدة
غارية الغربية

الشيلش

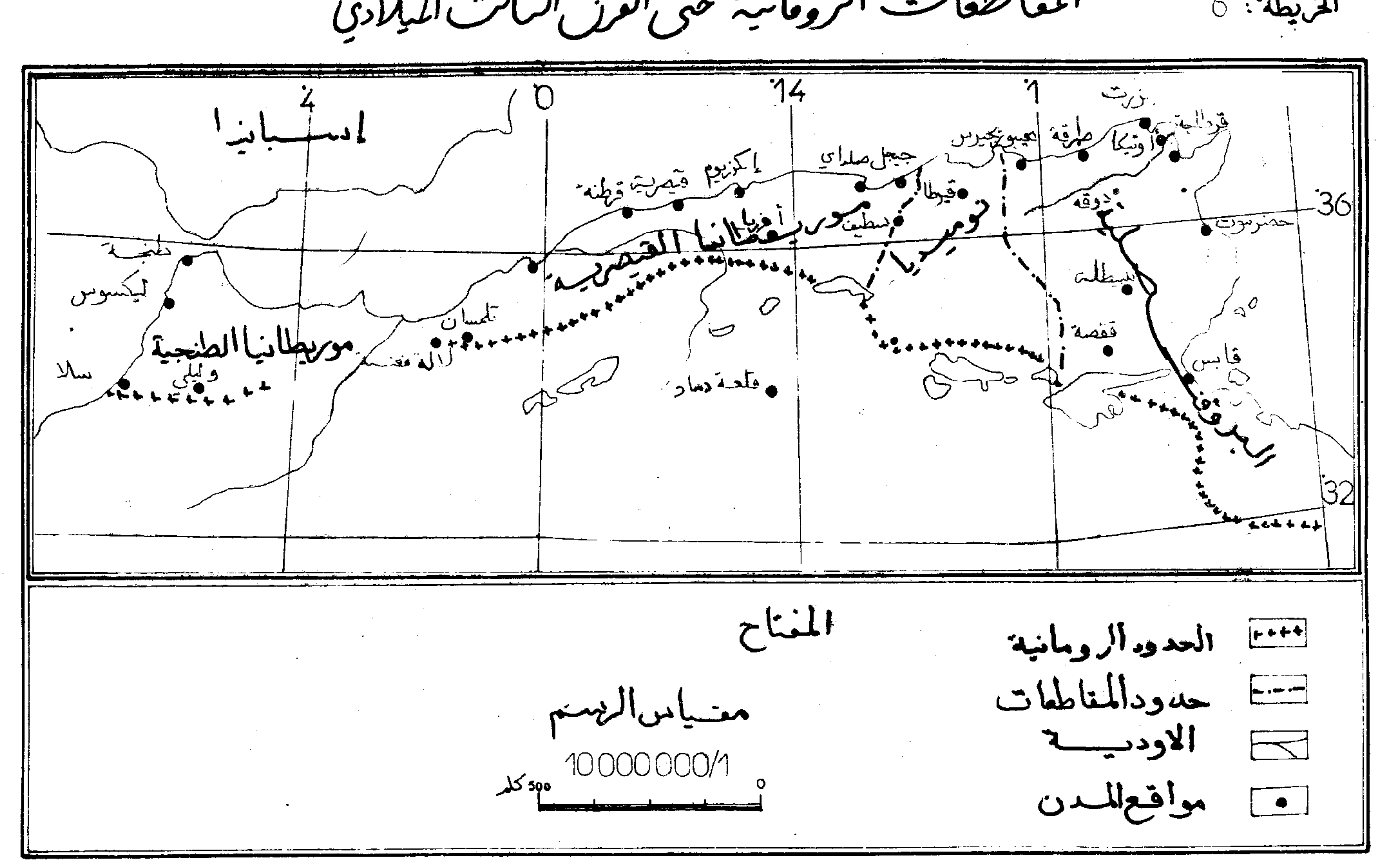


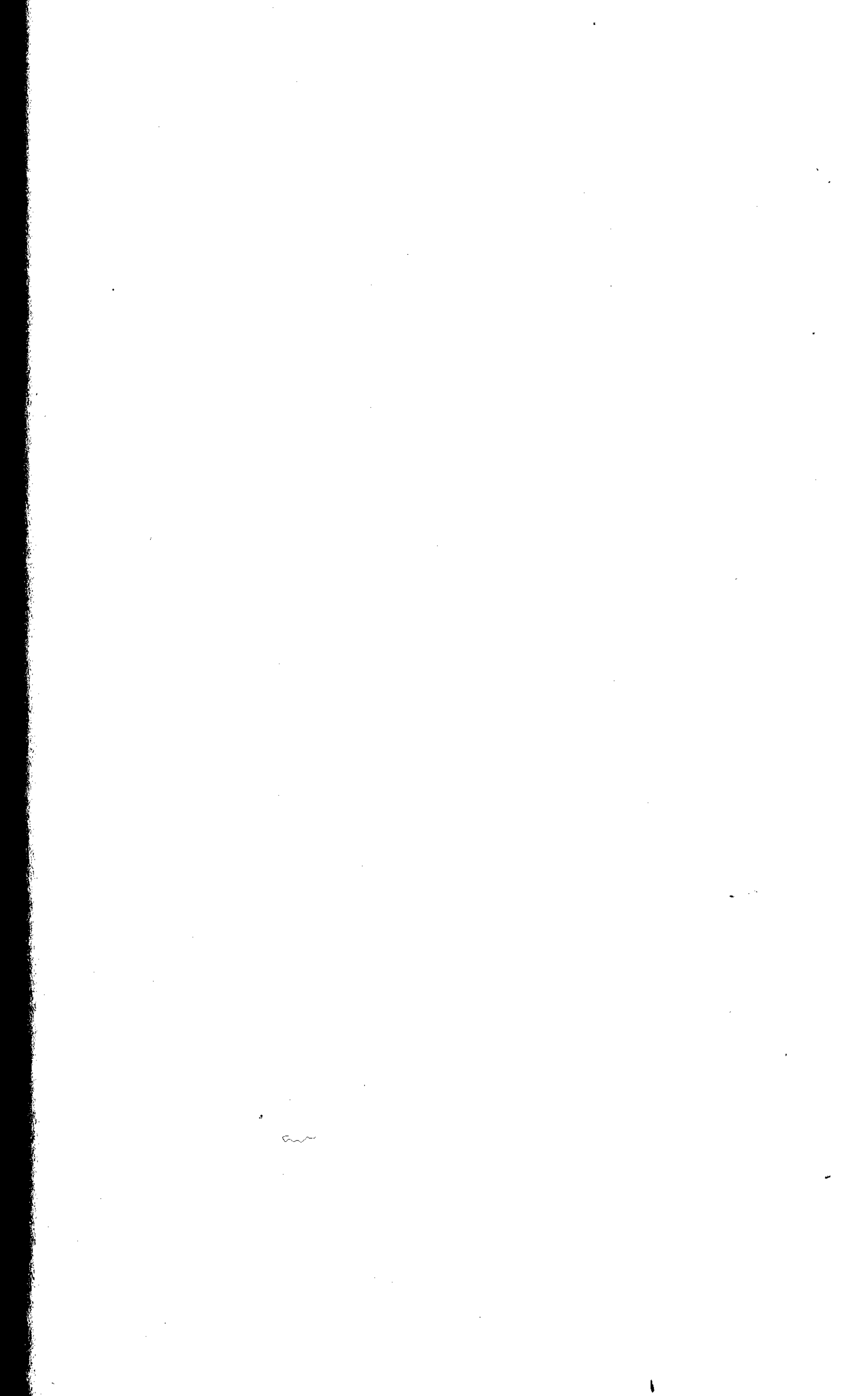
القل
جيجل
بجاية
الجزائر
سور الغزلان
سور الجواب
ع. الدفاسه
الشلف
المدية
سيدي عيسى
لمبازر
تيمقاد
خنشلة
تادرت
سبكرة
الدوسن


طنجة
مليلة
لالة مغنية
أولاد سيدي علي
أولاد ميمون



الخريطة: 6 المقاطعات الرومانية حتى القرن الثالث الميلادي





والقضاء • أما اقامته فكانت فى مقر الفرقة الاغسطية فى حيدرة أولا ثم انتقلت الى تبسة ثم تازولت (لمباز) (30) •

بعــد انفصــال نوميديا عن البروقنصلية فى عهد سبتميوس سيفيروس ، سحبت أيضا الادارة المالية من خازن (Questor) مقاطعة البروقنصلية ، وكلف بها وكيل امبراطورى (Procurater (impérial) ، اما الليقاتوس فالغالب انه احتفــظ بالسلطــات المدنية والعسكرية حتى سنة 260 وربما حتى عهد أوريليانوس (270 — 275) ، اذ أصبحت منذ هذا العهــد الادارة المدنيــة فى يد البرايسوس (31)

ب•ج — موريطانيا : بعــد اغتيــال بطليموس سنة 40 م والقضاء على ثورة القبائل المورية بقيادة ايديمون سنة 42 ألحق كلوديوس موريطانيا بالممتلكات الرومانية مقسما ايــاهــا الى مقاطعتين (32) •

— موريطانيا القيصرية : تمتد من الوادى الكبير الى وادى الملوية على شريط ساحلى محصور بين البحر والاطراف الشمالية للهضاب العليا ، ووضعت تحــت حكــم وكيــل الامبراطــور

---

(30) Boissiere (G.), **op. cit.**, pp. 247-248 et 251-252 et suite 313 - 312 - 299 - 298

(31) **نفســه ، ص 292 وما بعدها خاصة 298 — 299 ، 312 — 313 .**

(32) Dion Cassius, LX 9; Petit (P.), **op. cit.**, p. 112.

(Procurator) (33) يجمع السلطات المدنية والعسكرية (34).

ـ موريطانيا الطنجية : الى الغرب من الملوية ، كان يحكمها بدورها وكيل الامبراطور يقيم فى طنجة . ويحدث فى بعض الاحيان جمع الموريطانيتين تحت حكم وكيل واحد وهو ما حدث فى عهد ڤالبا (Galba) وعهد سيفيروس وابنه كراكلا ، وعهد هدريانوس ، بهدف جمع القوات تحت قيادة واحدة (35) .

وبذلك نلاحظ أن افريقيا قسمت الى أربع مقاطعات مختلفة، طبقت فيها ثلاثة أشكال من الحكم : حكم القنصل المخول (البروقنصل) ، حكم القاضى المخول (البروبريتور) ، حكم وكيل الامبراطور (البروكيراتور) ، ولا يستبعد أن يكون الهدف من هذا التقسيم هو الخوف من الحاكمين والمحكومين ، كما عبر عن ذلك ألبيرتينى ، اذ تكون روما قد قسمت المنطقة حتى تتجنب تشكيل وحدة مقاومة وطنية شاملة ، كما يمكن أن تخشى من وضع كل المنطقة تحت ادارة رجل واحد (36) .

---

(33) كان وكيل الامبراطور مثله مثل القاضى المخول ، يختار من طرف الامبراطور ويعينه على راس ولاية امبريالية ليقوم بنفس الاعمال التى يقوم بها القاضى المخول ، والفرق بينهما يتعلق بالرتبة لا بالوظيفة ، فبينما كان القاضى المخول ينتمى الى رتبة الاعيان (مجلس الشيوخ) كان وكيل الامبراطور من رتبة الفرسان .

(34) Tacite, Hist., II, 58.

(35) Cf. Marquardt (J.), op. cit., pp. 481-82.

(36) Albertini (E.), op. dit., p. 36.

ظل هذا التقسيم قائما حتى عهد ديوقليسيانوس (285 — 305 م) الذى قام فى اطار عمله الاصلاحى الـذى يستهـدف مراقبة أفضل للامبراطورية ، باستحداث أقسام جديدة ، وعهد بكامل البلاد — باستثناء موريطانيا الطنجية التـى ألحقـت باسبانيا — لوكيل افريقيا (Vicaire d'Afrique)، الـذى أصبـح الرئيس الاعلى لكل رؤساء المقاطعات باستثناء القنصل المخول، وكان مقره فى قرطاجـة ، وقسمـت افريقيـا الى الاقسـام التاليـة (37) •

أ — البروقنصلية أو زغوان : تجمع دوقيات بنزرت وقرطاجة، واحتفظت بقرطاجة كعاصمة •

ب — المـزاق : دوقية حضرموت ، وكانت تغطى بالخصوص أراضى الاستبس فى تونس الداخلية ، وكانت تخضع لحاكم من طبقة مجلس الشيوخ (Consularis) •

ج — اقليم طـرابلس : ببرايسوس يقيم فى لبدة ويـدير الاراضى الممتدة من جنوب الجريد الى أعماق السيرت •

د — نوميديا : قسمت أثناء اصلاحات ديوقليسيانوس — دون شك سنة 303 م — الى مقاطعتين : — نوميديا قيرطا ونوميديه العسكرية ، هذه الاخيرة احتفظت بلمباز كمقر ، لكن هذا التقسيم لم يدم طويلا ، اذ تمّ توحيد المقاطعتين تحت سلطة برايسوس

---

(37) Cf. Boissiere (G.), op. cit., pp. 320-321.

واجد من طبقة الفرسان فى البداية ثم سيناتورى ، وأصبحت قيرطا هى المقر (38) •

هـ — موريطانيا : تم الحاق موريطانيا الطنجية باسبانيا ، بينما قسمت موريطانيا القيصرية الى مقاطعتين : القيصرية والسطايفية (39) ، يفصل بينهما وادى فليتون (40)•

ويعود هذا التقسيم الى ما قبل 289 ، وربما الى السنة الاولى من حكم ديوقليسيانوس 285 (41) • وظلت القيادة العسكرية مؤقتا بين أيدى البرايسوس اما الادارة المالية فكانت موريطانيا تابعة لنوميديا منذ عهد قسطنطينوس الاكبر على الاقل (42) •

2 — المدن والتنظيمات البلدية : من المتفق عليه أن الظواهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية للاستقرار والتمدن لم

---

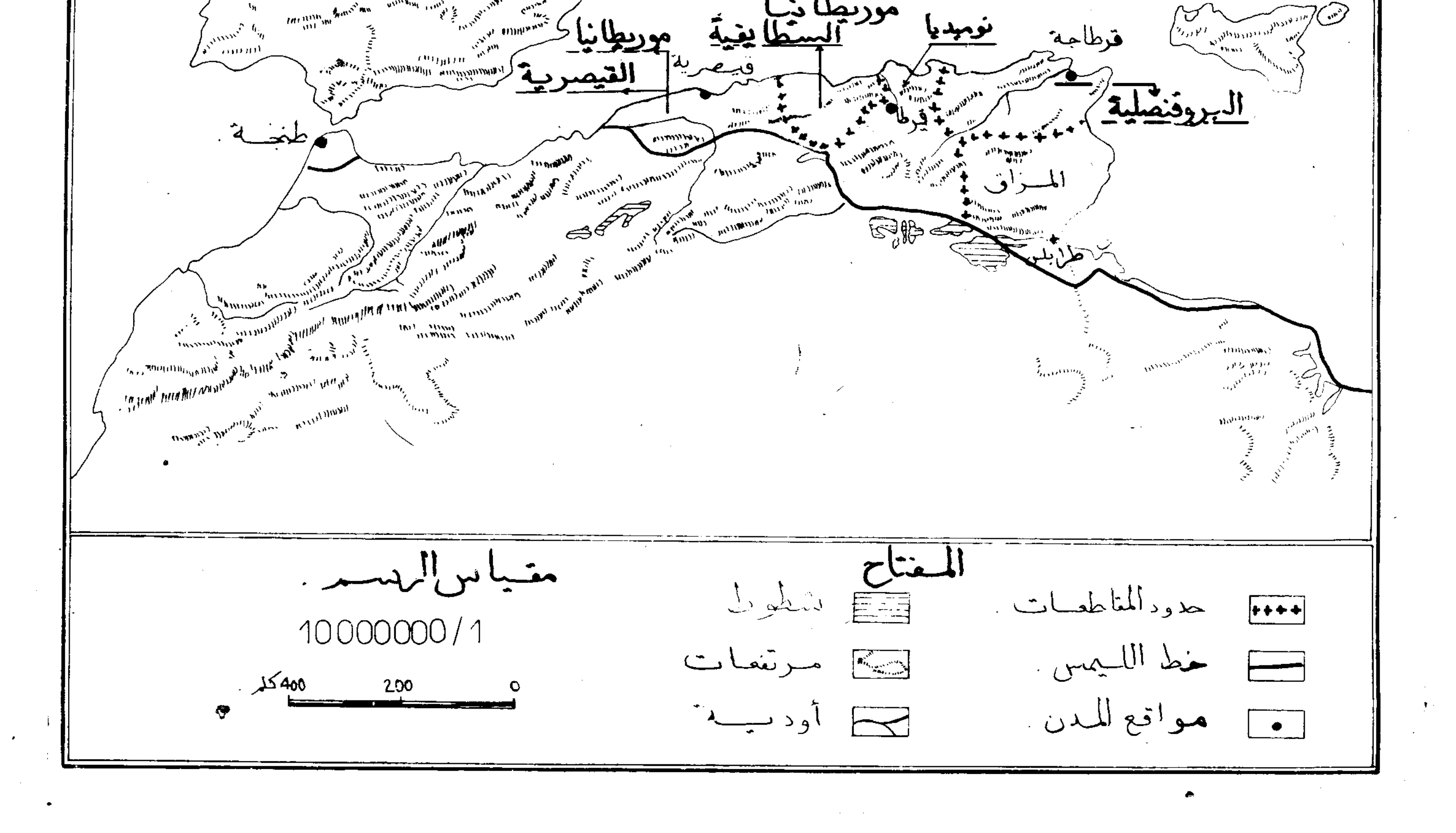
(38) بواسيي (ج.) ، المرجع السابق ، ص 323 — 324 ، وانظر ايضا :
J. Desanges, Permanence d'une structure indi gène en marge de l'administration romaine ; la numidie traditionelle, **Ant. Af.**, t. 15, (1980) p. 78.

(39) حول هذه الاقسام الادارية انظر الخريطة رقم 7 ص 199 •

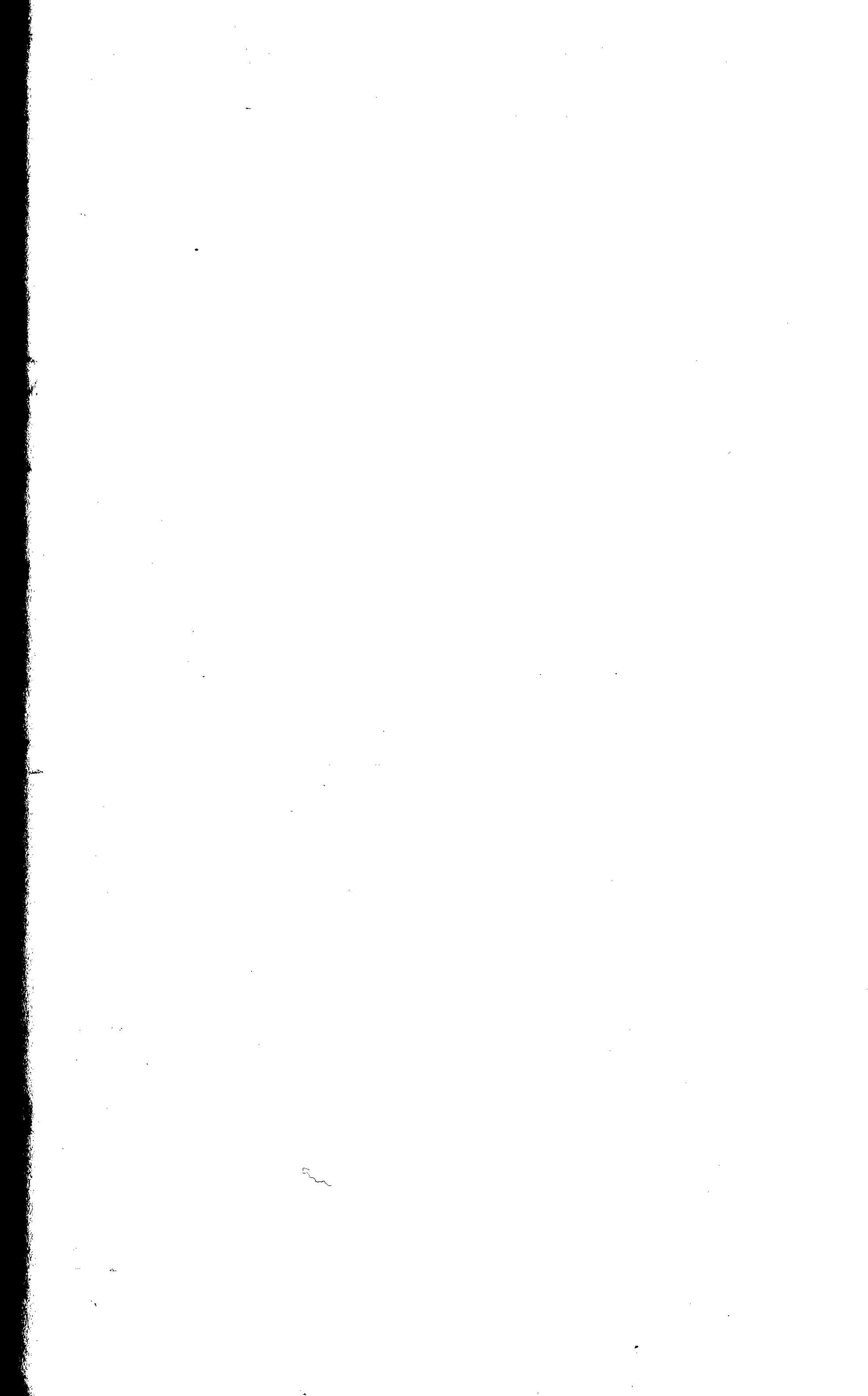
(40) Poulle (A.), «A travers la Mauretanie Setifienne» Rec. de Constantine, t. 7, 1863, pp. 7-8.

(41) Cf Marquardt (J.), op. cit., pp 484-485 la pro-

(42) p. 324; Poulle (A.), Insriptions de Constantine et de la province, **Annuaire Archéologique**, (1869), pp. 678-681.



موريطانيا
موريطانيا
القيصرية
السطايفية
نوميديا
قرطاجة
البروقنصلية
قيصرية
طنجة
قرطا
المزاق
طرابلس
المفتاح
حدود المقاطعات
خط الليمس
مواقع المدن
شطوط
مرتفعات
أودية
مقياس الرسم
10000000/1
0
200
400 كلم



تنتظر قدوم الرومان لتنمو وتطور فى المنطقة ، بل على العكس من ذلك كثير من التجمعات الرومانية فى الداخل بالخصوص — تبسة ، تيديس ، قيرطا ، تاموسيدا وغيرها — تطورت على مواقع مدن أهلية قديمة • واذا لم نأخذ غير أراضى نوميديا فى القرن الثانى ق•م الممتدة من حدود قرطاجة شرقا حتى وادى الملوية غربا نجد بها حوالى خمسين مدينة مذكورة فى نصوص المؤلفين القدامى وتم التحقق منها بالبحث الاثرى (43) •

الى كل هذه المدن نضيف مدن موريطانيا والمدن التى أنشأها الرومان مما يفسر لنا الحركة العمرانية التى يتحدث عنها القدامى ، لكن هذه المدن وزعت فى تنظيمات بلدية ذات مستويات مختلفة ، وهو ما ينجم عنه تنوع الوضع القانونى للسكان بتنوع البلديات التى يقطنونها ، وهى فى أربعة مستويات :

أ — المستوطنات الرومانية : وهى المدن التى أسسها الرومان ، أو مدن استقبلت مجموعة من السكان يتمتعون بحقوق المواطنة الرومانية ، ويعد بالتالى سكانها مواطنين رومان سواء بالاصل أو القانون ، ويتمتعون لذلك بقوانين منسوخة على قوانين روما ، وتطبق بها القوانين الرومانية ، وتتمتع بالاستقلال الادارى (44) •

Cf. Decret (F.), Fantar (M.), op. cit., pp. 194(43) - 195.

(44) نفسه .

اضافة الى هذه المستوطنات التى تستجيب لوظائف استراتيجية يجب اضافة عدد آخر من المدن التى رفعت الى مصاف المستوطنات ، اما لكونها عواصم قديمة أو بسبب رومنة متقدمة أو لاهميتها الاقتصادية، ففى هذا الاطار منح هدريانوس حق المستوطنة لاوتيكا ، بولا — ريجيا ، زاما — ريجيا وطبنة (45) .

ب — البلديات الرومانية : كانت لها مؤسسات كالمستوطنة مأخوذة على مؤسسات روما ، بنفس الالقاب والمهام ، لكن الملكيات العقارية فى البلديات كانت تخضع لاعباء كانت أراضى المستوطنات معفية منها (46) .

ج — البلديات اللاتينية : هى البلديات التى تكون أقل « رومنة » ، وسكانها أقل اندماجا ، فتزود بالقانون اللاتينى فقط (47) .

د — بلديات الغرباء : هى البلديات التى يتكون معظم سكانها من الاهالى وهى بلديات تأخذ أشكالا ، فأحيانا كانت روما تكتفى بالاعتراف وتكريس سلطة رئيس القبيلة على قبيلته مع الاحتفاظ بالمؤسسات والقوانين العرفية المحلية ، وأخرى تنشىء

---

(45) نفسه ، ص 196 .

(46) دوكرى ، فنطر ، المرجع السابق ، ص 196 .

(47) نفسه ، وانظر ايضا :
Carcopino (J.), «Du droit de cité accordé par les romains aux peuples conquis de ses éfforts» ext. annales Universitaire de l'Algérie (Mars 1915).

بها مجلسا يمكن أن يتحول فيما بعد الى مجلس بلدى من النوع اللاتينى أو الرومانى (48) •

فى كل البلديات أى كان نوعها يوجد أيضا اختــلاف قانونى بين سكان المركز المدنى عندما يوجد ، والذين يعيشون فى مناطق أو دور متفرقة فى حدود البلدية •

لكن هذه الوضعيات لم تكن قارة ، وكان يلازمهــا « مبــدأ ادماجى » يسمح لمختلف الشعوب بالارتقاء ، فبلديــة الغرباء يمكن أن ترتقى الى البلدية اللاتينية ، والبلدية اللاتينية يمكن أن ترتقى الى البلدية الرومانية والاخيرة يمكن أن ترتقــى الــى مستوطنة رومانية وهذا تبعا لعمق الرومنة أو المصالح التــى تقدمها لرومــا •

---

(48) Albertini (E.), op. cit., p. 39; Cf. Aussi poinssot (Cl.) Suo et Sucubi, **Karthago,** t. 10 (1959-60) p. 126-127; Lacroix (F.), «Colonisation et administration romaine dans l'Afrique Septentrionale», Rev. Af., t. 7, (1863), pp. 362-363.

الحيــاة الاقتصــاديــة

اذا كان جل المؤرخين متفقين على الدور الاقتصادى الهــام الذى لعبته بلاد المغــرب فى الامبراطورية الرومانية ، فانه مما لا شك فيه أيضا أن الحاجــات الغذائية الرومانية ، كانت وراء تكثيف النشاط الزراعى الذى كان بدوره وراء تنشيط الحركــة التجارية والصنــاعية •

1 ــ الزراعة : اذا تتبعنــا السياسة الزراعيــة للاباطرة الرومان نجــد أن أباطرة القــرن الاول الميلادى قــد اتسمت سياستهم بتكريس جهودهــم لزراعة القمــح ، التــى انتشرت بالخصوص فى سهول أمبوريا والسهول الكبرى بتونس والسهول العليا القسنطينية ، ومناطق من موريطانيا القيصرية سطيــف بالخصوص (49) ، لتتحول هذه الجهود فيما بعد ، لا سيما ابتداء من القرن الثانى الميلادى ، الى الزراعة الشجرية التى تصدرتها الزياتين والكروم والتين ، حيث اعتبر بعــض المؤرخين القــرن الثانى فترة توسيع وازدهار المساحات المزروعة بالكروم والزيتون فى افريقيا (50) ، ولم يعد بالتالى القمح يحتفظ بالمكانة التى كان

---

(49) Picard (G. Ch.), La civilisation de l'Afrique romaine, éd. plon (Paris 1959), p. 74

(50) Martin (J. P.), La Rome ancienne (735 Av. J.C. - 395 ap. J.C), éd. P.U.F., (Paris 1973), p. 254.

يحتلها فى القرن الاول ، فكانت الاراضى التى تستصلح تغـرس بالزيتون والكروم خاصـة •

وهكذا احتلت غراسة الزيتون مكانة مرموقة في اقليم طرابلس والهضاب العليا المحاذية للحدود الجزائرية ـــ التونسية بين سوق أهراس وتبسة وكذا منطقة القبائل (51) بينما ظلت الهضـاب السطايفية وموريطانيا الطنجية أراضى القمح ، كما تنامت تربية الماشية ، فالى جانب الخيـول والمواشى الضخمة والصغيرة ، بدأ الجمل يأخذ مكانه في الاقتصاد الريفى منذ أواخر القـرن الثانى الميلادى (52) •

2 ـــ النشاط الحرفى : سعة وانتشار النشاط الفلاحـى فى بلاد المغرب والمكانة المرموقة التى احتلها في العالم الرومانى ، جعله يطغى ويحجب باقى الانشطة الاخرى الحرفية والتجارية ، رغم أنها تساهم فيها ، فقلة النقوش التى تشير الى الانشطـة الحرفية ، زيـادة على قلـة الجمعيات الحرفيـة فى الولايات الافريقية ، جعل البعض يرى فى ذلك دليـلا على قلة النشـاط الصناعى ، لكن لاى مدى يصدق هذا الحكم ؟ فهل حقا انعـدم

---

(51) Cf. Camps Fabrer (H.), **l'Olivier et l'huile dans l'Afrique romaine**, éd. Imp. officielle (Alger 1935), pp. 25-30; Albertini (E.), **l'Afrique romaine**, p. 28.

52 حول دخول الجمل شمال افريقيا انظر :
Courtois (Ch.), **Les Vandales et l'Afrique**, pp. 98-104 et Reinach (Sal.), chevaux et chameaux d'Afrique», **Rec. de Constantine**, T. 36, (1903), pp. 71-74.

النشاط الحرفى فى المنطقة ؟ لا شك أننا نجانب الصواب اذا حاولنا الاجابة بالايجاب ، لكن كل ما في الامر — فى رأينا — هو أن النشاط الزراعى طغى على باقى الانشطة الاخرى لدرجة أن المرء يشعر بغيابها •

من بين الحرف ، نجد صناعة الانسجة والفخار والخزف اضافة الى الصناعات التحويلية :

أ — صناعة الانسجة : نالت الانسجة الافريقية شهرة كبيرة في الامبراطورية الرومانية ، بفضل استخدام الصباغة الارجوانية التى تعطى للنسيج لونا أرجوانيا ، جعل الشعراء يتغنون بقطع القماش الافريقية الارجوانية ، واذا كانت مكثر أشهر مراكز صناعة الانسجة ، فان القل وجربة اشتهرتا بدورهما باستخراج المريق وصناعة الصباغة الارجوانية (53) •

ب — صناعة الفخار : فى مجال الفخار ، كانت افريقيا في أوائل الاحتلال الرومانى تعتمد على ما تنتجه المصانع الايطالية ، اعتمادا على ما يستنتج من اللقى الاثرية ، غير أنه سرعان ما ظهرت مصانع محلية ابتداء من القرن الثانى الميلادى ، والتى لم تكتف بتغطية حاجيات الاسواق المحلية، وانما دخلت بعض تلك المصانع مرحلة التصدير وهو شأن مصانع الموريطانيين التى بدأت تصدر انتاجها عن طريق قيصرية (54) • ويلاحظ أيضا بروز

---

53 انظر : محمد الهادى حارش ، الحياة السياسية والاقتصادية ص 123 •

(54) Petit (P.), **Histoire générale de l'Empire romaine** (3 vol.), éd. du Seuil, (Paris 1978), t. 2, 120.

صناعة الفخار السيجيلى ، ابتداء من القرن الثانى فى الحـــوض الغربى للمتوسط ، وهو ذو لون فاتح أو برتقالى ، والذى بـــدأ ينافس الفخار الاحمر المنتشر فى غالة الشمالية (55) ، رغم أن هذه الصناعة بدأت تنتشر فى اسبانيا غير أنها وجدت لها مراكز فى افريقيا الشمالية ، وامتدت حتى المناطق الداخلية ، وهو ما جعل المنطقة الافريقية تستغنى فى مرحلة أولى عن الاستيراد ، وتتوجه نحو التصدير في مرحلة ثانية •

ج ــ الصناعات التحويلية : لا شك أن الازدهار الزراعى عامة ، وانتشار غراسة الزيتون خاصة سينعكس بالايجاب على الصناعة التحويلية ، التي يمكننا ذكر من ضمنها « عصر الزيتون » الذى انتشرت معاصره في المناطق الريفية الممتدة من تبسة الى سبيطلة ، وكذا السفوح الجبليـــة النوميدية ، بالاضافة الـــى موريطانيا (56) ، لدرجة أننا نكاد لا نجد منطقة تخلو من معاصر الزيت ، وهو ما يدل على الازدهار الواسع الذى عرفته هـــذه المادة الاساسية التى استخدمت فى مختلف المجالات : التغذية ، الاضاءة ، الصحة (صناعة الصابون ، الدلك فى الحمامات) (57) •

ومن ضمن الصناعات التحويلية ، يمكننا أن نشير الى استغلال المناجم والمحاجر ، فكانت احتياجات الدولة الرومانية الى المعادن دافعا قويا جعل الاباطرة يسهرون على استغلال تلك المناجم ،

---

(55) Picard (G. ch.), La civilisation ...P. 79

(56) Camps Fabrer (H.), Loc cit.,

(57) Albertini (E.), L'Afrique romaine, p. 59.

كما كان اهتمام الاباطرة ببناء النصب وتشييد المراكز العسكرية وتحصين الحـــدود واقامة الطـــرق وراء فتـــح العديـــد مـــن المحاجر (58) •

3 ــ النشـــاط التجـــارى :

اذا كانت الحركة التجارية بين بلاد المغرب وروما قديمة ، فانه مما لا شك فيه أيضا أن هذه الحركة آزدادت أهميتها مع احتلال الرومان للمنطقة ، وعملهم على تهيئة الظروف والوسائل التـــى تمكنهم من التحكم واستغلال المنطقة أكثر ، ولا شك أن طـــرق المواصلات البرية منها والبحرية هى أهم وسائل التسويق لمـــا توفره من سهولة الاتصال والتحرك ، فلا غرو اذن اذا اهتم بها الرومان ، وعملوا على ربط مناطق الانتاج بالموانىء التى رمموها ووسعوها وأنشـــأوا بهـــا المستودعـــات تسهيـــلا لعمليـــات التصدير (59) •

أ ــ الصـــادرات : كانت الصادرات نحو رومـــا متنوعة ، لدرجة أنه يمكننا الحديث عـــن الصادرات المنجمية والحيوانية والنباتيـــة •

---

(58) Martin (J.P.), op. cit., p. 255.

(59) Cf. Salama (P.), **Les voies romaines de l'Afrique du Nord**, éd. Imp. officielle (Alger 1951), pp. PP. 35. 50; Chevalier (R.), les voies romaines, éd. Coll. U, (Paris 1972) pp. 167-176.

أ ، أ ـ الصادرات المنجمية : النحاس ، الحديد ، الرصاص ، بالاضافة الى المحاجر التى استخرج منها المرمـر ، الجرانيت ، العقيق ، الصلصال (60) •

أ ، ب ـ الصادرات النباتية : الحبوب كانـت دائمـا أهم الصادرات خـاصة القمح الذى أمتـازت افريقيا ، زيادة على كثرة الانتاج بنوعيته ، ولذلك أصبح القمح أهم الصادرات تليه الزيوت ، التى بدأت تحتل مكانتها ضمـن الصادرات ابتداء من القرن الثانى الميلادى (61) • أما بالنسبة لانتاج الكروم ، فقد اقتصر فى البداية على تصدير العنب المجفف ونوعا من الخمـر المعروف بـ : « الباسوم » (62) ، هذا قبل أن يحدث توسع فى صادرات الكروم ليشمل باقى الخمور وكذا عنب المائدة ، الذى أشاد المؤرخون القدامى بنوعيته الممتازة وهو العنب المعروف بـ : « العنب النوميدى » (63) •

ضمن المنتجات النباتية نجـد أيضا الاخشاب التـى تنوعت مجالات استخدامها من البناء والتدفئة الى صناعة الاثاث ، ومن أشهر الانواع نجد العفصية التى تستخدم فى صناعة لاثـاث ، وكذا أخشاب البلوط والارز ، وتعد هذه الاخيرة على ما يذكـر بلينوس أشهر الانواع المستخدمة في البناءات العمومية (64) •

---

(60) Lecocq, (A.), «le commerce de l'Afrique romaine», B.S.G.O t. 12, (1932), PP. 339 - 343.

61 نفسه ، ص 371 — 376 •

62 نفسه ، ص 457 — 458 •

63 نفســه •

(64) Plinus, XVI, 76.

أ ، ج ــ الصادرات الحيوانية : اضافة الى الخيول التي كانت وراء تجارة رائجة منذ عهد الملوك النوميديين على ما يفهم من تيتوس ليفيوس (65) ، نجد الاغنام والماعز وكذا الحيوانات الموجهة للالعاب مثل : الفيلة ، الاسود ، الفهود ، الدببة ، والنمور كما تحدث بعض المؤرخين عن تصدير الدواجن الافريقية الى روما (66) •

ب ــ الواردات : لم يول المؤرخون القدامى اهتماما للواردات الافريقية ، لكن يفهم من اللقى الاثرية أن أهم الواردات هي : المواد المصنعة خاصة الاواني الفخارية ، منها تلك الاواني التي صنعت من الفخار الاحمر التي عثر عليها في قرطاجة ، اضافة الى العديد من المصابيح ، كما يتحدث البعض عن استيراد نوع من الخمر الرفيع تلبية لحاجة الطبقة الارستقراطية ، وهو ما تؤكده العديد من الجرار التي كان يعثر عليها هنا وهناك في البلاد المغاربية (67) •

يتضح من الدراسة السابقة أن اقتصاد بلاد المغرب ، كان اقتصادا زراعيا أساسا ، أما الصناعة فلم تلعب الا دورا ثانويا بالمقارنة مع الزراعة وكذا التجارة ، التي اعتمدت أساسا على تصدير المنتجات الزراعية ، وبالتالي يمكننا القول أن النشاط الزراعي كان وراء الرخاء الاقتصادي الذي عرفته بلاد المغرب عبر تاريخها القديم •

---

(65) Titus Livius, XXXII, 27,2

(66) Lecocq (A.), op. cit., p. 484 ....

67 نفسه ، 491 ــ 495 .

هذا الاقرار ليس معناه تجاهل باقـــى الانشطة التى ساهمت بدون شك في هذا الرخاء مثل النشاط الاستخراجى ، سواء من المناجم أو المحاجر التى لعبت بدورها دورا معتبرا ، من ذلك مثلا الرخام « النوميدى » وكذا الاخشاب التـــى نالت شهرة واسعة خاصة فى روما ، لكن هذه الانشطة كلها ورغـــم أهميتها ، كانت مكملة فقط للنشاط الزراعى ، ولم تتجاوزه فى يوم من الايـــام •

ـ الـعـمـران ـ

1 ـ الـمـدن :

عرفت البلاد المغاربية تأسيس المدن منذ أواخر الالف الثانية قبل ميلاد المسيح ـ عليه السلام ـ على أقل تقدير ، وكذا فى عهد ملوكها الاهالى الذين ساهموا فى نشر الحياة المدنية (68) • لكن المدن عرفــت تطورا وانتشــارا واسعين أثنــاء الاحتلال الرومانى ، فقد عد بعضهم أزيد من خمسمائة مدينة يسكنهــا ثلث السكــان الذين يعــدون ما بين ستــة أو سبعــة ملايين مواطن (69) •

كانت هذه المدن تختلف في حجمها ، ففى فترة ازدهارها كانت قرطاجة تعد حوالــى 300•000 ساكــن ، وليــدة أزيــد من 80•000 ساكن ، بينما تعد صبراتة حضرموت ، الجم ، أوتيكا، هيبو ـ ريجيوس ، قيرطا ، قيصرية ، وليلى ما بين 20•000 ـ 30•000 ساكن (70) • وتشكل المدن التى تحتوى ما بين 5000

---

68 حول عمل مسينيسا على تمدين سكان نوميديا انظر كتابنــا : الحياة السياسية والاقتصادية فى نوميديا ، ص 93 ـ 95 ، وفى عهد يوبا الثانى انظــر :
Fevrier (P.A.), «Origines de l'habitat urbain en Maurétanie Cesarienne», J.S., (1965), p. 122.

(69) Cf. Petit (P.), La crise de l'Empire, p. 122.

(70) Cf. Albertini (E.), L'Afrique romaine, p. 80.

10٠000 نسمـــة المـــدن الاكثـــر انتشـــارا ، مـــمـــا يـــدل على أن هذه المدن كانت مدنا ريفية بالدرجة الاولى ، يقطنهـــا الى جانب الفلاحين الذين يقطعون الطريق بين المدن ومزارعهم ، التجار والحرفيون الذيـــن كـــان وجودهـــم ضـــروريا لحياة المدينـــة (71) ٠

اذا كان الامن وراء لجوء هؤلاء السكان الى سكنى المدن في مرحلة أولى ، فان العامل المعنوى والسياسى كـــان لاحقا هو الدافع ، اذ كانت الحياة المدنية هى الشكـــل الحقيقى الوحيـــد للحياة الحضارية في نظر الرومان ، فلا يمكن أن يكون مواطنـــا كامل الحقوق ، الا من يقطن باحدى المدن ، فحتى داخل البلدية الواحدة يوجد اختلاف بين سكان مقر البلدية والموزعـــين علـــى القرى والضيع ، فلا غرو اذن أن يلجأ السكان الى المدن التـــى تعد شرط الرقى الاجتماعى (72) ٠

أما من حيث نوع المدن فيمكننا أن نميز فى بلاد المغرب ثلاثة أنواع من المدن تبعا لدورها ، فنجد أولا المدن التجارية الساحلية التى تعد منافذ على الخارج مثل لبـــدة ، سوسة ، قرطاجـــة ، أوتيكا ، بنزرت ، عنابة ، سكيكدة ، بجاية ، قيصرية ٠٠٠ ثـــم تأتى المدن الريفية الداخلية ، التى قامت أساسا على الفلاحـــة وتنامت وتوسعت مع الزمن لتحتضن بعض الانشطة الضرورية للحياة المدنية ، وتعد دوقة ومكثر فى تونس وعنونة فى الجزائـــر

---

(71) Albertini (E.), op. cit., p. 70.

(72) Petit (P.), op. cit., p. 123.

نماذج جيدة لهذا النوع من المدن ، بينما تقدم تيمقاد وتازولت (لمباز) وجميلة نموذج المدن العسكرية (73) •

2 — مرافق المدينة :

المدينة الرومانية مهما كانت طبيعتها تحتوى على مجموعة من المبانى العمومية يمكننا ايجازها فى الاتى :

أ — الساحة العمومية « الفوروم » : هى المركز الحيوى والعنصر الاساسى ، وترمز وحدها لهذا الوجود المدنى ، وهى عبارة عن ساحة مبلطة ، تحاط بالمبانى العمومية والدكاكين ، وتزينها عادة أقواس ، وتؤدى اليها سلالم ، وكانت تحمل عددا من النصب الشرفية كتماثيل الاباطرة وسادة المدينة ، ويمكن أن يكون للمدينة أكثر من « فوروم » واحد ، وهو شأن خميسة وجميلة ، والفوروم الحقيقى في هذه الحالة هو الذى يوجد فيه مقر اجتماع المجلس البلدى (74)

ب — البازيليك : تعتبر احدى المرافق العمومية المتعددة الوظائف فى المدينة ، فهى مكان للاستماع لشكاوى المظلومين ، وغرفة تجارية يجرى بها المزاد العلنى ، وتعقد فيها الصفقات وكانت تبنى بشكل مستطيل وتتكون من ثلاثة أجنحة

---

(73) Albertini (E.), **op. cit.,** pp 77-80.

74 حول الفوروم ، انظر :
Gsell (St.), **Monuments antiques de l'Algérie,** (2 vol.), éd. Fontemoing, (Alger 1901), t. 1, pp. 121-124.

وينتهى كل جناح بمحراب سقفه على شكل نصف دائرة •

في الفترة المسيحية تحولت كثير من البازيليكات الى كنائس وأصبحت لها وظيفة دينية بعد أن كانت مركزا اجتماعيا وتجاريا في عهد الوثنية (75) •

ج — المعابد : تقام فى كل الاحياء تقريبا لالهـة متعددة ، والمدن الاكثر رومنة تبنى كابتولا — معبد الكابتول — مثل تيمقاد وسبيطلة ، ويحدث أن تضاف مؤسسات ذات طابع خاص مثـل تازولت (لمباز) التى نجد بها معبد أسكولا بيوس (76) المرفق بمجموعة من المبانى التى تماثل مستشفى كبيرا (77) •

د — أقواس النصر : تعد بلاد المغـرب الجزء الاكثر عددا من هذه النصب فى كل الامبراطورية الرومانية ، ويمكن أن نقسم أقواس النصر الى صنفين : الصنف الذى يعد جزءا من السور — (سـور المدينة ، سيـاج المعبد أو الساحة) ويشكـل مدخلها والصنف الذى يقام معزولا فى الساحات أو فى الطرقات لكن لا يوجد أى اختلاف جوهرى بينهما من الناحية المعمارية ، وهـو ما دفع قزال الى عدم الفصل بينهما في الدراسة التى خصصها لاقواس النصر (78) •

---

75 حول مخطط البازيليك انظر : قـزال ، نفـس المرجـع ، ص 130 — 132 .

76 اسكلابيوس : اله الطب عند القدامى .

77 حول مخطط هذا المعبد انظر : قزال ، ص 141 .

(78) Gsell (St), Les monuments antiques, t. 1, PP. 155-185

أقواس النصر ، فكرة عسكرية ، اذ هى اطار لتخليد انتصارات القادة العسكريين ، وكان سبب انتشارها هو تسابق حكام المدن الى انشاء هذه الاقواس بمناسبة زيارة الامبراطور • وهى تختلف من حيث عدد الفتحات (Baie) ومن حيث عدد الواجهات • فمن الفتحة الواحدة الى ثلاث فتحات الى أقواس ذات الاربع واجهات • وأشهر أقواس النصر فى الجزائر هو قوس تراجانوس بتيمقاد ذى ثلاث فتحات ، وقوس كراكلا بتبسة ذى الاربع واجهات (79) •

هـ ــ المسارح ، المدرجات والملاعب : يقاس ازدهار المدن بالاهمية التى تعطيها للبناءات الموجهة للتسلية ، ولا نجد الا نادرا مدينة هامة لا نجد بها مسرحا أو مدرجا أو ملعبا • فالملعب (Cirque) هو مقر سباق العربات والمدرج يستخدم للمصارعة، بينما تعرض المسرحيات التراجيدية والكوميدية في المسرح ، وقد أخذ الرومان الملاعب والمسارح عن الاغريق وطوروها وأخذت أشكالا متنوعة ، بينما كانت المدرجات الاهليجية الشكل من اختراع رومانى •

كانت توجد فى المدن الثرية كل هذه الملاهى في نفس الوقت ،

---

79 حول هذين القوسين انظر :
Cagnat (R.) Ballu, **Timgad,** pp. 133-150; pl. XVI-XIX Lettrone, sur L'arc de triomphe de theveste (Thebessa) dans la province de Constantine», **Rev. Archéologique.,** t. 4, (1847), pp. 360-374.
Moll (A.), Enumeration des principaux monuments de l'ancienne Théveste», Rec. de Constantine, (1858-59), pp. 54-75, pl. XII-IX.

وهى وضعية شرشال مثلا ، وأخرى تتفاهم مـع المدن المجاورة لتتقاسم المصاريف ، وبذلك نجد تيمقاد بدون مـدرج وتازولت (لمبـاز) بدون مسـرح •

و — الحمامات : الحمامات اختـراع رومانى أصيل ، وهى تعبر عن مظهر حضارى وصحـى وثقافى ، اذ أنها كانـت مكانا للاستحمام وللتمارين البدنية ، كما كانت منتديات ثقافية وأماكن للاسترخاء وقضاء أوقت الفراغ ، فهى تعادل بالنسبة للرومان المقاهى والاندية فى وقتنا الحاضر ، وفيها يمضى معظم الاوقات التى لا تأخذها منه أعمال الفوروم (80) •

تحتوى الحمامات الرومانية ، خارج قسم الاستقبال الـذى توجد فيه خزائن الملابس ، على ثلاثة أقسام :

أ — القسم الحار (Caldarium) ، وهـو القسـم الذى يتم فيه الغسل بمختلف أنواع الاغتسال •

ب — القسم الخاص بالماء الفاتر (تيبيداريوم (Tepidarium) وهو قسم انتقالى بين المنطقة الحارة والباردة •

ج — القسم البارد (فريجيداريوم (Frigidarium) : وهو آخر مرحلة يمر بها المستحم كى يستعد قوته وينتعش وينشط ، وبعض الحمامات مجهزة بقاعات للمحاضرات وأخـرى للمكتبة وأخرى للرياضة (81) •

---

(80) Cf. Albertini (E.), op. cit., p. 85

81 انظر عفيف بهنسى ، تاريخ الفن والعمارة ، المطبعة الجديدة ، (دمشق 1976 — 1977) ، ص 187 .

الحمامات موجودة فى كل المدن وحتى القــرى الريفية جهزت بها ، والحمامات فى المدن الكبرى جد واسعة وفاخرة ، وعــادة ما نجد عدة حمامات فى مدينة واحــدة •

ى — الاسواق : كانت الاسواق مخصصة للبيع بالتفصيــل المواد الموجهة للحياة اليومية ، اذ كانت صفقات الجملة تعقد في البازيليك ، ولنا فى سوق تيمقاد الذى أقامه ماركوس بلوتيوس فاوستوس (M. Plotius Faustus) وزوجته أروع الامثلة (82) وكذا سوق جميلة المخصص للاقمشة (83) •

اضافة الى كل تلك المبانى العمومية في المدينة نجد الحوريات (Numphées) والعيون العمومية (Fontaine) التى تزود السكان بالماء ، هذا الاخير الذى يجلب عبر الحنايا ويوزع على الصهاريج والخزانات المقامة خصيصا لذلك (84) • فكثــرة هذه المبانــى وضخامتها أحيانا لا يترك الا مكانا محدودا للدور — البيوت — الخاصة ، فأصبحت الاقامة المفضلة للاغنياء هى الاقامة الريفية والفيلات الفخمة التى تبدو على الفسيفساء (85) •

---

(82) Cf. Cagnat (R.), **Carthage, Timgad, Tébessa et les villes antiques de l'Afrique du Nord** (Coll les villes d'art célébres), éd. H. Laudens, (Paris 1912), pp. 99-102.

(83) Ballu (A.), **Ruines de Djemila (Antique Cuicul),** éd. J. Carbonel (Alger 1921), p. 57.

(84) Cf. Gsell (St.), Les monuments . . . ,t. I, pp. 242-281.

85 نفسه ، ص 26 — 28 .

البيت الرومانى لا يختلف عموما عن بيـــوت منطقة البحـــر الابيض المتوسط ، فهو ذو شكل مربع أو مستطيل ، يتألف مـــن قسمين أساسيين : القسم الاول يسمى أتريوم Atrium فيـــه ممر وفناء يحتوى على غرفة الاستقبال أو مكتب لصاحب البيت ، والقسم الثانى يسمى بيريستيليوم (Peristylium) ويتكون من الغرف الداخلية الخاصة بالعائلة ، منها غرف النوم والطعـــام والمطبخ والحمام (86) • ولنا في منزل تيبازة المسمى فيـــلا دى فراسك (Villa des fresques) نموذجا عن المنـــازل الرومانية فى الجزائـــر (87) •

86 عفيف بهنسى ، تاريخ الفن والعمارة ، ص 191 .

(87) Cf. Lancel (S.), Bouchenaki (M.), Tipaza de Maurétanie, éd. sous - direction des beaux-arts antiquites, 2e éd., (Alger 1971), pp. 31-34.

الحيـــاة الفكريـــة والدينيـــة

1 — الحيـــاة الفكريـــة :

أ — اللـــــغة :

« ان الدولـــة الرومانيـــة التـــى تعـــرف كيـــف تحكـــم الشـــعـــوب ، لـــم تـــفـــرض عـــلـــى المغلـــوبـــة منـــهـــا سيطرتها السياسية فحسب ، بل لغتها أيضا (88) . قول القديس اغسطينوس هذا يبين لنا بجلاء السياسة اللغوية التى طبقتهـــا روما فى المقاطعات التى احتلتها ، لكن مع ذلك ، ورغم اضطرار كثير من الاهالى الى تعلم اللغة اللاتينية ، اللغـــة الرسميـــة فى المحاكم والمجالس البلدية ، فقد ظلت اللغة الليبية هـــى لغـــة التخاطب فيما بينهم فى المدن ، أما فى الارياف فـــلا شـــك أن الاهالى ظلوا يجهلون لغة المحتل ، وهو ما مكن من صيانة اللغة الليبيـــة (89) .

ب — التعليـــم : مما لا شك فيـــه أن المدرسة تلعـــب دورا أساسيا فى نشر التعليم وبالتالى اللغة ، وقد سارعت البلديات الرومانية الى فتح المدارس التى كان يتعلم فيها الاطفال القراءة والكتابة والحساب على يد معلم أولى Litterator primos فى القرية ، ثم دراسة الاداب على نحوى يشرح لهـــم قواعـــد النحو ومبادىء الموسيقى والعروض والفلسفة ، وعندما يبلـــغ

---

(88) انظر جوليان (شارل اندرى) ، تاريـــخ افريقيـــا الشماليـــة (جزءان) ، ج 1 ، تعريب محمد مزالى ، البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، تونس (1969) ، ص 248 .

(89) انظر اعـــلاه ، ص 88 .

التلميذ السابعة عشرة من عمره يترك النحو جانبا ويقصد أساتذة المدن الكبرى مثل قيرطا وتبسة ومداوروش ، هذه الاخيرة التى واصل بها القديس اغسطينوس دراسته التى بدأها فى سوق اهراس (90) ، كما كانت سوسة وطرابلس ولبدة محط أنظار الطلبة ، لكن تبقى قرطاجة هى العاصمة الفكرية (91) .

كان من نتيجة انتشار هذه المدارس أن برزت مجموعة من الكتاب الافارقة ، كان لها صيتها فى عالم الاداب اللاتينية والاغريقية ، فهذا الشاعر مانيليوس (Manilius) الذى عالج موضوع معرفة الغيب بالاستناد الى الطالع ، وذاك كرنيتوس الفيلسوف الرواقى الذى أصبح شيخ مدرسة بروما ، وذاك فلوروس أشهر خطباء روما فى عهد هادريانوس والذى تحول الى مؤرخ ، ومنهم فرونتيوس القرطى الذى دفعت شهرته انطونيوس الى تكليفه بتربية ماركوس اوريليوس ولوكيوس فيروس ، لكن أعظم من كل هؤلاء نجد الثلاثى : أبوليوس ، تورتيليانوس ، اغسطينوس الذين كانت شهرتهم لا حدود لها (92) .

---

(90) جوليان (شارل اندرى) ، تاريخ افريقيا الشمالية ، ص 304.

(91) نفسه ، ص 248 .

(92) حول كل هؤلاء انظر :

Monceaux (P.), **Histoire litterraire de l'Afrique chretienne depuis les origines jusqu'a l'invasion** arabe, (7 vol.), éd. Leroux, (Paris 1901-1923); Gostynski (T.), **Aux sommets de la pensé humaine, la litterature antique de l'Afrique du Nord,** éd. chatr. (A.), (Marrakech S. D.).

2 ــ الحيــاة الدينيــة :

أ ــ الديانة الوثنية : مما لا شك فيه أن المعمرين الرومان من موظفين وجنود ، قد نقلوا معهم الى افريقيا معتقداتهم التــى يتصدرها ثالوث الكابتول ، المتكون من : جوبتر ، يونو ، ومنرفة، هذا الثالوث الذى انتشرت عبادته فى أغلب المدن الرئيسية مــن دوقة الى سبيطلة وتيمقاد وتازولت (لمباز) وقيرطا ، بل امتدت فى بعض الاحيان حتى المدن الصغيرة (93) •

اضافــة الى الثالــوث المشــار اليه نجد عبادة الاله مارس وهرمس وسيراس وباخوس واسكولابيوس ، الى جانب انتشار عبادة الامبراطور رسميا فى العديد من المدن الافريقية ، لكــن هذا كله لم يؤثر على الاهالى الذين صمدوا فى وجــه الديانـــة الرومانية (94) • ولم تحظ برضاهم وقبولهــم غــير الالهــة الرومانية ، التى استمدت روحها وجوهرها من آلهة محليـــة ، كالالهين جوبتر وساتورنوس اللذين استمدا روحهما من بعل ــ حمون ، والالهة كايليستيس التى استمدت روحــها من الالهة تــانيت (95) • ولهذا كانت عبادتا كايليستيس وساتورنوس

---

(93) Cf. Leclercq (Dom. H.), **L'Afrique chrétienne,** (2 vol.), 2e éd. Lib. le coffre, (Paris 1904), t. I, pp. 107-108.
- Monceaux (P.), op. cit., t. 1, pp. 32-33.

(94) جوليان (شارل اندرى) ، المرجع السابق ، ص 254 .

(95) حول هذا الموضوع ، انظــر :
Toutain (J.), **Cultes paiens** ; pp. 16-22 et 35-36

أكثر العبادات انتشارا فى المغرب فى الفترة الرومانية ، وانتشرت عبادتهما من ضواحى لبدة الى يول (قيصرية ــ شرشال) ومن السواحل الى الهضاب الداخلية المطلة على الصحراء ، مما جعل لقلى يتساءل حول ما اذا كانت تلك الاستمرارية الدينية احدى مظاهر المقاومة المعنوية الصامتة ضد الرومان (96) •

ب ــ انتشار المسيحية : كانت الطرق التى سلكتها المسيحية فى الانتشار فى بلاد المغرب محل نقاش طويل بين المختصين فى الدراسات المسيحية ، غير أنه يتضح فى هذا النقاش نوعا من الاجماع على الدور الذى لعبه التجار الشرقيون فى نقل الدين الجديد الى المدن الساحلية الكبرى كقرطاجة (97) ، التى كانت ملتقى هاما للتجار الشرقيين الذين كانوا قد هيأوا الوضع لبذر البذور الاولى لهذه الديانة ، رغم أن البعض الاخر يرى أن هناك دورا للارساليات التبشيرية القادمة من روما (98) •

اذا سلمنا أن قرطاجة والمدن الساحلية كانت المحطة الاولى للمسيحية فى شمال افريقيا ، وهو ما يدعمه اعتبار البروقنصلية أولى الولايات التى وصلتها المسيحية وفق رأى أغلب المؤرخين ، فان هؤلاء المؤرخين أنفسهم يرون أن المسيحية سلكت نفس

---

(96) Leglay (M.), **Saturne Africain,** (2 vol.), éd. de Boccard, (Paris 1966), t. 1, p. 481.

(97) Brisson (J.P.), **Gloire et misère de l'Afrique chrétienne,** éd. Laffont (R.), (Paris 1948), p. 35; Cagnat (R.), **Le commerce et la propagation des religions dans le monde romain,** éd. Leroux (Paris 1909),.

(98) نفســه ، ص 36 .

المسلك الذى سلكته فى روما ، حيث قصد المبشرون القادمون سواء من روما أو بقاع أخرى من الامبراطورية المراكز الحضرية الساحلية أولا ، ثم المدن الداخلية ، قبل أن تتسلل نحو الارياف (99) •

اذا كنا نجهل تاريخ نشأة كنيسة قرطاجة ، فانه يبدو أنها تعود الى عصر ترتوليانوس ، ما دام مجمع قرطاجة سنة 198 م الذى ترأسه اغريبينوس (Agripinus) بحضور سبعين أسقفا من البروقنصلية ونوميديا ، أول مجمع افريقى ذكره التاريخ (100) •

ولا شك أن الرغبة فى العدالة الاجتماعية ، وفشل الديانة الرومانية الرسمية المتمثلة فى عبادة الامبراطور ، وغموض وتعدد المعتقدات الوثنية التى لم تستطع تحقيق الوئام الاجتماعى ، كانت وراء سرعة انتشار المسيحية التى كانت تحمل فى ثناياها معانى العدل والتسامح والتآزر الاجتماعى ، (101) فأقبل عليها الناس خاصة من الطبقات الدنيا ، وتزايد عدد المسيحيين الذين بلغ عددهم

---

(99) Cf. Monceaux (P.), op. cit., p. 4.

(100) Mesnage (J.), «Le christianisme en Afrique, origines, devloppements extansion», Rev. Af., n° 290-291, 3e et 4e trimestre (1913), pp. 448-449.

(101) انظر : شنيتى (محمد البشير) ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية فى المغرب أثناء الاحتلال الرومانى ، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر 1984) ص 268 — 269 .

أوائل القرن الثالث الميلادى أكثر من مائة ألف مسيحى (102)•
لكن مع ذلك ظلت السلطة متسامحة نسبيا ازاء مختلف المعتقدات، ما دام معتنقوها لم يمسوا بعد بالمصلحة العليا للامبراطورية ، لكن نمو وتزايد المسيحية والدعوة الى الفرار من الجندية التى نسبها البعض الى ترتوليانوس (103) استدعى تدخل السلطة، وكانت فاتحة الاضطهادات لمسيحيى افريقيا فى عهد الامبراطور كومودوس سنة 180م ، السنة التى تم فيها الحكم بالاعدام على اثنى عشر مسيحيا بقرية شيلى (Scilli) وتلت ذلك أحداث أخرى مماثلة فى نوميديا ، فى نفس السنة ، حيث حكم بالاعدام على جماعة أخرى فى مداوروش (104) •

تواصل الاضطهاد في عهد الامبراطور سفيروس الذى يفهم من صاحب تاريخ أغسطس (105) انه أصدر مرسوما سنة 202 م ، يمنع بموجبه « الدعوة لليهودية والتبشير بالمسيحية »

---

(102) Cf. Munter (F.), «Primorodia Ecclesiae », p. 24 d'après Aube (F.), **Les chrétiens dans l'Empire romain de la fin des Antomins au milieu du 3iem Siecle,** ed. Didier (Paris 1881), p. 152.

(103) انظـر : جوليان (شارل اندرى) ، المرجع السابق ، ص 288 : انظر ايضا :
Guignebert (Ch.), **Tertullien, étude sur les sentiments à l'égard de l'Empire et de la société civile** , éd. Leroux, (Paris 1901), pp. 189-210.

(104) Zeiller (Jacques), **L'Empire romain et l'église,** (Paris 1928), p. 36.

(105) Spartianus, vita severi 17, dans **écrivains de l'histoire Auguste,** trad. M. Nisard, éd. F. Didot (Paris 1855).

(106) ، كان من نتائجه القبض سنة 203 على ستـــة مسيحيين كانت من بينهم امرأة فى عنفـــوان الشبـــاب فى مدينـــة طبربة Thuburbo minus] ألقى بهم للحيوانات على مرأى العامة (107) •

بعد وفاة لوكيوس سبتميوس سيفيروس تمتـــع المسيحيـــون بفترة هدوء ، مارسوا خلالها شعائرهم دون تستر ، وعقدت عدة مجامع أولها فى عهد خليفته كراكلا سنة 215 م ، واستمر الوضع هكذا طيلة الفترة السيفيرية (108) وجـــزءا مـــن الفوضـــى العسكرية حتى اعتلى دقيوس العرش ، وأصدر بدوره مرسوما (يناير 250م) ، كانت له نتائج وخيمة على المسيحية ، أرتد على اثره عددا كبيرا (109) مما ترك آثار الحسرة فى قلب القديس كبريانوس الذى كتب قائلا : « وكان منهم من لم ينتظر الايقاف ليصـــد الـــى الكابيتـــول ، ولا ينتظـــر الاستنطـــاق لينكـــر تنصره » (110) •

---

(106) Cf. Dom H. Leclerc, **op. cit.**, p. 135; Allard (P.) **Histoire des persécutions pendant la 1ier. moitié** du 3iem siecle (Sesptime sévère, Maximin, Décé) éd. Le coffre, (Paris 1905) P. 59

(107) Audollent (Auguste), **Carthage romaine (146 av. J. - 698 Ap. J.**, éd. A. Fontemoing, (Paris 1901), pp. 454-55;
1898), p. 96-97, par suite, le christiatisme;
Allard (P.), le Christianisme et l'empire romain de Néron à théodose, 4 éd. (Paris 1898), pp. 96-97; Aube (B), L'église d'Afrique et ses premieres épreuves sous Septime Sévères, **Rev. Historique**, t. II (1879), pp. 241-297.

(108) Cf. Allard (P.), **Le christianisme**, p. 91.

(109) Audollent (A.), **op. cit.**, p. 473

(110) نقلا عن جوليان (شارل اندرى) ، المرجع السابق ، ص 282.

كان موقف القديس كبريانوس المتسامح ازاء المرتدين موضع معارضة كبيرة من طرف بعض القساوسة ، وكان أشدهم القديس دوناتوس الذى استحدث كنيسة جديدة منافسة لكنيسة قرطاجة (111) • وسرعان ما يظهر خلاف آخر سنة 255 م حول « التعميد » بين القديس كبريانوس والبابا ايتيان الاول ، كاد يؤدى الى القطيعة لولا وفاة هذا الاخير الذى لحق به كبريانوس بعد ثلاث سنوات (14 سبتمبر 258م) أثناء اضطهادات فاليريانوس التى ذهب ضحيتها عشرات المسيحيين (112) •

بعد فاليريانوس تمتع المسيحيون بفترة سلم ووفاق مع السلطة الزمنية دامت أربعين سنة ، استغلت في تعميق العقيدة فى نفوس الناس ، وانشاء الكنائس ، لكن وصول ذيوقليسيانوس الى السلطة وفرضه عبادة « الامبراطور » على الجند كان من نتائجه العصيان والفرار من الجيش (113) ، وهو ما اضطر الامبراطور الى العدول عن تسامحه وأصدر أربعة مراسيم خلال سنتى 303 — 304 م يمنع بموجبها المسيحية ، ويأمر بهدم الكنائس ومنع الاجتماعات ، وهو ما كان وراء الاضطهادات الكبرى التى

---

(111) نفسه ، ص 283 •

(112) Cf. Yanoski (J.), «L'Afrique chrétienne» dans **l'Afrique ancienne, (2vol.), coll. Hist. et description de tous les peuples)**, t. 2, éd. Firmin Didot (Paris 1842), p. 16.

(113) جوليان (شارل اندرى) ، المرجع السابق ، ص 287 — 288 •

عــرفها عهد ديوقليسيانوس ، الــذى يعد أكبــر جــلادى النصارى (114) ، الذين ارتد الكثير منهم مثلما حدث فى عهــد دقيوس (115) ، وظهرت الخلافات بين رجال الدين المسيحيين الذين أعابوا على منسوريوس أسقف قرطاجة انتقاءه التعذيب ، واتهموه بتسليم الكتب المقدسة . ولما تولى من بعده كايكيليوس ورفض التنازل عن منصبه ، التف خصومــه حول « دوناتوس الكبير » وظهــرت بذلك « الدوناتيــة » التى سرعــان ما كثر مريديها (116) .

كان لاعتناق الامبراطور قسطنطينوس الاكبر المسيحية سنة 312م الاثر الاكبر على مستقبل المسيحية ، كما كان من نتائــج موقفه من الحركة الدوناتية ، ووقوفه الــى جانــب الكنيســة الرسمية أن عظم شأن الاولى ، خاصة بعد استنادها على حركة « الدوارين » ، التى اعتبرها قوتيه : « ثورة اجتماعية للاطاحة بالامبراطورية والنفوذ اللاتينى » (117) .

---

(114) انظر شنيتى (محمد البشــير) ، التغــيرات الاقتصاديــة والاجتماعية ، ص 274 .

(115) انظــر اعــلاه ، ص

(116) جوليــان (شارل اندرى) ، المرجع السابق ، ص 296 — 297 .

(117) Gautier (E. F.), Le passé de l'Afrique du Nord, les Siecles obscurs, éd. Payot, (Paris 1937), d'après Julien (Ch. A.), op. cit., p. ; Lancel (S.), «aux origines du Donatisme et mouvement des circoncellions», C. T., t. 15, (1967), p. i 84.

رغم محاولة الامبراطور قنسطانس تدارك الوضع واستمالة الدوناتيين ، فقد تصدى له دوناتوس ، فاضطر الامبراطور الى اصدار الامر القاضى بمصادرة الكنائس الدوناتية ، وهو الامر الذى طبق بقسوة زادت الشقاق حدة بعد معركة بغاى سنة 347 م ، التى دعمت التضامن بين الدواريين والدوناتيين والتقارب بين الكنيسة الرسمية والسلطة الزمنية (118) ، وزادت ثورة فيرموس (370 — 374 م) الامر حدة ، بعد اعتبار الدوناتيين متآمرين مع فيرموس ، وتوالت القوانين التى تمنع اجتماعاتهم وتصادر ممتلكاتهم وتفرض الضرائب المجحفة على رجالاتهم ، وهو ما حدث أيضا بعد ثورة جيلدون (396 م) ، التى زاد على اثرها القمع المسلط على أنصار جيلدون الدوناتيين، فمات القديس ابتاتوس الثموقادى مستشار جيلدون وروح المقاومة (119) .

هذا القمع لم يزد الحركة الدوناتية غير الصلابة والثورة الاجتماعية اتقادا ، فأصدر الامبراطور هنوريوس دستورا (30 يناير 412 م) ، الذى يأمر الدوناتيين بالعودة الى

---

(118) جوليان (شارل اندرى) ، المرجع السابق ، ص 299 — 301 .

(119) نفسه ، ص 303 و 307 ، انظر أيضا :
Ferrère (F.), **La situation religieuse de l'Afrique romaine depuis la fin du IVe Siecle jusqu'a l'invasion des Vandales,** Thèse lettres (Toulouse 1897-98).

الكنيسة الرسمية ، لكن رغم العنف المسلط علـــى الدونـــاتيين والذى قوبل بالعنف ، فان الحركة استمرت رغم الدور الـــذى لعبه القديس اغسطينوس حتى أواخر القرن السادس (120) • وهى الحركة التى كان لها الدور الفعال فى كسر شوكة الرومان فى المنطقة ، ومهدت الطريق للقبائل الجرمانية التى توغلت بشكل واسع فى الامبراطورية الرومانية للقدوم الى المنطقة •

---

(120) Cf. Duchesne (L.), «Le dossier du Donatisme» M.A.H., t. 10, (1890).

الفصـــل الــرابــع

البلاد المغاربية فى عهد الوندال (429 — 533 م)



1 ـ التعريف بالوندال وظروف غزوهم للبلاد المغاربية :

ـ التعريف بالوندال : معرفة الموطن الاصلى للوندال من الصعوبة بمكان ، وهذا لتضارب الروايات وآراء المؤرخين فى هذا الموضوع • وكل ما يمكننا أن نستشفه من الروايات الاربع (1) الاساسية التى تناولت تاريخ الوندال ، هو أنّ هذه العناصر انحدرت من السلالات النوردية (الشمالية) •

ويرى كورتوا (2) ، وهذا اعتمادا على علم المواقعية Toponymie أن اسم الوندال ـ ربما ـ يكون مشتقا من اسم قرية سويدية تدعى « وندل » Vendel) فى أوبلاند ، وهو ما جعله يرى فى هذه المنطقة موطنا أصليا للوندال ، وهذا خلافا للدراسات اللغوية التى تعتبر الوندال أقرب الى الدانماركيين منهم الى السويديين • وعلى العموم ، وحتى اذا كانت معلوماتنا الحالية لا تسمح لنا باثبات الاصل الاسكندينافى للوندال ، فان تاريخ

---

(1) هذه الروايات هى : رواية القوط ، رواية اللومبارد ، رواية الانجلو ـ سكسونية ، والرواية الاسكندينافية . ففى الوقت الذى تشير فيه الرواية الاولى الى كون الوندال سكنوا الى الجنوب من الريجيين (Les Rugiens)نجد الثانية تحدد اسكندينافية كموطن أصلى لهم وفى منطقة « البا السفلى » ، وهذا خلافا للرواية الثالثة التى تحدد شمال « جوتلاند » كموطن لهؤلاء ، وعلى العموم ، لا يمكننا الاعتماد كلية على هذه الروايات ، وهذا نظرا لتناولها فترة متأخرة من تاريخ الوندال •

(2) Courtois (Chr.), Les Vandales et l'Afrique, éd. Arts et Metiers graphiques, (Paris 1955), pp. 15-19.

الوندال يبدأ فى الوقت الذى سمحت لنا الدلائل الادبية بتحديد مواقعهم فى سهول أودر (Oder) وفيستول العليا ، ففى أوائل عصر البرونز — حوالى 1800 ق•م ، كانت الشعوب الجرمانية تحتل فقط الجزء الساحلى من البلطيق ، وانتشرت فيما بعد على ضفاف الدانوب والراين ، حتى وصلت الى بلاد الكلت ، بينما نجد هذه الشعوب فى العصر البرونزى الثانى (ما بين 1350 — 1200 ق•م) فى أوروبا الوسطى ، وخصوصا فى الالب وأودر وفيستول ، وفى هذه المناطق نعثر على حضارة تعود الى عصر الحديد ، لا يمكن أن تكون لا جرمانية ولا كلتية، فهى حضارة وندالية محضة ، اذ سبقت الوندال الى هذه المنطقة قبائل الجرمان الشرقية ، ومن بعدهم جاء اللومبارديون والقوط (3) •

ويكاد يحدث اجماع بين المؤرخين على اقامة الوندال فى منطقتى أودر وفيستول ، قبل أن تأتى الغزوات الاسكندينافية من القسم الشمالى لجرمانية ، والتى دفعت الوندال الى الجنوب، الى جبال (Geant) • وفى النصف الثانى من القرن الثانى الميلادى (167 م) ، وعلى اثر اندلاع حرب ماركومانس (Marcomans) اتجهوا الى اقليم داقيا (Dacie) حيث استقروا على الراين والدانوب (4) ، قبل أن يتعرضوا لضربات القوط

---

(3) Loc. Cit.

(4) Schmidt (L.), **Histoire des Vandales,** éd. Payo., (Paris 1953), pp. 21-22; Yanoski (J.), **Histoire de la domination des Vandales en Afrique,** éd. Firmin didot, (Paris 1844), p. 4.

(290م)التى دفعتهم بدورها الى الاستقرار بين تييس وماروش (Theisset Marosch) فى اقليم ترنسلفانيا (5) ، بينما نجدهم فى أواخر القرن الرابع (392 م) فى اقليم بانونيا (6) ، وفى أوائل القرن الخامس ، وبعد انهزامهم أمام الفرنك (409م) فى غالة ، تسللوا الى اسبانيا ، وأمام عجز الامبراطور هونوريوس (Honorius) فى الدفاع عن امبراطوريته ، انتشر الوندال فى شتى أرجاء اسبانيا (7) • وبعد صراع طويل مع الرومان فى المنطقة دام حتى سنة 422 م، خربوا أثناءها اسبانيا واضطهدوا الكاثوليك ، هاجموا جزر البليار سنة 425 وسواحل موريطانيا سنة 428 م (8) ، وفى هذا الوقت بدأت تظهر نواياهم فى التوسع الى أبعد من اسبانيا ، وهى النوايا التى سيجسدها « جنسريق » مستغلا الظروف التى كانت تعيش فيها منطقة المغرب ، اثر الصراع الذى شب بين بلاكيديا (Placidia) وبونيفاس (9)

---

(5) Loc. Cit

(6) Yonoski, **op. cit.**, et d'avezac, **Histoire et description de l'Afrique**, éd. Sté. Géographiques, (Paris 1951), p. 4.

(7) Courtois (Chr.), **op. cit.**, p. 38; Bleghy (A.) **Saint Augustin ou l'Afrique du 5e Siecle**, (Mimonge 1945), p. 332.

(8) Fauriel (M.), **Histoire de la Gaude méridionale sous la domination des conquerants germains** (4 vol.), éd. Paulin, (Paris 1836), t. I. pp. 153-179; Courtois (Chr.), **op. cit.**, p. 56 et n° 3.

(9) اكثر الروايات تفصيلا للاحداث الموالية نجدها عند :
Procopius, **Guerres des Vandales**, I, 3 et suiv.; Prosper Tiro, **Chron. C. 1294 pour l'an 427.**

2 ـ ظروف غزو الوندال للبلاد المغاربية : لم تزعزع وفاة الامبراطور « هنوريوس » Honorius سنة 423م اخلاص والى افريقيا « بونيفاس » تجاه العائلة الامبراطورية ، فلم يعترف بيوحنا (Jean) الذى أعلن نفسه امبراطورا فى ايطاليا ، فوقف بونيفاس الى جانب بلاكيديا وابنها فلانتيانوس (Vallentien) البالغ من العمر آنذاك أربع (04) سنوات (10).

كان لجهود بونيفاس الاثر الفعال فى هذه الظروف ، ومن الطبيعى أن تكون بلاكيديا مدينة له بالعرش الذى اعتلته باسم ابنها . وهو ما أظهرته فى أول الامر تجاه هذا الشخص الذى كانت تراه الاجدر والاصدق فى الدفاع عن الامبراطورية ؛ لكن أطماع أيتيوس (11) (Aetius) سرعان ما تنزع لفلانتيانوس الثالث أعظم قادته « بونيفاس » وأغنى مقاطعاته « افريقيا » ، وذلك باثارة بلاكيديا على بونيفاس ، خاصة بعد اقناعها بضرورة دعوته الى رافن (Ravenne)سنة 427 م ، حيث كان رفض هذا الاخير الاستجابة للدعوة فى نظر الوشاة دليلا كافيا على نوايا بونيفاس الاستقلال بافريقيا (12) ، فكان من نتائج ذلك ارسال

---

(10) جوليان (شارل اندرى) ، تاريخ افريقيا الشمالية ، تعريب محمد مزالى ، البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر (تونس 1969) ، ج 1 ، ص 323 .

(11) هذا ما يذكره بروكوبيوس ، من ان آيتيوس هو الذى أوغر صدر الامبراطورية ، خلافا لجوليان الذى يرشح فيليكس (Flavius Constantius Félix) للقيام بهذا الدور ، مبررا ذلك بغياب آيتيوس عن روما فى هذه الفترة ، انظر : جوليان، المرجع السابق ، ص 324 .

(12) Cf. Schmidt (L.), op. cit., p. 71...

قوات لاخضاع المتمرد ، لكن هذا الاخير هزم القوات الرومانية، فما كان من مستشارى الامبراطورة وابنها الا جمع قوات جديدة ومعتبرة وضعت تحت قيادة سجسفولت (Sigisvult) القوطى ، الذى يبدو أنه استولى علـــى هيبو ـــ ريجيـــوس (عنابـــة) وقرطاجة ، أوائل 428م • وأمام خطورة الوضع أدرك بونيفاس أنه لا يمكنه الوقوف فى وجه كل قوات الامبراطورية الرومانية، وهو ما دعاه الى الاستنجاد بالوندال (13) •

اذا كان جوليان (14) يشك فى رواية الاستنجاد هذه الواردة عند بروكوبيوس وجوردانيس (Jordanes) ، فـــان بروسبـــير المعاصر للاحداث ، قد أكد لنا استنجاد الطرفـــين ، بونيفـــاس وسجسفولت ، بالوندال (15) ، وهـــذا خلافـــا لهيداتيـــوس (Hydatius) الذى اعتبر هجرة الوندال الى بلاد المغرب نتيجة منطقية ، بعد الهجومات التى استهدفت موريطانيا الطنجية سنة 428 م ، وهى الهجومات التى يمكننا اعتبارها بمثابـــة عمليـــات جس النبض من طرف الوندال ، تحسسوا خلالها امكانيات غزو افريقيا ، ووجدوا أن الظروف مناسبة ، ليس بسبـــب تمـــرد بونيفاس فحسب ، بل كان الوضع العام فى افريقيا مهيأ ، فكانت الثورات المحلية واحدة تلو الاخرى ، بسبب ارهـــاق السكـــان

---

(13) Yanoski (J.), op. cit., p. 9

(14) نفســـه .

(15) Prosper (Tiro), Chronique c. 1924 p. l'an 427.

بالضرائب ، بالاضافة الى الاضطهاد الدينى الذى كان يمس خاصة الدوناتيين (16) •

اذا كان الوضع فى افريقيا ملائما للحملة الوندالية ، فان اسبانيا بدورها لم تكن مواتية للوندال ، فكان على الوندال هنا مواجهة لا الرومان فحسب ، بل أيضا القوط الاعداء التقليديين الذين سبق لهم الاغارة أكثر من مرة على شبه الجزيرة ، اضافة الى أن فترة القلاقل التى عاشتها اسبانيا منذ دخول الوندال ، جعلتها تستنفذ خيراتها ، ولم يعد بامكانها أن تقدم شيئا لهذه الاقوام الراغبة فى النهب والثراء • فلا نستبعد أن تكون ثروات افريقيا قد استهوت قادة الوندال ، وعلى رأسهم جنسريق الذى كان يبحث عن الشرعية لحكمه ، فأراد أن ينسى قومه بحملة ناجحة ، انه هو الابن غير الشرعى الذى قتل شقيقه (قوندريك) (Gunderic) ليصل الى الحكم (17) •

ويذكر أيضا من الاسباب التى دفعت الوندال لاجتياز المضيق ، الامل الثابت فى أن يسرع الاهالى لمساعدتهم ، من المور ، وكل المتعصبين والمضطهدين والرومان غير الراضين ، بالاضافة الى الكونت بونيفاس (18) •

---

(16) Martroye (F.), **Gensiric, la conquête Vandale en Afrique et la destruction de l'empire de l'occident,** éd. Hachette (Paris 1907), pp. 34-36.

(17) Yanoski (J.), **op. cit.,** p. 5, Cf. Gautier (E. F.). Genséric, **Roi des Vandales,** (Coll. Bibliothèque Historique), éd. Payot (Paris 1935), p. 114, par suite; Gautier, Genséric.

(18) ID., p. 9.

3 ـــ حملــة الوندال على بــلاد المغرب :

اجتاز جنسريق مضيق جبل طارق رفقة كامل شعبه المقــدر بحوالى ثمانين (80) ألف نسمة ، منهم خمســون (50) ألــف جندى (19) ، لكن سرعان ما تتضاعف قواته بمن ينضم اليه من الاهالى (20) ، الذين عانوا الامرين من الرومــان ، فخرجــوا لاشفاء غليلهم من الطغاة المستبدين الذين أبعدوهم عن أراضيهم وسلبوهم خيراتها (21) • ونفهم من جيبو (22) أن الوندال لم يجدوا فقط الاهالى الى جانبهم ، وانما حتى الرومان أنفسهم ، الذين فضلوا فوضى الوندال على قساوة الادارة الرومانيــة ، حيث نجد فظاعة وقساوة الضرائب التى أثقلت كاهــل جمــوع الملاكين الحضريين منهم والريفيين ، التى لا شك أنها كانت وراء وقوفهم الى جانب الغزاة الجدد (23) • لكن من كل الذين وقفوا الى جانب الوندال نذكر الدوناتيين المتعطشين للانتقــام مــن

(19) Procopius, I, 5.

(20) Yanoski (J.), op. cit., p. 11.

(21) Gibbon (E.), **Histoire de la décadence et de la Chute de l'empire romain** (21 vol.), ad. M.F. Guizot, Ed. le fèvre, (Paris 1819), t. 6, pp. 215-219.

(22) نفســه .

(23) حول الوضع العام للادارة الرومانية فى بلاد المغــرب وقســاوة الضرائب ، انظر :
Schmidt (L.), op. cit., pp. 54-70.

الكاثوليك الذين شردوهم وجردوهم من ممتلكاتهم واضطهدوهم شر اضطهاد (24) ، وهو ما دفعهم ، لا الى الانضمام الى الغزاة فحسب ، بل عملوا حتى على استمالة القوط الذين أرسلهم الامبراطور لمحاربة الوندال (25) •

يبدو أن الوندال لم يصطدموا بمقاومة تذكر قبل الوصول الى حدود نوميديا ، رغم ما صحب حملتهم من أعمال النهب والتخريب والتقتيل والتعذيب على ما يذكر بوسيديوس وفيكتور دى فيتا (26) •

تقدم جيوش الوندال ، وعجز الرومان فى التصدى لهم ، رغم تراجع بونيفاس الذى أدرك خطورة الخطوة التى خطاها ، عندما استنجد بالوندال ، ومحاولته وقف زحفهم بعد التصالح مع بلاكيديا ، لكنه اضطر الى الانسحاب الى هيبو — ريجيوس (عنابة) بعد هزيمته فى المعركة الاولى ، وهى المدينة التى لم يتأخر الوندال فى حصارها لمدة أربعة عشر شهرا ، ورغم وصول أسبار على رأس قوات جديدة وانضمامه الى بونيفاس ، فقد انهزم الاثنان ، واستولى جنسريق على المدينة سنة 431م (27)•

كان من نتيجة وفاة بونيفاس بشهور قليلة بعد تعيينه قائدا أعلى أن جعلت افريقيا بدون حام ، مما اضطر ايتيوس الى عقد

---

(24) Yanoski (J.), Loc cit.

(25) Saint Augustin, Ep. 185, ad. Boniface ......

(26) Possidius, La vie de Saint Augustin; Victor de Vita, Historia persecuIationis Vandalicae (d'après ch. A. Julien, op. cit. p. 325).

(27) جوليان (شارل اندرى) ، المرجع السابق ، ص 326 .

اتفاقية هيبو ـ ريجيوس مع جنسريق (11 فبراير 435 م) ، والتى يبدو أنها أكدت شروط المعاهدة الاولى (431 أو 432م) التى هيمنوا بموجبها لا على مقاطعات موريطانيا الثلاث فحسب بل أيضا على جزء من نوميديا ، وليظهر جنسريق نواياه السلمية ـ على ما يذكر بروكوبيوس ـ تعهد بدفع غرامة سنوية للامبراطور ، مقابل الاراضى التى استولى عليها ، كما بعث بابنه هونوريك الى روما كرهينة (28) •

تخلى جنسريق على المعاهدة المذكورة ، بعد أن استعاد ابنه ، فاستولى على قرطاجة (19 أكتوبر 439 م) دون مقاومة تذكر ، وأخذ بعدها يعد العدة لمهاجمة جزر المتوسط ، بعد أن جهز لذلك أسطولا ، فكانت معاهدة 442 م التى كانت لصالح الوندال الذين بسطوا نفوذهم على كل البروقنصلية (29) وفى سنة 455 م استولى الوندال على ما تبقى فى يد الرومان بموجب معاهدة 442 م ، كاقليم طرابلس والموريطانيات الثلاث ، ومدوا نفوذهم على كل الاقليم الشرقى من قادس الى معبد الفيلان (30) ، وسيطروا بذلك على افريقيا ظاهريا على الاقل ما يقرب قرنا من الزمن •

---

(28) Procopius, I, 4. ....

(29) Indépendamment des auteurs anciens prosper et victor de Vita cf. Marcus (L.), **Histoire des Vandales, depuis leur première apparition jusqu'a la destruction de leur Empire en Afrique**, 2 éd. Rozet (Paris 1838); Bourgeois (C.), «Les Vandales, le vandalisme et l'Afrique», **Ant. Af.**, t. 16, (1980), p. 216.

(30) Yanoski (J.), OP. Cit., P. 21

4 ـ حـدود السيطـرة الونـدالية :

قلنا سابقا أن الوندال أستولوا سنة 455 م على ما تبقى فى يد الرومان ، وسيطروا بذلك على افريقيا ، لكن، ورغم الخـلاف الواضح بين المؤرخين ، يبدو أن السيطرة الوندالية على افريقيا لم تكن كاملة، وقد حصرهـا كثير من المـؤرخين فى الولايـات الشرقية ، ومن بين هؤلاء المؤرخين نذكر كورتوا الذى يرى أن كل المعطيات الاثرية من نقوش ومسكوكات، تدعم فكرة حصـر دولة الوندال فى الولايات الشرقية (31) ولكن هذا لا ينفى من وجهة نظر نفس المؤرخ أن يكون للوندال بعض نقاط الارتكاز على السواحل مثل تافزة (تيبازة)، قيصرية، سبتة، معتمدا على اشارتى فيكتور دى فيتا (32) وبروكوبيوس (33) ، اذ أشار الاول الى عملية قطع الالسنة التى تمت فى تيبازة، رغم أننا لم نجد عند غيره ما يدل على احتلال الوندال لهذه المدينة، بينما أشار الثانى الـى ارسـال بيليساريوس (Belisaire) لاحـد قـواده للسيطرة على قيصرية، وآخر لاسترجاع سبتـة. لكن هـذه الاشارات لا تدل على الحاق الولايتين (القيصرية والطنجية)

---

(31) Courtois (Chr.), **op. cit.**, p. 178; cf. Carte n° 8 p. 243.

(32) Victor de Vita, **Histoire des persecutions Vandales**, III, p. 29.

(33) Procopius, II, 5. . . . .

الخريطة : 8 : حدود السيطرة الوندالية في المغرب.

بالممتلكات الوندالية • ومما يدعم ذلك افلات المنحدر الجنوبى للاطلس المتيجى من السيطرة الوندالية، والذى كانت السيادة فيه منذ سنة 474 م لامير محلى يدعى « يقمينا » (Iugmena) وفق نقش البرواقية (34)، ويكفينا دليلا على السيطرة الجزئية للوندال، ما نجده من تقسيم جنسريق لامبراطوريته الى خمس مقاطعات ، تتركز كلها فى المنطقة الشـــرقية، وهى : 1 — المزاق (Byzacène) ، 2 — نوميديا ، 3 — أباريتان (35) (Abaritane) 4 — الجيتول (الجريد والمناطق الجنوبية)، 5 — زغوان (36)، (Zeugitane) أضف الى ذلك النصوص العـــديدة التى تتحدث عن ممالك مغربية محلية ، كانت تربطها بالوندال علاقات مختلفة ، سنتعرض لها فى أوانها •

5 — موقـــف الاهـــالى من الونـــدال :

اذا كنا لا نستطيع القول أن العلاقات بين الوندال والاهالى كانت طيبة ، لان النزاعات بين الطـــرفين لا يمكن نكـــرانها على ما يفهم من بروكوبيوس (37) فان المؤكد أن نوعا من التعاون

---

(34) Sur ce texte cf. Albertini (E.) «Inscription chrétienne de Berouaghia», dans C.R.A.I., (1925), pp. 261-266.

(35) الاراضى الواقعة في اعالى مجردة الى الشرق من تبسة .

(36) حول هذه الاقسام الادارية انظر :
Mercier (E.), Histoire de l'Afrique Septentrionale, (3 vol.), E. Leroux, (Paris 1888), t. I, p. 170.

(37) Procopius, II, 10 ....

كان موجودا بين الطرفين ، يعود الى ما قبل الحملة على روما سنة 455 م، مادام هؤلاء «المور » قد شاركوا فى الحملة على ما يذكر فيكتور دى فيتا (38)، كما شاركوا فى الحملات الموالية ، ولهم على ما يفهم من بعض المؤرخين أوكلت مهمة الدفاع عـــن سردينيا ، بعد احتلالها من طرف الوندال ، وهو ما يبرهن بطريقة أو بأخرى فى نظر كورتوا (39) على الوفاق بين الطرفين •

ومما يدعم هذ ه العلاقات الطيبة بين الطرفين، ما ذكره فيكتور دى فيتا (40)، من نفى مارتينيانوس واخوته الى مملكة كابسوس (Capsus) التى يحاول كورتوا (41)، تحديد موقعها بشىء من التحفظ الى الجنوب الغربى من مقاطعة المزاق •

يمكننا الاقرار عموما مع صاحب « حرب الونـــدال » (42) ان الظروف تغيرت على اثر وفاة جنسريق، وبدأت ثورات الاهالى بدون هوادة، منذ عهـــد هونوريك ، الذى غطت الحـــروب كل عهده ، وهو ما أدى بدون شك الى اعلان الاوراس الاستقلال قبل وفاة هونوريك بقليل على ما يفهم من بروكوبيوس (43)• ويمكننا القول مع كورتوا (44) أن ثورة الاوراس تعـــد حدثا

---

(38) Victor de Vita, I, 23.

(39) Courtois (Chr.), op. cit., p. 189

(40) Victor de Vita, I, 35.

(41) Loc. Cit.

(42) Procopius, I, 8.

(43) Loc. cit.

(44) Courtois (Chr.), op. cit., p. 341.

اساسيا فى مملكة لوندال ، لا لانها مست الونـدال فى قوتهـم الاساسية ، ولا لانها سببت لهم هزيمة كبرى، لكن، لان معهـا تبدأ فى الظهور فى المناطق الخاضعة للوندال، تلـك الممالك التى بدأت تنمو فى افريقيا المستقلة عن الوندال (45) •

مع ذلك ، كل ما نعرفه عن هذه المملكة (مملكة الاوراس) فى عهد الوندال هو استيلاؤها على ثاموقادى وبغاى، الذى يبين لنا نزول سكان الاوراس الى السهول، بالاضافة الى استيلائها على المناطق الخصبة والغنية غـرب الاوراس والمجـاورة لمملكة الحضنة• وهى المملكة التى نجدها فى أوائل العهد البيزنطى تحت حكم يوداس (Iaudas) على ما يذكر بروكوبيوس (46) والذى كان تحت تصرفه (30•000) محارب (47)، وتمكن من مد نفوذه الى الجنوب الشرقى من قسنطينة الحالية •

اذا كنا لا نكاد نعرف عن مملكة كابسوس غير اسمها وانهـا كانت موجودة قبل سنة 477 م (48) ، فهو أيضا شأن مملكـة ماسوناس (Massonas) ، التى لا يمكننا تحـديد مجالها

---

(45) لا نعرف بالضبط متى ظهرت مملكة الطاوة (Altava) فى الغرب الجزائرى، التى لم نعثر لها على ذكر حتى سنة 508م، ولا مملكة الونشريس التى لم يشهد لها حادث قبل سنة 535 م، لكـن مملكة الحضنة نشأت ما بين 429 — 455 م، وبالتالى فهى سابقـة لمملكة الاوراس •

(46) Procopius, II, 12 - 13.

(47) نفسـه

(48) Courtois (Chr.), op. cit., p. 343 .

الجغرافي رغم ميل كورتوا الى النامشة (49)، بينما نجد أنتالاس (Antalas) ملكا على المزاق (50) •

لم تتوقف ثورات المور على اثر وفاة هونوريك ، بل تزايدت في عهد خليفته «قوثاموندوس» على ما يذكر برروكوبيوس(51) وقد تكون غاراتهم وراء اختفاء « لوحات البرنتي » Tablettes d'Albertini في وقت لاحق (21 أفريل 496 م)، وهي الفترة التي كان على الملك أن يدافع فيها أيضا عن السكان الذين كانوا يتعرضون للنهب لكن هذه الغارات كانت من الشدة لدرجة أن القديس فولجانتيوس (Fulgence) اضطر الى مغادرة (المونستير Monastere) الى منطقة المدينة القديمة (Thelepte) ويبدو أنه بعد ذلك بقليل لم تفلت من جنون الحرب هذه غير المناطق الساحلية للمزاق •

أمام هذا الخطر المتزايد ، قرر هلدريك ارسال قوات تحت قيادة هيلديمير (Hildimir) الذي برهنت هزيمته (52)، على أن انتالاس كان سيد الموقف ولم يعد بامكان الوندال التصدي لثروات الاهالي التي عمت مختلف مناطق البلاد ، وحصرت الوندال في البروقنصلية ومناطق محدودة من المزاق،

---

(49) Loc. cit., n° 2

(50) حول انتالاس وتوسعاته في المزاق وتاريخ تأسيس مملكته ومركزها انظر : كورتوا ، المرجع السابق، ص 344 —347 .

(51) Procopius, I, 8.

(52) حول هذه المعركة انظر :
Corippus, Johan., III, 198 et 1268.

وهو ما سهل بدون شك مهمة البزنطيين ، والا كيف نفسر عملية الاسترداد التى تمت بستة عشـــر (16) ألف رجـــل بقيـــادة بيليساريوس ، منهم ستة (06) آلاف فارس فقط .

رغم أننا لا نجد أى نص يسمح لنا بالتأكيد أن هزيمة هلدريك كانت عاملا مشجعا ليوستينيانوس للقيام بالحملة على افريقيا ، لكن ذلك غير مستبعد لعاملين : يكمن الاول فى تتبع يوستينيانوس (Justinien) للاحداث بافريقيا ، خاصة منذ عـــزل هلدريـــك (Hildéric) ثانيهما فى عدد الرجال الـــذين أرسلهم، فلو لم يكن على دراية بالوضع الذى آل اليه الوندال، لما غامر بارسال مثل هذا العدد ، خاصة وان امبراطورية الشرق سبق لها وأن ذاقت الامرين على يد الوندال (53)، واذا علمنا أن ثلاثة أسابيع كانت كافية لبيليساريوس لدخول قرطاجة (54) ، أدركنا الظروف التى آل اليها الوندال فى افريقيا بفضل الثروات المحلية .

---

(53) حول هذا الموضوع انظـــر : Procopius, I, 10.

(54) نزل بافريقيا 30 اوت 533 م ليدخل قرطاجة يوم 15 سبتمبر من نفس السنة، بعد معركة عليبعد 10 كلم (Ad. Decimum.) يوم 13 سبتمبر ، ويقضى على الوندال نهائيا بعد معركة تريكاماروم في منتصف ديسمبر 533 م .

الحضـــارة الونداليـــة فى شمـــال افريقيـــا

بعد الاستيلاء على قرطاجة وتوزيع أراضـــى زغـــوان على الوندال انتقل هؤلاء من حياة البـــداوة والتنقـــل الـــى حيـــاة الاستقرار ، وهو ما يؤدى بدون شك الى تحول شامل في طباعهم وعاداتهم وفى حياتهم بصفة عامة • ومـــن هنـــا نتســـاءل مـــع يانوسكى (55) عن كيفية انتظام الوندال فى الاراضـــى التـــى احتلوها بعد الاستيلاء على قرطاجة ؟ وكيف كان شكل الحكومة؟ والصلات بين الغالبين والمغلوبين ؟

1 ـــ نظـــام الحكـــم :

أ ـــ الملكيـــة :

كان نظام الحكم ملكيا وراثيا ، شأنه شأن باقى الشعـــوب الجرمانية ، لكن جنسريق أدخل تعديلا على نظـــام الوراثـــة فى افريقيا ، وجعل المملكة تعود الى الاكبر سنا من كـــل الامـــراء المنحدرين من الدم الملكى ، من غير اشتراط الانحدار المباشـــر من الملك السابق (56) •

---

(55) Yanoski, (J.), op. cit., p. 84.

(56) Procopius, I, 7; pour l'époque précédente à Genséric cf. Gautier, Genseric, p. 113.

أما عن مهام الملك ، فلا شك انها توسعت ، فلم يعد كما كان سابقا قائد جيش فحسب ، بل أصبح « ملكا » بمعنى الكلمة ، ولم يكن لسلطته حدود رغم وجود مجلس الاعيان أو العقلاء ، الذى يستدعيه الملك للاستشارة عند الضرورة •

ب ــ مجلس الاعيــان :

يذكر بروكوبيوس أن الملك كان يستدعى فى بعــض الظروف مجلسا يتكون من مشاهير الرجال للاجتماع ، هو بمثابة مجلس الاعيان أو العقلاء ، لكن يفهم من بعض روايات نفـــس المؤرخ أن صوت الملك فيه هو الفاصل (57) •

ج ــ المقــاطعــات :

يذكر بعض المؤرخين أن جنسريق قسم امبراطوريتــه الـــى خمس مقاطعات هـــى :

1 ــ المزاق (Byzacène).

2 ــ نوميديا (Numidie)

3 ــ أباريتان (Abaritane)

4 ــ الجيتول (Getulie).

5ــ زغــوان (Zeugitane).

---

(57) Procopius, I, 7.

د ـ النظـام البلـدى :

كان لنظام مجالس المشيخة (Curies) فى العهـد الرومانـى ثلاثة اختصاصات :

ـ الادارة الداخلية والمحلية للمدينة (بمثابـة رؤسـاء البلديات فى وقتنا الحاضر) •

ـ القضاء الادارى ، وهو يعوض كاتب العـدل وقضـاة المصلحـة •

ـ قضاء المنازعات حتى درجة معينة •

وفى عهد الوندال ، لم يفقد حكام البلديات هذه الصلاحيات ، بل ربما كانت صلاحياتهم أوسع ، خاصة فى مجـال المنازعات ، لدرجة أننا نجدهم يتدخلون فى كل القضايا المدنية والجنائية ، الا فى بعض الحالات الخطيرة ، التى تستدعى تدخل القاضـى السامى ، الذى وضعه جنسريق فى قرطاجة •

ويفهم أيضا من بعض النصوص أن الوندال ، وضعوا فى المدن وكلاء مهمتهم المحافظة على الامن وضمـان تبعيـة السكـان للمنتصرين ، لكن رغم الاجراءات الشديدة المتخذة مع بعـض المناطق ، حتى يتجنبوا الثورات ، يمكننا قبول الـرأى القائـل بتخلص المدن ، بغزو الوندال مـن نظـام الجبايـة والادارة الرومانية ، وبدأ وضعها يتحسن واستقلالها يزداد مع اتسـاع دائرة نشاطها •

هـ ـ نظام الارض :

يذكر ميرسى (58) (Mercier) أن جنسريق صنف الاراضى الى ثلاثة أصناف : أعطى الصنف الاول ـ المتكون أساسا من ممتلكات العائلات النبيلة والغنية ـ لابنيه : هونوريك وجينسون (Genson) والصنف الثانى المتكون من أراضى المزاق وزغوان ، سلمه لاتباعه الثمانين ألف ، أما الصنف الثالث الاقل خصوبة فقد تركه بأيدى الاهالى •

أما حول الملكية ، فلم تكن ملكية فردية ، وانما كانت ملكية جماعية ، فالارض ملك لجماعة الالف (Millena) ، الذين كانوا تحت حكم « قائد الالف » ، وهى مجموعة من ألف عائلة بامكانها أن تقدم مائتى (200) جندى (59) •

عملية الاستيلاء على أجود الاراضى فى مقاطعة البروقنصلية ـ سابقا ـ مست الملاكين الصغار والكبار ، الذين كان عليهم الاختيار بين الذهاب أو البقاء فى خدمة المعمرين الجدد ، فاختار الكثير منهم الذهاب ، وعلى هؤلاء وزع فالنتيانوس الثالث الاراضى فى الولايات الاخرى سنة 451م (60) •

---

(58) Mercier (E.), op.cit., p. 147.

(59) De Mougeot (Emilienée), «La fin de l'Empire romain en Occident et les royaumes barbares» dans Hist., Universelle, (3 vol.), t. I, Des origines à l'Islam, (Coll. Encyclopedie de la pleiade) éd. Gallimard, (Paris 1956), pp. 1294-95.

(60) نفسه •

2 ــ المجتمــع الونــدالى :

تمسك جنسريق وخلفاؤه من بعده بفكرة فصل رعاياه الجرمان عن سكان المقاطعات ، فلم يسمحوا مثلا اطلاقا بالزواج المختلط وطبقوا سياسة العزل (Segregation) ، لكن مع ذلك لم يتمكنوا من منع جنودهم من تذوق الحياة الرومانية : فلبسوا الملابس الثمينة ، وأصبح الكثير منهم يذهب الى الملاعــب والمــدارس النحويــة (61) •

أ ــ طبقــات المجتمع : يمكننــا الحديث عن ثلاث طبقات أساسية فى المجتمع الوندالى هى :

النبلاء : والنبالة لم تكن مسألة وراثية فى المجتمع الوندالى ، وانما تكتسب بفضل مزايا الشخص وشجاعته ، وتستمر معــه بفضل الشهرة التى يحصل عليها فى المعارك (62) •

أما عن الامتيازات التى حصل عليها هؤلاء النبلاء فى افريقيا، فكانت حصصا واسعة من الاراضى المحتلة ، كما ظلت بأيديهــم الرتب العسكرية الاساسية ، وهم الذين يقدمون للملك الرجال الذين يعول عليهم فى مجلسه ، والضباط الاساسيين فى قصره ، ومنهم الموظف السامى (Praepositus regni) المكلــف بتفتيــش

---

(61) نفســه .

(62) حول طبقة النبلاء عند الوندال انظر :
Marcus (L.), op. cit., pp. 191-198.

معامل الاسلحة وكل المؤسسات الملكية (63) ، وكان معه العديد من الموظفين (Notarii)

طبقة المحاربين : كل الونـــدال محاربون بالدرجـــة الاولى ، فالوندالى رغم حصوله على قطعة أرض ، يعتبر دائما كجنـــدى ومطالب بالخدمة العسكرية ، وكان يعفى فقط من الضرائب التى كان الاهالى مطالبون بهـــا .

العبيد : جلـــب الوندال معهـــم بعض العبيـــد عند قدومهم من اسبانيا بالاضافة الى الذين وجدوهم فى زغوان ، واستخدموا الكل فى فلاحة الارض .

ب ــ القضـــاء :

اذا كان جنسريق ــ نظريا ــ القاضى الاعلى على كل رعاياه لا من الوندال فحسب ، بل حتى المغلوبين الـــذين تـــرك لهـــم جنسريق وخلفاؤه قوانينهم وقضاتهم ، لكن هـــؤلاء يحكمـــون باسم « ملك الوندال » وتحت رقابة موظف ملكى سام يقيـــم فى قرطاجـــة .

أما بالنسبة للوندال الذين وجدوا وفق تعبير ماركوس (64): « حاجتهم الى القضاة المدنيين ، فى قادتهم العسكريين » فنجدهم يتحاكمون لدى محاكم برئاسة قادة الالف (Taihun hundafath) وأخرى تحت رئاسة قادة المائة (hundafath) وأخيرا محاكـــم

---

(63) يذكر دى موجيو (المرجع السابق) ان جنسريق حرص علـــى ان يكون أعوانه دائما من الونـــدال ، فكـــان وزيـــره الاول ــ الموظف السامى ــ دائما ونداليا وكذا كل مستشاريه .

(64) Marcus (L.), op. cit., p. 190.

تحت رئاسة قادة العشرة (taihunfath) ، وفوق كل هؤلاء كـان الموظف السامى ، الذى كان عليه أن ينظر فى القضايا الاكثـر خطـورة •

ج ــ التنظيـم العسكـرى :

كان الجيش عماد الدولة ، فهو حامى الاراضى المحتلة وقوة الملكية ، ولا يسمح لاى عنصر أجنبى بدخوله ، فكـان جيشـا وندااليا خالصا ، ولم يأخذجنسريق عن الرومان غـير الجيـش البحرى الضرورى لحماية السواحل ، فكان أسطول الونـدال المتكون من حوالى مائة (100) قطعة شراعية أكثر منها ثلاثية ، يسيرها أفارقة تحت رئاسة ضباط جرمان (65) •

أما الجيش البرى فقد كون جنسريق ثمانين (80) كتيبة تتكون كل كتيبة من ألف رجل ، تحت قيادة قائد الالف taihuhundafath وهو ما يقابل (Millenarius) عند فيكتور دى فيتا • وتحت قائد الالف نجد قائد المائة (hundafath) وأخيرا قائد العشرة (taihunfath)

وفوق كل هؤلاء الضباط نجد الملك ، ثم أفراد عائلـة الملـك الذين يقودون عدة كتائب ، ولا نجد فى جيش الونـدال غـير الفرسان الذين يستخدمون الرمح والسيف ، أما رمـاة النبال الذين نجدهم فى صفوفهم وعلى سفنهم فهم من المرتزقة وكانوا يختارون خاصة من المور (66) •

---

(65) De Mougeot (E.), Loc. cit.,

● كلمة مركبة من ثلاثة مقاطع : taihun عشرة (hunda) مـائة (Fath) قـائد أو رئيـس

(66) Yanoski (J.), op. cit., pp. 83-84.

الحيـــاة الاقتصاديـــة

أ ـ الزراعــة :

لعبت الزراعة دورا أساسيا فى حياة الافارقة منذ عهد الملوك النوميديين ، ويدل اعجاب المؤرخ البيزنطى بروكوبيوس (67) بخصوبة هذه البلاد التى تكتفى ذاتيا فى نظره ، على استمـــرار هذا الدور الذى تلعبه الزراعة ، حتى أوائل العهد البيزنطى(68) رغم القلاقل والاضطرابات التى عرفتها المنطقة فى أواخر العهد الوندالـــى •

ويبدو أن الممتلكات لم يلحقها الا تغيير طفيف اذا استثنينـــا اقليم المزاق وجهة زغوان (69) ، اذ رغم تحول الضيعات الـــى عائلات الوندال ، فقد كانت هذه العائلات تكتفى باستلام ضرائب المحاصيل التى كانت من الكثرة بحيث تتمكن من أن تحيا حيـــاة البذخ ، وقلما أشرف الملاكون الجدد على الاراضى التى عادت لهم ، وانصرفوا الى شؤون الجيش والحكم •

ورغم احتمال تقلص المساجات الزراعية (70) ، خاصـــة فى

---

(67) Procopius, II, 3; II, 7.

(68) Corippus, Johan., III, 13 et ss; 28, 67.

(69) المرجع السابق ، ص 330 .

(70) cf. Courtois (Chr.), op. cit., p. 317.

أواخر عهد الوندال التى كانت نتيجة منطقية للحروب التى عرفتها المنطقة ، فقد ظل انتاج افريقيا من الحبوب كالقمح والشعير كافيا (71) وكذا الزيوت والاشجار المثمرة الاخرى كالعنب والتين واللوز ، اضافة الى تربية المواشى ، التى كانت تحتل مكانة هامة خاصة تربية الخيول الضرورية للحرب والمواصلات •

ب ــ الصناعة :

بلغت الصناعة فى العهد الرومانى مكانة لا بأس بها ، ولا شك أن مجىء الوندال قد أثر سلبا على ذلك ، بسبب ما كانت تقوم به القرصنة ، التى لا شك أنها أغلقت فى وجه الصناعة الكثير من الاسواق ، لكن عودة العلاقات التجارية الى مكانتها فى عهد هونوريك ، تكون قد أنعشت هذا الميدان من جديد ، وهو ما يفهم من النصوص المعاصرة ، التى أشادت بالصناعات النسيجية والحرير والاثاث (72) ، اضافة الى مصانع الاسلحة وعتاد السفن فى قرطاجة وغيرها (73) •

ج ــ التجارة :

تشير بعض الاحداث الى أنه كانت للوندال علاقات تجارية مع مختلف بلدان أوروبا وآسيا ومصر ، فاذا كان بروكوبيوس قد تحدث عن التاجر الذى صادفه فى سرقوسة وحدثه عن

---

(71) Procopius, II, 3.

(72) Yanoski (J.), op. cit., p. 89.

(73) Procopius, I, 14.

الصفقات التى عقدها فى قرطاجة (74) ، فاننا نعرف أيضا أن بيليساريوس عند نزوله فى قرطاجة ، كان قد وجد سفينـــة فى المرسى ، انطلقت باتجاه اسبانيا بعد ملئها بالسلع ، ونعلم أيضا أن الرجال الذين وضعهم جيلمير فى السجن ، كانوا قد جاءوا من الشرق لاغراض تجارية (75) ، وكذلك شأن التجار الافارقة الذين ظلوا يترددون على موانىء الشرق كما كانوا فى السابــق (76) ، كما عقد الافارقة صفقات تجارية مع أقصـــى شمـــال جرمانيا عن طريق غالة وايطاليا (77) •

لم تكن التجارة البحرية هى الوحيدة ، بل كانت هناك علاقات تجارية عبر الطرق الصحراوية ، حيث كانت القوافـــل تجلـــب التبر والاحجار الكريمة والعاج والعبيد ، كما كانت تصل عـــن طريق مصر تجارة الهند (78) •

ويستشف من المعاصرين أن افريقيا كانت تصـــدر القمـــح والكتان والاخشاب الموجهة لصناعة الاثاث والمرمر ، والاحجار الكريمة ، ويؤكد لنا بروكوبيوس أن وارداتها كانت قليلة جدا ، وأن الارض بخصوبتها وانتاجها ، والصناعة بنشاطها النسبـــى تستجيب فى المدن والارياف لحاجيات السكان (79) •

---

(74) Yanoski (J.), OP. Cit., P. 89

(75) Procopius, I, 14.

(76) ID., I, 20

(77) Victor de Vita, III, 41

(78) Yanoski (J.), op. cit., p. 88

(79) Procopius, II, 3

ـ اللغــة والاداب :

اذا كان الوندال وهم فى بلاد غالة واسبانيا ، قد احتفظــوا بلغتهم الجرمانية ، فان هؤلاء اضطروا فى افريقيــا الى تعلــم اللاتينية ، التى كانت لغة الإدارة والحكومة ، فكانت المراسلات والعقود الصادرة من مختلف الدواوين تكتب بها • وبعد وفــاة جنسريق وفى حالات السلم ، لجأ كثير من الوندال الى دراسة اللاتينية ، لا لضرورة فحسب ، بل لاشغال أوقات الفــراغ ، وربما حبا فى الفن ، ولكن هذا ليس معناه أن الوندال قد تخلوا عن لغتهم التى ظلت لغة الكنيسة ، وبهــا كانــوا يدرســون فى الكنائس ، كما حاولوا تطويرها لتستقبل مختلــف الاشكــال الادبيــة (80) •

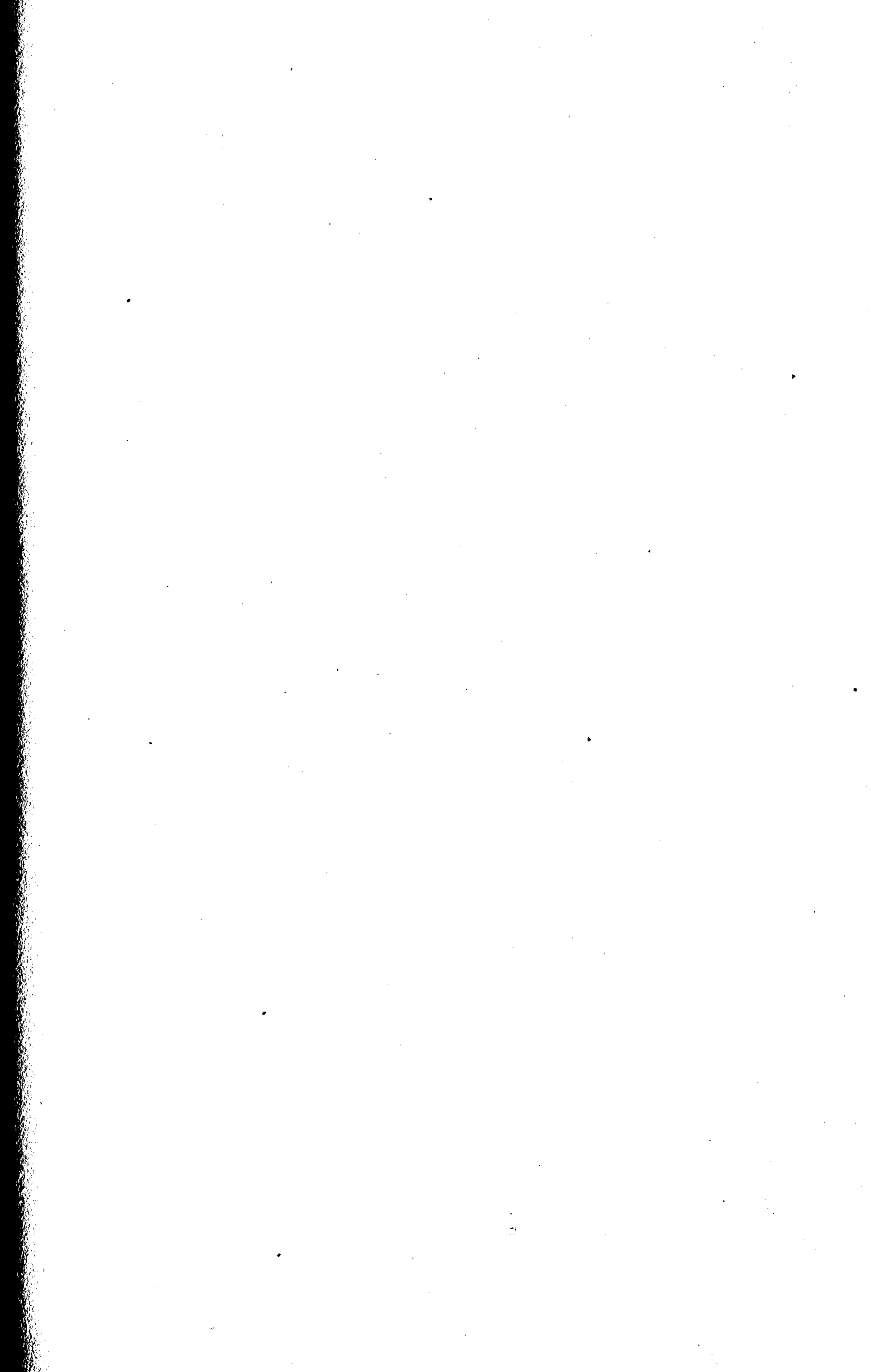
---

(80) حــول لغة الوندال انظر : ماركوس ، المرجع السابق ، ص 411 وما بعدها .

الفصـــل الخـــامـــس

البلاد المغاربيـــة فى العهـــد البيزنطـــى

(533 – 647م)



البلاد المغاربية فى العهد البيزنطى 533 — 647م

1 — التعريف بالبيزنطيين وظروف غزوهم للبلاد المغاربية :

— التعريف بالبيزنطيين : يمكننا أن نعتبر يوم 11 مايو 330م ، الذى أصبحت فيه مدينة بيزنطة العاصمة المسيحية للامبراطورية الرومانية ، البداية المنطقية للدولة البيزنطية ، رغم استمرار الوحدة السياسية للامبراطورية الرومانية ظاهريا فى عهد قسطنطينوس (Constantin) وبعض خلفائه (1) ، لكن القسطنطينية ، لم تكن عاصمة شكلية ، لا فى المجال الدينى ولا المادى ، فقد استطاعت بفضل موقعها أن تكون مركز ارتكاز للهلينية ، التى أعطت دائما للولايات الشرقية خصوصياتها وطابعها وحتى مؤسساتها ، وهو ما يفسر لنا سرعة تطور أمبراطورية الشرق غداة وفاة ثيودوز (Theodose) وتقسيم الامبراطورية الرومانية بين أركاديوس (الشرق) وهنوريوس (الغرب) سنة 395م ، التاريخ الذى اعتبر بداية الوجود الرسمى للامبراطورية البيزنطية .

اذا كانت روما قد تعرضت لضربات القبائل الجرمانية المدمرة ، فان بيزنطة رغم عدم افلاتها من هذه الضربات ، فهى لم تعان

---

(1) قسطنطينيوس الكبير 324 — 337م : هو الذى نقل مقر الحكم من روما الى بيزنطة (330م) التى وسعها وحصنها ، وحملت منذ ذلك الوقت اسمه فعرفت بـ : القسطنطينية .

من سيطرة هؤلاء على أراضيها ، وهو ما سيمكنها فيما بعد من القيام بما عرف بـ : « حركة الاسترداد في عهد بوستينيانوس » •

2 ـ أسباب وعوامل الاحتلال :

اذا كان طموح يوستينيانوس (Justiien) الراغب فى انشاء أمبراطورية عالمية واسترداد أمجاد الامبراطورية الرومانية على ما يذكر بعس المؤرخين (2) وراء الحملة ، فاننا نجد جملة من الاسباب والعوامل التى تكون قد عجلت بذلك ، يمكننا ايجازها في الصراع الدينى القائم آنذاك بين الكاثوليكية والاريوسية ، وما نجم عنه من تعرض كاثوليكى افريقيا لمتابعات واضطهادات عديدة طيلة فترة حكم الوندال الاريوس (429 ـ 533م) ، الذين نعتوا بـ : « أعداء الروح والجسد » في قانون يوستينيانوس (3) ، فكان من الطبيعى ، أن يلجأ هؤلاء الى أمبراطور الشرق طلبا للنجدة •

كان فى القسطنطينية فى هذا الوقت عددا كبيرا من الافارقة ضحايا الاضطهادات الوندالية (4) ، وعدد ضخم من الاساقفة

---

(2) Diehl (Ch.), **L'Afrique byzantine, histoirre de la domination byzantine en Afrique (533-709)** éd. Leroux (Paris 1896), pp. 4-5.

(3) Justinien, **Les douzes livres du code** (4 vol.s), trad. par P.A. Tissot, éd. Behmer (Metz 1806), liv. I, 27, 1, 1. (par suite **Cod Just.**),

(4) Diehl (Ch).), op. cit., p. 7

الذين كانوا عرضة للتعذيب الوندالى ، وحول كل هؤلاء التف الارثوذكس يتوسلون من الامبراطور التدخل (5) •

كما أظهر هلدريك (Hildiric) تسامحا كبيرا تجاه الكاثوليك ، قد تكون صداقته ليوستينيانوس وراء ذلك ، وهو ما أثار استياء الوندال ، كما كانت الهزائم العديدة التى منيت بها الجيوش الوندالية أمام الاهالى خاصة فى المزاق ، وراء استياء الجيش وابعاد هلدريك ، ولاتيان بجلمير (Geilimer) الى الحكم (6) ، وهو ما تسبب فى انقسام عميق في صفوف الوندال ، وتدخل الدبلوماسية البيزنطية (7) •

أضف الى الانقسام فى صفوف الوندال ، الثورات المحلية ، التى لم تكن أقل أحراجا للسلطة الوندالية ، اذ لم تتأخر القبائل المحلية في العمل على التخلص من سلطة جنسريق ، حيث أعلن الاوراس الاستقلال منذ عهد هونوريق Huniric (477 — 484م) دون أن يتمكن الوندال من اخضاعهم ثانية (8) • بعد الاوراس يأتى دور الحضنة والزيبان ، فكانت هذه الثورات التى لم تجد رادعا لها وراء نزول الاهالى الى السهول ، واجتياز خطوط الحصون الرومانية ، التى كانت تحول سابقا والوصول الى الهضاب العليا النوميدية (9) •

---

(5) Loc. cit.

(6) Procopius, I, 8.

(7) نفسه .

(8) نفسه .

(9) • Diehl (Ch.), op. cit., p. 11

فى عهد تراساموندوس (496 — 522م) Trassamund كانت ثورة طرابلس بقيادة قاباون (Gabaon ، وفى عهد هلدريك تمكنت قبائل المزاق من الحاق الهزيمة بجيوش الوندال أكثر من مرة ، فكانت كل هذه الثورات وراء ارهاق امكانيات الوندال ، واضعاف جيوشهم والحد من نفوذهم الذى بدأ ينحصر شيئا فشيئا (10) .

اذا أضفنا الى كل هذه العوامل، تجبر جلمير، وقصر نظره ، زيادة على انحياز قوط ايطاليا(Ostrogoths) الى يوستينيانوس ، بعد اغتيـــال أمالافريدا(Amalafride)زوجـــة تراساموندوس القوطية (11) ، وكذا ثـــورتا طرابلس وسردينيا (12) ، أدركنا العوامل التى ستساهم بدون شك فى انجاح الحملة .

3 ـــ الحملـــة علـــى افريقيـــا :

قرر يوستينيانوس التدخل العسكرى فى افريقيا ، بعد فشل مساعيه الرامية الى اعادة هلدريك الى منصبه أو اخلاء سبيلـــه والسماح له بالهجرة الى القسطنطينية (13) ، وهو القرار الذى أثار ضجة في المجلس الامبراطورى ، اذ كان الكل متخوفا ، على ما يفهم من بروكوبيوس (14) ، لدرجة أن بعضهم ضخم مخاطر

---

(10) انظر اعلاه ، ص 248 — 249 .

(11) انحياز قوط صقلية الى يوستينيانوس سمح له باستغلال موانىء هذه الجزيرة فى الانطلاق نحو افريقيا .

(12) cf. Procopius, I, 11.

(13) cf. Diehl (Ch.), op. cit., p. 6

(14) بروكوبيوس ، I ,10

هذه الحملة ، التى لا طائـــل من ورائها ، حسب تعبـــير يوحنا كبادوكيا (15) • حتى كاد يوستينيانوس أن ييأس بدوره ويشك فى امكانية نجاحها ، لكن لا شك أن الضغوط الدينية والمعلومات الدقيقة التى استقاها من الاساقفة الافارقة عن موقف سكـــان افريقيا ، والوضع فى مملكة الوندال ، هى التى كانت وراء اتخاذ القرار القاضى بارسال الحملة •

أقلعت الحملة في اليوم الثانى والعشرين من يونيو (جوان) سنة 533م بقيادة أحسن قادة الامبراطورية بيليساريوس ، الذى عين على رأس ستة عشر ألف محارب بين مشاة وفرسان (16) • نزلوا في منتصف سبتمبر عند رأس كبوديا (Caput - Valda) الى الجنوب من خضرموت (17) (سوسة) بعد ثلاثة أشهر من الابحار ، ورغم أن بعض مساعدى بيليساريوس قد طلبوا منه الابحار ثانية ، والتوجه نحو قرطاجة مباشرة ، غير أنه فضـــل أن يسلك الطريق البرى الساحلى عبر سلقطة (Sellectum) ولمطة

---

(15) انظر خطابه أمام المجلس الامبراطورى ، حيث ذكر بنكبة سنـــة 468 العالقة بالاذهان وما ينتظـــر الحملة الموعـــودة من أخطار• (بروكوبيوس ، I , 10)

(16) cf. Mercier (G.), **Histoire de l'Afrique septentrionale,** (3 vols), éd. Leroux, (Paris 1888), t. I, p. 157.

(17) يذكر ديهل أن النزول فى هذا الموقع المعزول كان بمحض الصدفة، اذ وجد البيزنطيون أنفسهم بعيدين عن هدف الحملة بأزيد مـــن 200 كلم ، وهو ما يساوى مسار تسعة أيام تفصل راس كبوديا عن قرطاجة ، وهذا خلافا لـــ ديرودى لامال (Dureau de la Male) الذى يرى أن النزول فى هذا الموقع بسبب ثورة اقليم طرابلس ، وهو ما يضمن حماية ظهر الجيوش البيزنطية فى حالة التراجع . انظر : Dureau de la Malle, **L'Algérie manuel Algérien** éd. Firmin didot, (Paris 1852), p. 240 n° 1.

(Grasse(18) وقراس (Hadrumète) وسوسة (Leptis Minors)
وهى المناطق التــى اجتازهــا دون عناء علــى مــا يفهــم من
بروكوبيوس (19) •

عندما وصل الى جلمير خبر نزول البيزنطيين بافريقيا ، وهو
فى هيرميون Hermion أسرع بالكتابة الى شقيقه أماتاس Ammatas
فى قرطاجة يأمره بقتل هلدريك والمقربين منه ، وتجنيد الوندال
والاستعداد للانتقال الى سيدى فتح الله Decimum المكان الذى
اختاره جلمير لمعركة كبرى ، كانت ستوقف الزحف البيزنطى ،
لولا الهفوة التى ارتكبها أماتاس والتى ستكون سببا فى اندحار
الوندال في هذه المعركة ، وزوال دولتهم من الوجود فيما بعد (20)
كانت خطة المعركة (21) تقتضى بأن يخرج « أماتاس » من
قرطاجة ، ويتقدم لوقف البيزنطيين عند مضيق سيدى فتح الله ـــ
على بعد 15 كلم من قرطاجة بينما يهاجم جيبا موند (Gibamund)
ابن عم جلمير ميسرة الجيش البيزنطى على رأس ألفى مقاتل ،
فى الوقت الذى يهاجمهم فيه جلمير من الخلف (22) •

---

(18) يرى دى لامال اعتمــادا على فراديــز Faradise انها هــى افروديزيوم Aphrodisim التى يحدد « شاو » موقعها الى الشمال الغربى من سوسة . أنظر : المرجع السابق ، ص 244 الهامش رقــم 2 .

(19) بروكوبيوس ، 17 , I

(20) انظر : جوليان (شارل اندرى) ، المرجــع السابــق ، ص 358 — 359 .

(21) حول تفاصيل هذه المعركة انظر : بروكوبيوس ، حرب الوندال ، I ، 18 — 19 .

(22) cf. Mercier (E.), op. cit., p. 159.

كانت الخطة مدبرة بشكل جيد ، وكان بالامكان أن تكون لهـا نتائج وخيمة على الجيوش البيزنطية ، لو حسن استغلالها ، لكن وصول « أماتاس » قبل وصول باقى القوات الوندالية ، ودخوله المعركة دون باقى القوات ، مكن يوحنا الارمينى (Jean l'Armenien) من التقدم نحو قرطاجة بعد ابادة قوات « أماتاس » الذى قتل فى المعركة (23) • تقدم جيباموند لمهاجمة مـيسرة القـوات البيزنطية ، لكنه اضطر الى التراجع قـرب سبخة السيجومى ، بعد أن ترك العديد من القتلى في الميدان • أما جلمير فقد فـوت على نفسه الفرصة ، رغم الانتصار الجزئى الذى حققه على البيزنطيين نتيجة انشغاله بجنازة شقيقه ، ومكن بيليساريوس من جمع قواته ومباغتته (24) ، وبذلك حققت الجيوش البيزنطيـة انتصارا عريضا ، تمكن على اثره بيليساريوس من دخول قرطاجة فى اليوم الموالى (14 سبتمبر 1533 م) وبدون قتال (25) •

عمل جلمير الذى فر الى بولا ــ ريجيا (حمام الدراجى) ، بعد عـودة شـقيقه تازازون (Tazazon) من سردينيا ، على استرجاع ما فاته ، وتقدم نحو قرطاجة التى حاول اخضاعها بقطع الماء عنها ، كما حاول اقحام بيليساريوس فى معركة يختار لهـا المكان ، لكن دون جدوى (26) • وفى الخامس عشر من ديسمبر هاجمه الاخير وهزمه فى معركة تريكا ماروم (Tricamarum)

---

(23) Procopius, I, 18 ....
(24) Procopius, 120
(25) Procopius, I 20
(26) Procopius, II, 1; Mercier, op cit., pp. 162-163

التى لو كر فيها جلمير على البيزنطيين ساعة اقتسام الغنائم، لتغير منحى المعركة ، لكن تأثره بالصدمة الاولى ، وفراره الـــى جبل (Pappua) فوت عليه الفرصة ثانية ، وفي هذا الجبل ضايق عليه فاراس (Pharas) الخناق حتى استسلم فى شهـــر مارس 534م ، بعد ثلاثة أشهر من الحصار (27) •

بعد استسلام جلمـــير أرســـل بيليساريوس بعـــض قواده لاسترجاع قيصرية (Caesarée) وسبتـــة (Septum) وبعض جزر المتوسط (28) ، لكن البيزنطيين سيصطدمون مـــن الان فصاعدا بمقاومة أعنف وأشد تتمثل فى مواجهة الاهالى •

4 ــ البيزنطيون فى مواجهة الاهالى :

يذكر بروكوبيوس أن الاهالـــى التزموا الحيـــاد في الصراع الدائر بين الوندال والبيزنطيين ، واعتبـــر ذلك خبثـــا ومكـــرا منهم (29) ، خلافا لديهل الذى اعتبره تاكتيكا تعود عليه الاهالى ، الذين رأوا فى هذا الصراع استنزافا لقوة الخصمين • أما بعـــد انتهاء هذا الصراع ، فقد رأوا أن الوقت مناسب للثورة (30) ، زد على ذلك أن الوعود التى قطعها البيزنطيون على أنفسهم لم ينفذوها ولم ينل الاهالى من البيزنطيين غير الخراب والدمار ، اذ

---

(27) Procopius, II, 7 ....

(28) Procopius, II, 5.

(29) بروكوبيوس ، II ، 8

(30) Diehl (Ch.), L'Afrique byzantine 51-52.

أثرت الحروب على الانتاج الفلاحى • وكـذا عودة الاضطهـاد الدينى والضرائب، وهى كلها عوامل تدعو الى حمل السلاح (31) •
اذا كان البيزنطيون قد انتصروا على الوندال ، دون عنـاء يذكر كما أسلفنـا الذكـر (32) ، فان الحـرب الطويلـة التى سيخضونها مع الاهالى ، تختلـف تمـاما ، فلا تفـوق الاسلحة البيزنطية ولا القواعد التكتيكية تجدى نفعا مع الخصوم الجدد ،

ففى مواجهة خفة الفرسان الاهالى تبدو الجيوش البيزنطية ثقيلة وبطيئة الحركة كما تعجز مناهج المعارك المنظمة التى تعود عليها القادة البيزنطيون ، أمام أسلوب الكر والفر والكمائن عند الاهالـى (33) •

ثـورات الاهالـى :

لم تكد السفينة التى تقل بيليساريوس تغادر ميناء قرطاجـة سنة 534م ، حتى ثار الاهالى فى المزاق ، التى سيطروا عليهـا بقيادة كوتزيناس (Coutsinas) الذى كان وثلاثة من زملائه (34) على رأس خمسين ألفا من الاهالى ، وتمكنوا من افناء الوحدات البيزنطية ، التى جاءت لنجدة المنطقة بقيادة ايقانوس (Aigan)

---

(31) Diehl (Ch.), L'Afrique byzantine, pp. 41-42

(32) Supra, pp. 268-270.

(33) Diehl, L'Afrique byzantine, pp. 51-52.

(34) كان يساعد كوتزيناس ثلاثـة قـادة آخريـن هـم : يسديلاسا (Isadilase) ، يوفروت (Iouphrout) ومدسينيسا
انظر بروكوبيوس حرب الونداق ، 10 , II

وروفانوس (Rufin) ، وهو ما دفع سليمان الخصى (35) (Salomon) الى الاسراع الى المزاق حيث دارت معركة ماما التى فقد فيها الاهالى عشرة آلاف مقاتل ، وبذلك يكون سليمان قد حقق انتصارا ساحقا على الاهالى ، اذا صدقنا بروكوبيوس (36) ، لكن تحدث نفس المؤرخ عن تلقى سليمان نبأ انتشار المور فى المزاق على اثر وصوله الى قرطاجة ، يدل على مبالغة مؤرخ الحملة ، وهى المبالغة التى لا تخفى على أحد في حديثه عن المعركة الثانية فى ضواحى جبل برقوان سنة 535م ، التى فقد فيها الاهالى خمسين ألف مقاتل دون أن يفقد الروم ولو مقاتلا واحدا (37) .

فى الوقت الذى كانت تجرى فيه هذه الاحداث في المزاق ، نزل يبداس (Iabdas) ملك الاوراس (صيف 535م) ، على رأس ثلاثين ألف مقاتل ، يجوب الهضاب العليا النوميدية ، ووصل حتى حدود التل دون أن تتمكن الحاميات البيزنطية من صده . فقرر سليمان أواخر سنة 535م غزو الاوراس بعد أن آمن جانب أورتاياس (Ortaias) ملك الحضنة وماسوناس (Massonas) لكن الحملة فشلت بعد أزيد من أسبوع في مخانق الاوراس ، اضطر بعدها للعودة الى قرطاجة على أمل أن يعاود الكرة فى

---

(35) كان خلال هذه الفترة « قائد قوات افريقيا » ، قبل أن يجمع بين السلطة العسكرية والادارية فى حملته الثانية ، تذكره المصادر العربية بـ : « سليمان الخصى » ،ولهذا سنستخدم اسم « سليمان » فى الحديث عنه .

(36) بروكوبيوس ، II , 11

(37) بروكوبيوس ، II , 12

الربيع الموالى (536م) ، لكن ثورة ستوتزاس (Stotzas) تسببت فى ابعاده وعودته الى القسطنطينية (38) •

حملة سليمان الثانية : فى سنة 539م تمت دعوة جرمانوس الى القسطنطينية وعوض بسليمان الذى نزل هذه المرة في قرطاجة بصفته والى البريتوار وقائد قوات افريقيا (39) ، ولم ينس خيبته فى الاوراس سنة 536م ، فقرر أن يهاجمها ثانية على اثر عودته ، وقد ابتسم له الحظ هذه المرة على ما يفهم من بروكوبيوس الذى يذكر أن الحملة وضعت حدا لتمردات المنطقة، بل أكثر من ذلك يتحدث عن وصول سليمان الى ضواحى المسيلة (زابى يوستينيانا) ، واخضاع كل موريطانيا السطايفية ، لكن دون أن يعطى أية تفاصيل عن كيفية حدوث ذلك (40) •

نعم البيزنطيون بأربع سنوات سلم بعد هذه الحملة (539 — 543م) ، لكن تعيين سرجيوس (Sergius) دوقا على اقليم طرابلس ، سيتسبب في ثورة قبيلة لواتة (41) التى هاجمت لبدة ، ورغم تمكن القوات البيزنطية من صدها على ما يذكر بروكوبيوس ، فان ثورة اقليم طرابلس ، دفعت سرجيوس الى

---

(38) نفسه ، 17 , 13 , II

(39) C.I.L. VIII, 4799; Diehl (Ch.), L'Afrique byzantine, p. 88.

(40) بروكوبيوس ، 20 , II

(41) يذكر بروكوبيوس (21 , II) ان ممتلكات هذه القبيلة تعرضت لاعتداءات الفرق البيزنطية ، وبقدوم الدوق الجديد (سرجيوس) توجه كبار شيوخ القبيلة الى لبدة ، لتقديم شكاويهم لكن وقاحته تسببت فى مقتل غالبية اعضاء الوفد (مقتل 79 عضوا من 80) وهو ما كان سببا فى الثورة •

الفرار الى قرطاجة ليستنجد بسليمان الذى خرج لملاقاة الاهالى عند حدود نوميديا ــ المزاق ، ورغم تمكنه فى اللقاء الاول من تحقيق انتصار جزئى في ضواحى تبســة فقد انهــزم فى معركة كيليوم (Cillium) التى لقى فيها مصرعه سنة 544م (42) .

كانت لمعركة كيليوم نتائج وخيمة على البيزنطيين ، فالى جانب انتشار الفرسان الاهالى فى المزاق، اجتاز القوط لفربيون مضيق جبل طارق،وحاصروا سبتة (43)،زد الى ذلك تعيين سرجيوس خلفا لسليمان وما نجم عنــه من انضمام ستوتزاس الـــى انتالاس ، فتقدم كل هؤلاء واحتلوا حضرموت ، بعد أن هزموا دوق المزاق فى معركة مينيفاز Ménéphese ، مما اضطر قائد المشاة الى التراجع نحو قرطاجة (44) ، وهو ما أثار نزاعا على مستوى القيادة بين سرجيوس ويوحنا وهو ما عرفَ بأزمة سنتى 545 ــ 546 م (45).

على اثر هذه الازمة أرسل يوستينيانوس أريوباند (Areobinde) كزميل لسرجيوس ، فكلف الاول ، بقيادة الحرب في المزاق والثانى فى نوميديا (46) وكان من نتائج الخلافات بين القائدين أن زحف الثوار على البروقنصلية وتمكنوا من القضاء على قوات اريوباند التى كانت تحت قيادة يوحنا الذى قتل في معركة برج مسعودى

---

(42) بروكوبيوس ، 25 , II

(43) Diehl (Ch.), **L'Afrique byzantine,** p. 339.

(44) Procopius, II, 23; Corippus, «Johannide» IV. 64, trad par J. Alix, R. T. (1899-1902).

(45) للمزيد من التفاصيل حول هذه الازمة انظر :
Diehl (Ch), l'Afrique Byzantine PP. 334-361

(46) بروكوبيوس ، 25 , II

(Thacia) أواخر 545م (47) ، ورغم محاولة يوستينيانوس تدارك الوضـــع بدعوة سرجيوس الى القسطنطينية وتـــعيين اريوباند قائدا أعلى لقوات افريقيـــا ، فان أوضـــاع البيزنطيين زادت تفاقما عندما حدث تقارب بين كوتزيناس وييداس وثوار المزاق ، مما دفع اريوباند الى سحب فرقه نحو قرطاجة ، وتم بذلك اخلاء نوميديا بكاملها وأجزاء واسعة من المزاق التى لم يبق فيها للبيزنطيين غير بعض المواقع الساحلية (48) •

ان استمرار تدهور الاوضاع فى افريقيا بعد اغتيال اريوباند فى مارس 546 م قد دفع يوستينياس الى تعيين يوحنا تروقليتا ، الـــذى تمكـــن مـــن الانتصـــار على الاهـــالى الـــى الجنـــوب الغـــربـــى مـــن حضـــرمـــوت (547م) واعتقـــد انه انهى الحرب ، وأشعر الامبراطور بذلك (49)، لكن سرعان ما تجددت المعارك اثر النداء الذى وجهه كركزان (Carcasan) ملك ايفوراس ، الذى استجابت له القبائل الطرابلسية المدعمة بالناسامونس والجرامانت ، وتمكنوا من مد الثورة الى المزاق وحدود البروقنصلية (صيف 548) بعد أن عمت اقليم طرابلس وتراجع تروقليتا بعد هزيمته فى قاليكا (Gallica) (59) ، ووصل الاهالى حتى أبواب قرطاجة لولا الخيانة التى أدت الى الهزيمة فى حقول كاتو ومقـــتل كركزان وسبعة عشـــر قائدا من

---

(47) انظر : جوليان (شارل اندرى) ، المرجع السابق : ص 371 .

(48) بروكوبيوس ، II , 25

(49) Cf. Diehl (ch.), l'Afrique byzantine, P. 371

(50) بروكوبيوس ، II , 28

الاهالى ، وهو ما يكون وراء الهدوء الذى نعـــم به البيزنطيون على مدى أربعة عشر عاما (51) •

تجددت الثورات على اثر مقتل كوتزيناس فى قرطاجة (20 ديسمبر 563 م)، واستـــدعى الامر قدوم قـــوات جديدة من الشرق بقيادة ماركيانوس (Marcien) لتهدئة الاوضاع (52)، وعلى اثر وفاة يوستينيانوس خلفه يوستينوس الثانى (Justin) الذى عين توماس (Thòmas) واليا على افريقيا ، وتمكن هذا الاخير أن يضمن بعض الاستقرار بفضل المفاوضات التـــى قام بها مع زعماء القبائل على ما يذكـــر كوريبوس : « ربـــح بالنصح شعوب لم يسبق لاحد أن اخضعها بقوة السلاح » (53)، لكن مدح كوريبوس لا يكفى يوستينوس مـــؤونة ، اذ سرعان ما عرفت المنطقة قلاقل أودت بحياة والى البريتوار سنة 568 م وقائدى قوات افريقيا لسنتى 569 — 570 م اللذين قتلا من طرف الملك قاسمول (Gasmul) ، الذى يبدو أنه كـــون دولة قوية ، على ما يفهم من محاولته غزو بلاد غالة (54) •

رغم مقتل قاسمول سنة 578 من طرف جناديوس ، **وما ذكره** المـــؤرخون من سيطرة البيزنطيين على الوضـــع فى افريقيا بعد ذلك (55)، غير أننا نجد فى وصول المور الـــى ابواب قرطاجة

---

(51) cf. Mercier (E.), **op. cit.**, p. 175.

(52) Diehl (Ch.), **L'Afrique byzantine**, p. 458.

(53) Corippus, **Louag. Just.** I. 21

(54) cf. D'Avezac (M.), **op. cit.**, p. 257; Diehl (Ch.), **L'Afrique byzantine**, pp. 460-461.

(55) cf. Yanoski (J.), **Precis de l'histoire d'Afrique sous la domination byzantine**, éd. Firmin didot (Paris 1844) p. 94.

بعد ثورة 598 ما يدل على هشاشة الوجـود البيزنطى خـارج البروقنصلية • ولا شـك أيضـا أن الاحـداث التى عرفتهـا الامبراطورية بعد مقتل الامبراطور مـوريس وما أعقبهـا من صراعات حو لالعرش قد أدت الى تراجع النفوذ البيزنطى فى المنطقة المغاربية •

5 ـ حـدود السيطـرة البيزنطية :

هناك اختلاف واضح فى مواقف المؤرخين حول حدود السيطرة البيزنطية فى شمـال افريقيا، ففى الـوقت الذى يرى فيـه البعض (56)، أن « الليمس البيزنطى » لم يخالف تمام المخالفة « الليمس الرومانى » على الاقـل فى طـرابلس والمـزاق ونوميديا ، يرى البعض الاخر أن البيزنطيين، لم يتمكنوا أبدا من الوصول بحدودهم الحدود الرومانية (57)• لكن يبدو واضحا من النصوص والاحداث، ان البيزنطيين لم يسترجعوا كل ما كان بأيدى الرومان فى السابق ، وحتى اذا وجدنا يوستينيانـوس يعتز ويفتخر باسترجاعه سنة 534 كـل الاراضى التى كانت بأيدى الوندال (58)، فاننا نعلم أيضا أن المملكـة التى أنشأها جنسريق لا تشمل غير الجزء الشرقى من البلاد المغاربية (59)•

---

(56) انظر جوليان (شارل اندرى)، المرجع السابق ، ص 362

(57) cf. Diehl (Ch.), L'Afrique byzantine pp. 226-227

(58) Cod. Just. I, 27,1,1.

(59) انظر أعـلاه ، ص 242 ـ 245 للمقارنة انظر الخريطة 9 ، ص 279 •

وعليه يمكننا القول أن السيطرة البيزنطيــة فى اقليم طرابلس كانت مقتصرة على السواحل ، اذ ادرك الاهالى على ما يفهم من النصوص السواحل ، فلبدة عاصمة الاقليم كانت عرضة لضربات القبائل المحلية، والاراضى الواقعة الى جنوب شط الفجاج، التى كان يمر عليها الليمس الرومانى فى طرابلس حتى تـالمين كانت خارج حدود السيطرة البيزنطية (60)، وهو ما مكن ديهــل من التأكيد أن السلطة البيزنطية اكتفت من قابس حتى برقة بالطريق الساحلى الاستراتيجى ، وأن باقــى الاراضــى الداخلية كانت بأيــدى الاهالــى (61) •

وفى المزاق نجد خط الليمس يتبع طريق قابس قفصة ، هذه الاخيرة التى كانت بمثابة بوابة الصحراء ومفتاح التل ، اختيرت كمقر لدوقية المزاق (62)، أما فى نوميديا، فاذا كان البعض يعتقد أن البيزنطيين، قد مدوا خط الليمس حتــى الليمس الرومانى ــ جنوب الاوراس ــ اعتمادا على العديد من القــلاع التى أقاموها فى هذه الولاية (63)، فان ديهل يرى خلافا لذلك ، مذكرا بدخول بيداس الاوراس بعد سبع سنــوات فقط من حملــة سليمان ، وكذا اشتراك السكان القاطنين الحواف الجنـــوبية

---

(60) **Corippus, Johan, VI, 391, 437.**

(61) **Diehl (Ch.), L'Afrique byzantine, p. 230.**

(62) **Cod. Just. I, 27, 2,1; Diehl (Ch.), L'Afrique**

(63) جوليان (شارل انــدرى)، المرجع الســابق ، ص 362 ــ 363 .

الخريطة ٩ : مقارنة حدود السيطرة الرومانية والوندالية والبيزنطية

صيبورجيوس
صلداى
قرطاجة
طنجة
سلا
صبراته
طرابلس
لبدة

المفتاح

الحدود الرومانية

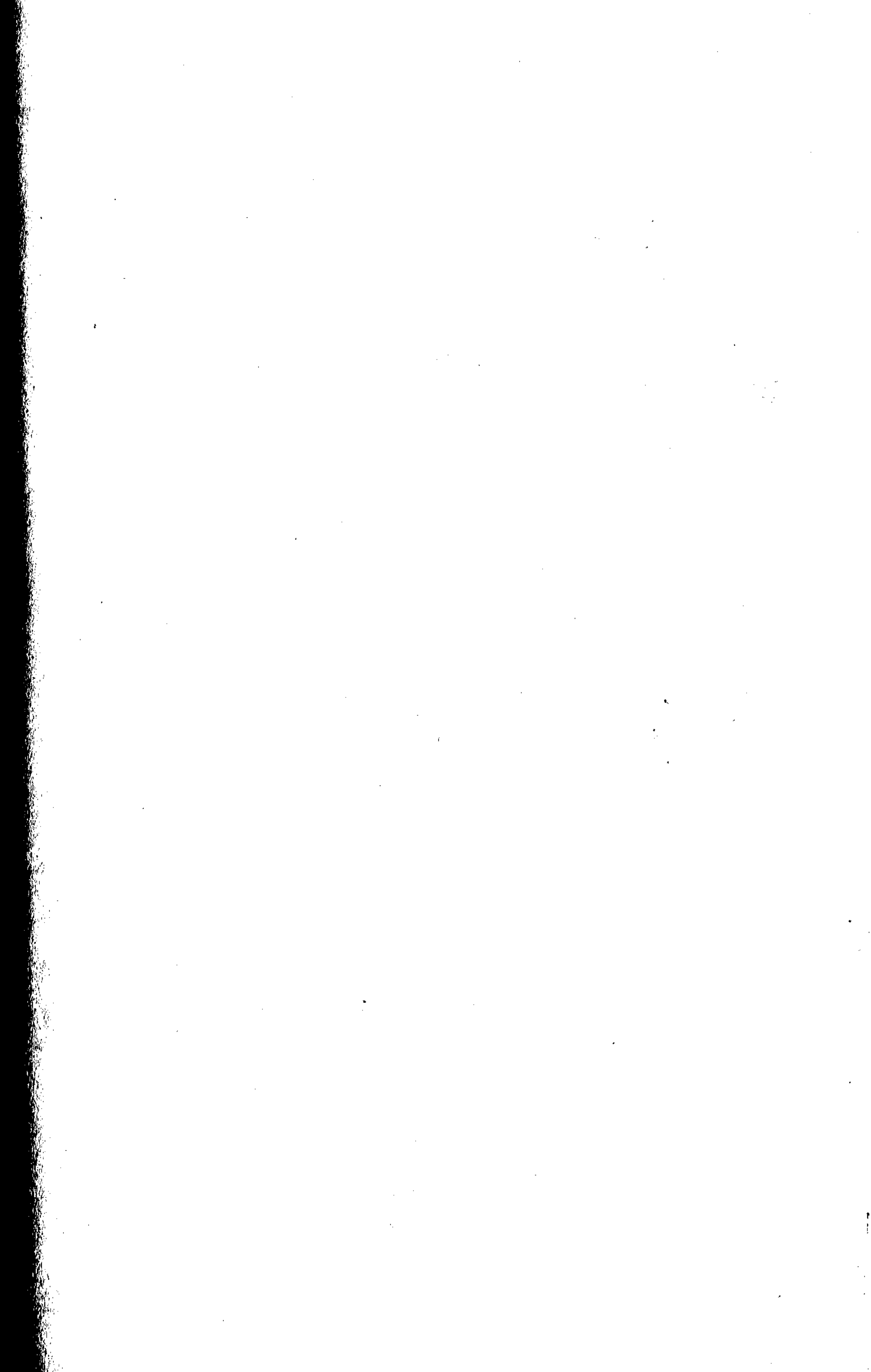
الحدود الوندالية

مرتفعات

أودية

مقياس الرسم

10000000/1



للاوراس وسكان الحواف الجنوبية للشطوط فى الثورة سنة 546، وهو ما لا يشهد من وجهة نظر المؤرخ المذكور على سيطرة بيزنطية فعلية وجعله يميل الى القول أن البيزنطيين لم يتمكنوا لا فى المزاق ولا فى نوميديا من مد الليمس أكثر مما كان عليه الليمس الرومانى فى القرن الاول للامبراطورية باستثناء منطقة الحضنة (64) •

أما فى موريطانيا السطايفية التى يتحدث بروكوبيوس عن احتلالها من طرف سليمان بعد حملة 539 م (65)، فاننا لا نعرف بالضبط مناطق النفوذ البيزنطى فيها ، وكل ما نعرفه هو احتلالهم للمناطق الشمالية من الحضنة حيث أنشأوا الى الغرب من مسيلة قلعة زابى يوستينيانا (Zabi Jutiniana) وتمتد الحدود — ربما — مع وادى القصب لتصل الى هضبة مجانة ومنها الى بجاية (صلداى) (66) •

وخلافا لموريطانيا السطايفية ، فان موريطانيا القيصرية لم تخضع اطلاقا للبيزنطيين ، وفق ما أكده لنا بروكوبيوس سنة 540 م حيث قال : « فى موريطانيا الثانية يقطن ماستيقاس (Mastigas) مع قبائله المورية ، وكانت تحت سلطته البلاد كلها ، باستثناء قيصرية ، التى كان البيزنطيون لا يتصلون بها الا عن طريق البحر ، ولا يستطيعون سلوك البر ، لان المور

---

(64) Dihl (Ch.), L'Afrique byzantine, pp. 246-247.

(65) Supra, p. 273.

(66) انظر الخريطة رقم 10 ، ص 283 .

يسيطرون على كل هذه المنطقة » (67) وهو أيضا شأن موريطانيا الطنجية التى اكتفى فيها البيزنطيون بسبتة وربما طنجة (68) •

6 ـ انهيار الحكم البيزنطى فى البلاد المغاربة :

هناك مجموعة من الاسباب والعوامل ساهمت فى انهيار وزوال السلطة البيزنطية من البلاد المغاربية ، يمكننا ايجازها فيما يلى:

1 ـ تفشى الفوضى والفساد فى الادارة البيزنطية ، وهو ما يمكن تحسسه فى المحاولات العديدة التى بذلها بوستينيانوس للحد من وطأة السطو على أملاك الدولة والاتباع ، وجشع الولاة والاداريين ، الذين ابتزوا الاهالى ، لكن بدون جدوى ، وهو دليل على استفحال هذه الظاهرة التى تفاقمت فى عهد خلفائه ، لتصل أوجها فى السنوات الاخيرة من حكم هيراكليوس وخلفائه الضعاف ، الذين أصبح الولاة والادواق فى عهدهم لا يستجيبون لاوامر الادارة المركزية ، حتى فى مسائل الدفاع، مثال ذلك ما حدث حوالى سنة 634 م مع بيير (Pierre) حاكم برقة ، الذى رفض الاستجابة لامر القسطنطينية ، وكذا جورج سنة 641 عندما رفض العمل بتوجيهات السلطة المركزية (69) •

2 ـ افلاس الخزينة : تسببت حروب الامبراطورية المستمرة فى الشرق والغرب وما تتطلبه من تجنيد ، واقامة التحصينات

---

(67) بروكوبيوس ، 20 , II

(68) Diehl (Ch.), L'Afrique byzantine, p. 267.

(69) cf. Diehl (Ch.), L'Afrique byzantine pp. 537-538

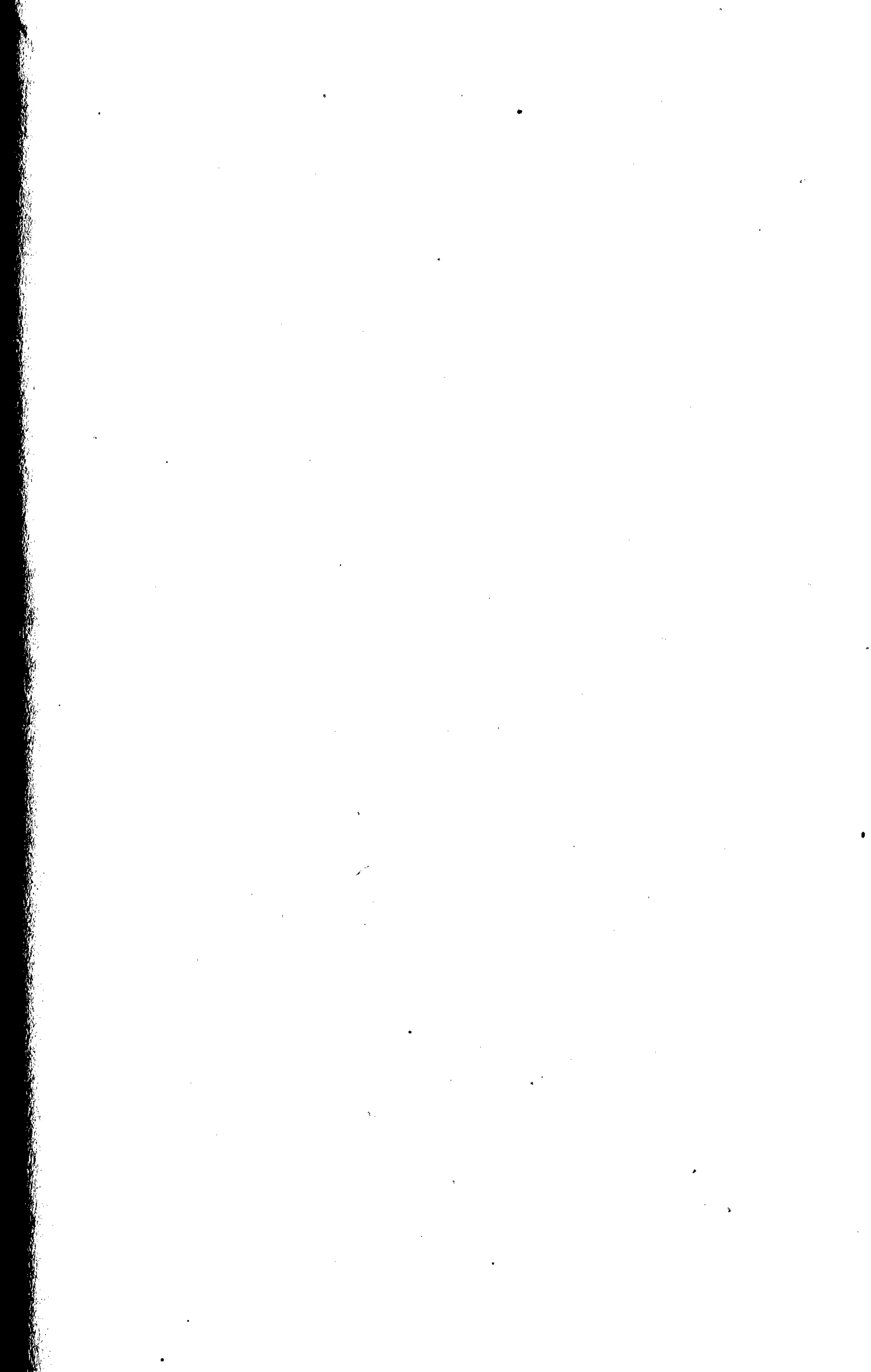
الخريطة ١٥: الليمس البيزنطي

أوتيكا
قرطاجنة
صلداي
طنجة
قابس
طرابلس صبراتة
لبدة

المفتاح

الليمس البيزنطي
مرتفعات .

مقياس الرسم .
10 000 000/1



والمبانى العسكرية فى افلاس الخزينة ، وعجز الدولة عن دفع أجور الجيش فى العديد من المناسبات ، وهو ما أدى الى العديد من التمردات فى صفوفه ، وقد حاولت الدولة حل المشكل باللجوء الى فرض المزيد من الضرائب على الاهالى الذين ضاقوا ذرعا ، وامتنعوا بدورهم عن دفع الضرائب منذ أواخر عهد هيراكليوس على ما يذكر ابن خلدون ، الذى يفهم منه أيضا أن البيزنطيين تراجعوا كثيرا أمام تقدم الاهالى ، واكتفوا ببعض الحاميات فى المدن الكبرى (70) •

3 ــ ثورات الاهالى : بعد القضاء على الوندال ، اصطدم البيزنطيون بمقاومة الاهالى ، وهى المقاومة التى استمرت طيلة الحكم البيزنطى • ورغم بعض الانتصارات التى كانت تحققها الجيوش البيزنطية الناتجة أساسا على الخلافات فى صفوف قادة الاهالى ، غير أن هذه الانتصارات لم تكن حاسمة ، لدرجة أن الاهالى كانوا سرعان ما يعودون بقوة ويهددون حتى قرطاجة نفسها ، مما يدل على تزعزع النفوذ البيزنطى فى المنطقة •

4 ــ الجدل الدينى : اذا كان مجمع خلقدونية سنة 451 قد حرص على التنديد بالنسطورية القائلة بثنائية الذات الالهية والبشرية ، وان مريم هى أم للانسان لا الاله ، كما ندد ببدعة يوتيشاس (Eutyches) ، فان ذلك لم يضع حدا للجدل ، اذ سرعان ما ظهرت مشكلة الفصول الثلاثة ، التى حاول

---

(70) ابن خلدون (عبد الرحمن) ، كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ، (7 مجلدات) مكتبة بولاق (القاهرة 1284 هـ) المجلد ص

يوستينيانوس التشهير بها ، وتلتها الاضطرابات الناتجة عن القول بالطبيعة الواحدة للمسيح • فكان لتدخل الاباطرة ف المسائل الدينية ، ومساندتهم لدعاة الطبيعة الواحدة وقع سيء ف نفوس الارثوذكس ، وخلق نوعا من عدم الرضا العام ، شجع جرجيريوس (Grégoire)على الانفصال عن الامبراطورية•

ف هذا الوقت بالذات ، كان المسلمون على الابواب ، فبعد فتح مصر وبرقة ، جاء دور افريقية ، التى ستضع فيها معركة سبيطلة (647 م) حدا لجرجيريوس ومعه السلطة البيزنطية ، وبذلك تدخل بلاد المغرب عهدا جديدا تعرف فيه تحولا عميقا تختفى معه افريقيا القديمة •

1 ــ الادارة المدنيــة :

بعــد نجــاح الحملــة البيزنطية على شمال افريقيا ، أمر يوستينيانوس ضباطه بمد الحدود الى ما كانت عليه قبل دخول الوندال ، وليعيد لافريقيا أشكالها الادارية السابقة ، أصــدر يتكفــل بتنظيم الادارة المدنية ، والاخــر الــى آرخيلايوس مرسومين فى 13 أبريل 534 م ، وجه الاول الى بيليساريــوس (Archelaus) ينظم الادارة العسكرية (71) .

أ ــ المقاطعات : يفهم من نص قانون بوستينيانوس الموالى، ان افريقيا قسمت الى سبع مقاطعات ، أربع منها يديرها قناصل، وثلاث عهد بها لرؤساء (Praesides) (72) .

«Et ab éa auxiliante deo, septem provencae cum suis Judicibus disponantur, quarum Tingi, et quae proconsularis antea, Carthago et Byzantiumae Tripolis rectores habeant Consulares; reliquae vero, id est Numidia, et Mauritania, et Sardinia, à praesidibus cumauxilio gubernentur.» (73)

(71) انظر نص المرسومين فى كتاب :

D'Avezac (M.) **Esquisse générale de l'Afrique ancienne,** Ed. Firmin didot, (Paris 1844), pp. 243-248.

(72) حول الادارة البيزنطية فى بلاد المغرب انظر :

Gibbon (E.), **Histoire de la decadence et de la Chute de l'Empire romaine,** trad, M.F Guizot éd. lefèvre, (Paris 1819), t. 7, pp. 348-350.
Lebeau, **Histoire du bas-Empire (21 vol.), éd.** Firmin dioot, (Paris 1827), t. 8, pp. 264 et sui
Diehl (ch.), **op. cit.,** pp. 97-137.

يبدو أن هذا التقسيم كان تقسيما نظريا ، أكثر مما هو تقسيم واقعى ، اذ ظلت كثير من المناطق المذكورة فى النص ، خارج النفوذ البيزنطى ، هذا سواء فى موريطانيا الطنجية ، أو فى معظم موريطانيا القيصرية • اذ لا يبرر احتلال مدينة سبتة فى موريتانيا الطنجية ، انشاء ولاية بها ، وهو الاعتراض الذى يطرح أيضا على انشاء موريطانيا القيصرية أو السطايفية • ما دام البيزنطيون سنة 534 م ، لا يملكون فى الاولى غير مدينة قيصرية (شرشال) وفى الثانية غير ايجيلجيس (جيجل) وصلداى (بجاية) ، وهو ما يجعلنا نقول ان يوستينيانوس عندما شرع فى تنظيم افريقيا سنة 534 لم يهتم بالوضع الحقيقى للاحتلال ، وكان يعتقد أن فرقه ستستعيد عاجلا كل الممتلكات الرومانية السابقة • وعلى هذا الاساس خط على الورق الاقسام الادارية كما كانت فى العقود الاولى من القرن الخامس (74) • وهو ما جعل النص السالف الذكر ، يكون موضع نقاش وجدال كبير بين المؤرخين (75) الذين مالوا فى الاخير الى القول بالوجود الفعلى للمقاطعات التالية :

Cod. Just., I, 27,1,2.

(74) انظر ديهل ، المرجع السابق ، ص 108 .

(75) cf. Tissot (Ch.), Géographie comparée de la province romaine d'Afrique, (2 vol.), Imp. Nle. (Paris 1884-86), t. 2, p. 49.

Mommsen (Th.), C.I.L., VIII, p. XVII-XVIII.

Cagnat, (R.), L'Afrique romaine, p. 704.

أ ــ أ : ثلاث مُقاطعات يديرها قناصل وهى : البروقنصلية ، المزاق ، طرابلس •

أ ــ ب : أربع مقاطعات يديرها رؤساء وهــى : نوميديــا ، موريطانيا الاولى (السطايفية) موريطانيا الثانية (القيصرية)، سردينيا (76) •

تكفل الحكام السبعة المكلفون بالادارة المدنيــة للمقاطعــات الافريقية ، بكل المهام ، التى تكفل بها أسلافهم الرومان ، تحت اشراف والــــى البريتــوار (Prefet du Prétoire) ، فتكفلــوا بالادارة المالية والعدالــة والشرطــة ، وكــان لهــم أعــوان ومستشارون ، شأنهم فى ذلك شأن والى البريتوار (77) •

ب ــ والــى البريتوار : تعذر ربط افريقيا اداريا بايطاليا فى عهد يوستينيانوس كما كانت فى السابق (78) ، جعل هذا الاخير ينشىء فى افريقيا ولاية خاصة مقرها فى قرطاجة ، عين عليهــا والى البريتوار عوض البروقنصل سابقا •

---

(76) تعيين قناصل على المقاطعات الاولى ، ورؤساء أقل مركزا على المقاطعات الثانية ، يفسره اعتبار أن الاحتــلال كــان كامــلا بالنسبة للمقاطعات الاولى خلافا للثانية .

(77) **Justinien, Les novelles,** (2, vol.), **trad.** Berenger fils. éd. Lamort, (Metz 1811), Nov. 24, 26, 27 (par suite Nov.).

(78) كانت افريقيا منذ عهد قسطنطينوس حتى غزو الوندال تابعــة اداريا لولاية ايطاليا ، لكن احتلال ايطاليا من طرف الاستروقوط، حال دون الحاق افريقيا بها فى عهد يوستينيانوس ، فانشا بها ولاية مستقلــة .

ج ــ صلاحيات والى البريتوار : تمتع والى البريتوار بصلاحيات واسعة ، يمكننا توزيعها فى أربعة محاور أساسية : التشريع ، الادارة ، القضاء ، المالية • وكانت مهامه تتجاوز فى بعض الاحيان صلاحيات الادارة المدنية ، فهو الذى يدفع أجور الجند ، ويضمن معاش الجيوش ، وبصفته مديرا للاشغال العمومية ، يتخذ الاحتياطات الدفاعية كتحصين المدن وانشاء القلاع • وفى دولة مسيحية كالدولة البيزنطية لا يمكننا أن نفصل فيها شؤون الكنيسة عن الادارة المدنية ، وكذا الشرطة ، فكانت كل هذه المهام من اختصاص والى البريتوار (79) •

كان الى جانب والى البريتوار عدد كبير من الموظفين والنواب والملحقين والمستخدمين ، يذكر مرسوم 534 مختلف درجاتهم وعدد المساعدين المعينين لكل مصلحة ، فكان له ، الى جانب المستشارين والحجاب ، المكاتب العشرة التى تضم فى صفوفها 396 موظفا ، منهم 118 موظفا فى هذه المكاتب ومائتين وثمانية وسبعين موظفا ملحقا بادارة حكام المقاطعات الذين كانوا بدورهم تابعين لوالى البريتور (80) •

2 ــ الادارة العسكرية :

أ ــ قائد قوات افريقيا : كانت القيادة العليا لجيش افريقيا سواء المتنقل منه (Comitatenes) او المرابط فى التخوم (Limitanei)

---

(79) Cod. Just., I, 27, 1, 1 et 2, 16.

(80) cf. Diehl (Ch.), op. cit., pp. 103-105

فى يد ضابط عام يحمل لقب « قــائد قــوات افريقيــا » (81) (Magister militum Africum) كان شخصية معتبــرة ، يمثــل فى السلم العسكرى ، نفس المكانة التى يمثلها والى البريتــوار فى الادارة المدنيــة (82) •

وتدخل ضمن اختصاصاته الادارة العليا لكل العمليات ، وكل ما يتعلق بالدفاع عن الولاية ، ويساعده فى مهامه العــديد مــن الضباط الذين يكونون ما يشبه أركان حربه ، فكان الى جانبــه مساعد يحمل لقب (Domesticus) يقوم تقريبا بمهام رئيــس الاركــان (83) •

ومن وجهة نظر الدفاع ، قسمت افريقيا الى أربعــة أدواق هى : دوقية طرابلس مقرها لبدة،ودوقية المزاق مقرها قفصة أو المدينة القديمة (Thelepte) ، ودوقية نوميديا مقرها قيرطا ، ودوقية موريطانيا ومقرها قيصرية ، وعلى رأس كل منها دوقا ، كما انتدب ضابط من رَتبة أقــل لسبتــة ، وكــان يتبــع دوق موريطانيا (84) •

كان الدوق ، مكلف بضمان حماية الدوقية ، وتوزيع الحاميات على المعسكرات والقلاع فى الدوقية ، بهدف حمايتهــا ، وكــذا تنفيذ أعمال التحصينات الضرورية التى تجعلها على استعــداد

---

(81) Cod. Just., I, 27, 2, 17, 35; C.I.L., VIII, 101, 102, 4677, 4863.

(82) C.I.L., VIII, 4863, 4799, 5352.

(83) cf. Diehl (Ch.), op cit., p. 124

(84) Cod. Just., I, 27,4 a

دائم للدفاع (85) • وكان للادواق مساعدون علــى رأسهــم الضباط الموجودون على رأس مختلف الفيالق والفرق الموجودة ف الدوقية ، والذين يكلفون بحراسة المواقع الهامة ف الليمس • وعدد كبير من الموظفين العسكــريين ، الــذين يساعدونهــم ف مختلف خدمات أركان الحرب (86) •

ب ــ الجيش البيزنطى بافريقيا : يتشكل الجيش البيزنطــى ف افريقيا من :

ب ــ أ ــ جنود الحرس(Exubiteurs) وهم المنتدبون الى افريقيا ، لدى القائد الاعلى ، ولا شك أن عددهم كان قليلا •

ب ــ ب ــ الجيش المتحرك (de milites comitatenses) وهو يتكون من فرق المشاة وأفواج الفرسان •

ب ــ ج ــ الحلفاء (Foederati) كانوا عادة من المرتزقة ، الذين يجندون من الشعوب المجاورة للامبراطورية •

ب ــ د ــ أفواج من المجندين الاهالى (87) (Gentiles

---

(85) Ibid., I, 27,15; 8.

(86) Diehl (Ch.), op cit., p. 130.

(87) Corippus, «La Johannide» III,40; Cagnat(R.) L'armée romaine d'Afrique, pp. 744-746.

اصلاحات الامبراطور موريس

استمرت هذه الانظمة المدنية منها والعسكرية طيلة عهد يوستينيانوس (527 — 565 م) ، وكذا عهدى يوستينوس الثانى (565 — 574 م) وتبيريوس (574 — 582 م) ، اللذان يمكننا اعتبار عهديهما امتدادا لعهد يوستينيانوس من الناحية الادارية ، خلافا للامبراطور موريس (582 — 602م) الذى أحدث تغيرات كبرى فى المجال الادارى ، حيث خلق تجمعات اقليمية جديدة ، ففى هذا الاطار يدخل فصله لاقليم طرابلس عن افريقيا ، والحاقه بمصر شأنه شأن اقليم برقة . وفى الجهة الاخرى نجد مقاطعة موريطانيا القيصرية ، التى احتفظ بها كبرياء يوستينيانوس فى القائمة الرسمية للممتلكات البيزنطية على حد تعبير ديهل (88) تحذف نهائيا . والمواقع القليلة المتبقية منها تحت السيطرة البيزنطية تلحق بموريطانيا السطايفية ، وفى أقصى الغرب ، أصبحت سبتة — التابعة سابقا لموريطانيا القيصرية — مقر ولاية جديدة تشمل سبتة البليار وأجزاء من اسبانيا (89) ، وبذلك أصبحت افريقيا فى أواخر القرن السادس تتشكل من المقاطعات التالية :

---

(88) Diehl (Ch.), op. cit., 467.

(89) Demougeot (E.), op. cit., t. 1, 1300

1 ـ البروقنصليـــة •

2 ـ المـــزاق •

3 ـ نوميديـــا •

4 ـ موريطانيا ، الاولى تشمل : موريطانيا السطايفية وبقايا موريطانيا القيصرية •

5 ـ موريطانيا الثانية وتشمل : سبتة وجزر البليار والاجزاء الواقعة تحت السيطرة البيزنطية من اسبانيا •

6 ـ سردينيا التى تضاف اليها كورسيكا (90) •

ظل والى البريتوار يتمتع بنفس المزايا والاختصاصات ، التى تمتع بها فى أواخر القرن السادس ، لكتنا نجد ، الى جانبه منذ عهد موريس ، الاكسرخس (Exarque) ، الذى وان كان قـد وضع فى السلم الرسمى تحت سلطة والى البريتـوار ، لكنـه سرعان ما يصبح ممثلا أعلى للسلطة الامبراطوريـة والحاكـم العام للولاية ، يتلقى التعليمات من الامبراطور مباشرة ، ولا يحاسبه أحد غيره) (91) •

اذا كانت هذه وضعية والى البريتوار أمام الاكسرخـس ، فان نفس الوضعية أصبح فيها البرايسوس أمام الدوق ، وهكذا حتى أسفل السلم ، حيث طغت الادارة العسكرية على الادارة

---

(90) Ibid

(91) cf. Diehl (Ch.), op. cit., p. 485.

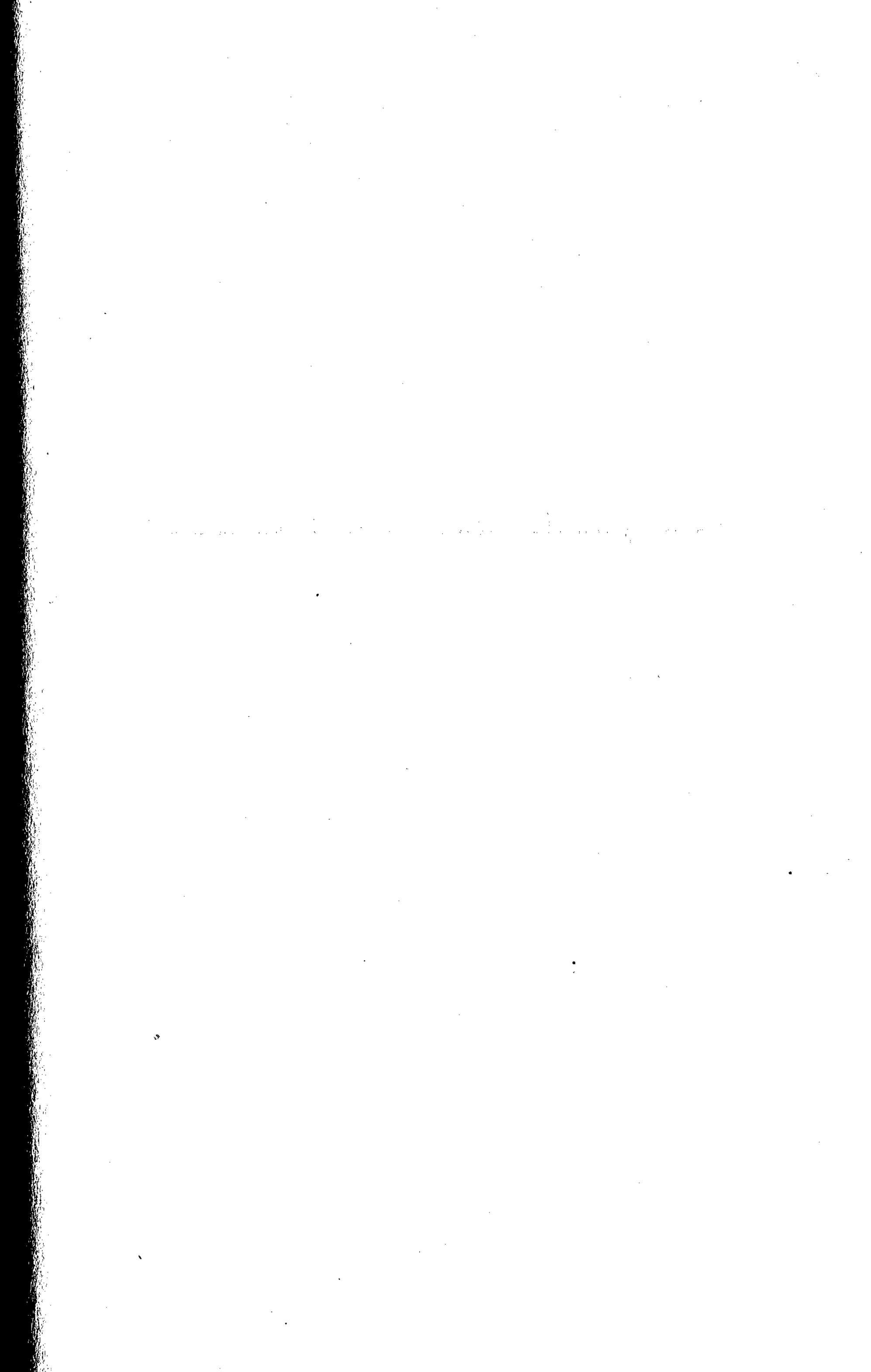
المدنية (92) ، وهو ما يمكننا تفسـيره بتزايد دور الجيش في المنطقة أمام استمرار الثورات المحلية ، بعد احساس الاهالـى أن الحكومة البيزنطية أكثر اضطهادا من الوندال ، وان كل مـا حدث هو تبادل الادوار بين الاريوس والكاثوليك ، فاضافة الى الاضطهاد الدينى الذى تسبب فيه مرسوم 535 م ، نجد فظاعة الضرائب التى تسببت فيها احتياجات الامبراطورية الى المزيـد من المداخيل لمواجهة المصاريف المتزايدة للدفاع وبذلك بـذرت بذور الصراع مع الاهالى (93) • وهو الصراع الذى كان وراء زوال السلطة البيزنطية من البـلاد المغاربيـة وبـزوغ فجـر الاسـلام •

---

(92) حول طغيان الادارة العسكرية على الادارة المدنية انظر :
Diehl (Ch.), op. cit., pp. 466-502; ID., Etude sur l'administration byzantine dans l'exarchat de Ravenne, ed. Th. Let (Paris 1888-89), pp. 86-92.

(93) cf Mercier (E.), op. cit., 167.

ثبت المصادر والمراجع



أولا ــ المصـــادر :

1 ــ المصادر العربيـــة :

(1) أوروسيوس (باولوس) ، تاريخ العالم ، ترجمة عبد الرحمان بـدوى .

(2) سالوستيوس (كايوس كريسيوس) ، حرب يوغرطة ، ترجمـة محمد الهادى حارش ، دار لافوميك (الجزائر 1992) .

2 ــ المصادر الاجنبية :

Appien; Romain History, (4 vol). by H. White, ed. Classical library, (London 1912 - 1928)

Aristote ; La politique ou la science des gouvernements, (2 vol) trad. du Grec par champagne, éd. Bailleul, (Paris 1946).

Augustin (Saint) ; La cité des dieux trad. P. Labriolle J. Perret, ed. Classique Garnier, (Paris 1946).

César (J.) ; La guerre d'Afrique, Trad. M. Bouvet, ed. Les belles lettres, (Paris 1949).

Corneluis nepos ; Les vies, trad. P. F. de Collone et Ammedée Pommier, éd. Panckoucke,

Corippus (Fl. C.) Johannide, trad. Alix (J.), éd. Revue tunisienne (1899-1902).

Diodore de Sicile ; Bibliothèque historique, (7 vol), trad. A.F. Milo, ed. Imprimerie royale, (Paris 1834-37).

Dion Cassius ; Histoire romaine, (10 vol) trad. N.A. Dubois, ed. Panckoucke, Paris 1845-1870).

Eutrope (Fl) ; Abrégé de l'Histoire - romaine, trad. N.A. Dubois ed; Panckoucke (Paris 1843).

Homère ; odyssée, trad. M. Dufour et J. Raison, ed. Flammarion (Paris 1965).

Herodote; Histoires, trad. A. Barguet ed. Gallimard, (Paris 1964)
Justin ; Histoires universelles (2vol.) trad, J. Pierrot, ed. Panckoucke (Paris 1833),

Justinien ; Les douzes livres du Codes, (4 vol), trad. P.A. Tissot ed. Behmer, (METZ 1806).

Justinien ; Les Novelles, (2 vol), trad. Bernger fils ed. Laniort, (Metz 1811).

Martial ; Epigrammes, (4vol.) trad. Verger, N.A. Dubois et J Mangeart, ed. Panckoucke, (Paris 1834-35).

Pline l'Ancien ; Histoires naturelles, trad ajasson de Grandsagne ed. Panckoucke, (Paris 1829-33).

Polybe ; Histoire, trad D. Roussel, ed. Gallimard, (Paris 1970)
Pomponius Mela ; Géographie, trad. L. BAUDET ed. Panckoucke, (Paris 1843)

Procopius ; Guerre des vandales, trad. Dureau de la Malle dans l'Algérie ou manuel Algérien, ed. Firmin Didot, (Paris 1852).

Salluste (C.C.) ; Guerre de Jugurtha, trad. F. Richard, ed. Garnier Flammarion, (Paris 1966).

Solin (C.J.) ; Polyhistor, trad. A. Agnant ed. Panckoucke, (Paris 1855).

Spartien ; Vie de sevère dans les écrivains de l'Histoire-Auguste, trad. M. Nisard ed. Didot, (Paris 1855).

Strabon ; Géographie, (4vol.) trad. A. Tardieu ed. Hachette, (Paris 1867-1890) .

Tacite (C.C.) : Histoires, trad. H. Goelzer ed. Gallimard, (Paris 1980)

Tertullien ; Apologeticum, trad. M. De Genoude, (Paris 1852).
Tite Live : Histoire romaine, (10 vol). trad E. Lassere ed. Classique Garnier, (Paris 1943-1958).

Valère Maxime ; Oeuvres (2vol . trad. P. Constant ed. Panthéon littéraire, (Paris 1841).

Vellius Paterculs; Histoire Romaine trad. M. Després ed. Panckoucke (Paris 1825).

Victor de Vita ; Histoire des persicutions vandales

Virgile ; Eneide, (2 vol), trad. Rat ed. Pater culus Flammarion, (Paris 1944).

Vitruve ; l'Architecture, trad. Maufras, ed. Panckoucke (Paris 1847).

ثانيا ـ المراجع :

1 ـ المراجع العربية

ا ـ المؤلفات (الكتب)

ـ ابن خلدون (عبد الرحمان) ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى ايام العرب والعجم والبربر (7 مجلدات متوسطة) مطبعة بولاق (القاهرة / 1284 هـ) .

ـ بهنسي (عفيف) ، تاريخ الفن والعمارة ، المطبعة الجديدة (دمشق 1974 ـ 1976) .

ـ جوليان (شارل أندرى) ، تاريخ افريقيا الشمالية (جزءان) تعريب محمد مزالى ، البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر (تونس 1969) .

ـ حارش (محمد الهادى) ، التطور السياسى والاقتصادى فى نوميديا منذ اعتلاء مسينيسا العرش الى وفاة يوبا الاول (203 ـ 46 ق.م) ، رسالة ماجستير (جامعة الجزائر 1985) .

ـ شنيتى (محمد البشير) ، سياسة الرومنة فى بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية الى سقوط موريطانيا القيصرية 146 ق.م

ـ 40م ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر 1982) .

ـ التغيرات الاقتصادية والاجتماعية فى المغرب أثناء الاحتلال الرومانى ، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر 1984) .

ـ الصفدى (هشام) ، تاريخ الرومان (جزءان) ، دار الفكر الحديث (لبنان 1967) .

ـ عصفور (ابو المحاسن) ، المدن الفنيقية ، دار النهضة العربية (بيروت 1981) .

ـ غانم (محمد الصغير) ، التوسع الفنيقى فى غربى المتوسط ، ديوان المطبوعات الجامعية (الجزائر 1979) .

ب ـ الـدوريات (المقـالات) :

ـ حارش (محمد الهادى) « حول أصول عبادة بعل ـ حمون فى قرطاجة » ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 3 (الجزائر 1987)

ـ « حول التأثيرات المغربية فى الحوض الشرقى للمتوسـط » ، حوليات جامعة الجزائر ، العدد 3 (الجزائر 1987) .

ـ « أصول عبادة أمون فى المغرب القديم » ، مجلـة الدراسـات التاريخية ، العدد 4 ، (الجزائر 1988) .

ـ « سالوستيوس وحرب يوغرطة (دراسة تحليلية نقديـة) » ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 5 ، (الجزائر 1989) .

ـ شنيتى (محمد البشير) ، « جوانب من علاقة الدولة القرطاجية بالمغاربة : المحتوى الوطنى لثورة الجنود الماجورين (240/ ـ 237/ ق‌م) » ، مجلة التاريخ ، العدد 4 (الجزائر 1977) .

2 ـ المراجـع الاجنبيـة : .

ا ـ المؤلفـات (الكتـب) :

Albertini (E.) ; l'Empire Romain,(Coll. peuples et civilisations) ed. Felix Alcan,(Paris 1929).

Albertini (E.), l'Afrique Romaine,ed. Imprimerie Officielle (Alger 1955).

Allard. (P.) Le Christianisme et l'Empire romain de Néron à Theodose,4è ed. (Paris 1898).

Allard. (P.), Histoire des persécutions pendant la 1ere moitie du IIIème siècle, (Septime, Maxime, Dece), ed. Le coffre (Paris 1905)

Arambourg (C.). La genèse de l'humanité,(coll. Que sais-je)?ed. P.U.F (Paris 1948).

Audollent (A.) ; Carthage Romaine (146 av. 698 ap. J. C),ed. A Fontemoing (Paris 1901)

Aube (B.) ; Les chrétiens dans l'empire romain de la fin des Antonins au milieu du IIIème siècle, ed. Didier (Paris 1881)

Avezac (D.). Esquisse générale de l'Afrique ancienne, ed. Firmin Didot (Paris 1844).

Avezac (D.) Histoire et déscription de l'Afrique, ed. Sté Géographique (Paris 1951).

Ballu (A.) ; Ruine de Djemila (Antique cuicul) ed. J. Carbonnel (Alger 1921).

Benseddik (N.) ; Les troupes auxilliaires de l'armée romaine en Mauritanie Césarienne sous le haut empire, ed. S.N.E.D (Alger 1979) .

Berger (Ph.) ; Histoire de l'ecriture dans l'antiquité, 2ème ed. Imprimerie Nationale (Paris 1842).

Berque (A.) ; l'Algérie, terre d'art et d'histoire, ed. Impremerie Heintz (Alger 1937).

Berthier (A.) ; Charlier (l'Abbé René) Le sanctuaire punique d'El-hofra à Constantine,(2 vol.) ed. Arts et metiers Graphiques (Paris 1955)

Bleghy (A.) ; Saint Augustin ou l'Afrique du Vème siècle (Limonge 1945)

Boissier (G.) ; L'Afrique romaine (promenade archéologique en Algérie et en Tunisie),ed. Hachette (Paris s. d.)

Boissiere (G.) ; Esquisse d'une histoire de la conquête et de l'administration romaine dans le nord de l'Afrique et particulièrement dans la province de la Numidie, ed. Hachette (Paris 1878)

Bouchenaiki (M.); Le mausolé Royale de Mauritanie, ed. Direction des musées de l'archéologie et des monuments et sites historiques (Alger 1979).

Brisson (J.P.) ; Gloire et misère de l'Afrique chrétienne,ed. Lafont R. (Paris 1948).

Cagnat (R.) ; Le commerce et la propagation des religions dans le monde romain,ed. E. Leroux (Paris 1909).

Cagnat (R.) ; Carthage, Timgade, Tebessa et les villes antiques de l'Afrique du nord, (coll. les villes d'arts célèbres) ed. H. Laurens (Paris 1912).

Cagnat (R.) ; L'Armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les Empreurs,ed. Imprimerie nationale et Leroux (Paris 1892)

Cagnat Merlin et Chatelin ; Inscription latines d'Afrique (Tripolitaine-Tunisie Maroc), ed. Leroux (Paris 1923)

Camps (G.) Les Berbères, mémoire et indentité, (coll. des Hespirides) ed. Errance (Paris 1987)

Camps (G.) ; Aux origines de la Berberie. Massinissa ou les débuts de l'histoire, ed. Imprimerie officielle (Alger 1961).

Camps (G.) ; Aux origines de la Berberie. Monuments et rites funeraires proto-historiques, ed. Arts et metiers graphiques (Paris 1961)

Camps Fabrer (H.) ; l'Olivier et l'huile dans l'Afrique romaine ed. Imprimerie officielle (Alger 1953).

Carcopino (J.) Le Maroc antique, ed. Gallimard (Paris 1948)

Carette (E.) ; Recherches sur l'origine et les migrations des principales tribus de l'Afrique septentrionale et particulièrement de l'Algérie ed. Imprimerie Imperiale (Paris 1883).

Chabas (F.) ; Etudes sur l'antiquité historique d'aprés les sources égyptiennes et les monuments réputés préhistoriques 2ème ed. Maison neuve (Paris 1873)

Chabot (J. B.) ; Recueil des inscriptions Libyques ed. Imprimerie Nationale (Paris 1940-41).

Chevalier (R.) ; Les voies romaines ed. Coll. U (Paris 1972)

Cintas (P.) ; Manuel d'archéologie punique (2 vol.), ed. A et J. Picard (Paris 1970-76)

Combet Farnoux (B.)(Les guerres puniques, (coll. que sais-je ?) ed. P.U.F. (Paris 1960)

Courtois (Ch.) ; Les vandalés et l'Afrique ed. Arts et Metiers graphiques (Paris 1955)

Decret (F.) ; Carthage ou l'empire de la mer, (coll. le point) ed. du Seuil (Paris 1977)

Decret (F.), Fantar (M.); L'Afrique du nord dans l'antiquité des origines au Vème siècle ed. Payot (paris 1981)

De Mougeot (E.) ; La fin de l'empire romain en occident et les royaumes barbares dans l'histoire universelle, (3vol.) coll. encyclopédie de la pleiade ed. Gallimard (Paris 1956)

Diehl (Ch) ; Etude sur l'administration Byzantine dans l'exarchat de Revenne, ed. Th. Let (Paris 1888-89)

Diehl Ch.) ; L'Afrique byzantique, Hisiotre de la domination byzantique en Afrique (533-709), ed. Leroux (Paris 1896)

Dureau de la Malle; «Cathage» dans l'Afrique Ancienne, (2vol) ed. Firmin Didot (Paris 1842).

Dureau de la Malle ; L'Algérie ou manuel Algérien, ed. Firmin Didot (Paris 1852)

Faidherbe ; Collection complète des inscriptions numidiques, (Paris 1870)

Fauriel (M.) ; Histoire de la gaule meridionale sous la domination des conquérants germains, (4 vol.) (Paris 1836)

Ferrere (F.) ; Situation religieuse de l'Afrique romaine depuis la fin du IVème siècle jusqu'à l'invasion vandale (Paris 1897)

Fevrier (J.G.) ; Histoire de l'écriture ed. Payot (Paris 1948)

Flammand (G.M.B.) ; Les pierres écrites (Hadjrat maktoubat) Gravures et inscriptions rupestres du nord africain ed. Masson et Cie (Paris 1921)

Gaukler (P.) : Nécropoles puniques de carthage, (2 vol.) ed. Auguste Picard (Paris 1915).

Gautier (E.F.) : Le passé de l'Afrique du nord, les siècle obscurs ed. Payot (Paris 1937)

Gautier (E.F.) ; Genseric, roi des vandales, (coll. bibliothèque historique) ed. Payot (Paris 1935)

Gibbon (E.) ; Histoire de la décadance et de la chute de l'empire romain, (13vol.) trad. M. F. Guizot ed. Lefevre (Paris 1819)

Gostynski (T.) ; Aux sommets de la pensée humaine, la littérture antique de l'Afrique du nord, ed. chatr H. (Marrakech s.d.)

Gsell (St) ; Herodote, texte relatifs à l'histoire de l'Afrique du nord, ed. A. Jordan et E. Leroux (Alger-Paris 1916)

Gsell (St) : Histoire ancienne de l'Afrique du nord, (8 vol.) ed. Hachette (Paris 1913-1928)

Gesll (St.) : Atlas archéologique de l'Algérie, (2vol.) ed. Jourdan et Fontemoing (Alger-Paris 1911)

Gsell (St.) ; Inscriptions latines d'Algérie, ed. Gouvernement général (Paris 1922)

Gsell (St.) ; Les monuments antiques de l'Algérie, (2vol.) ed. Fontemoing (Paris 1901)

Gsell (St.) ; Recherches archéologiques en Algérie, ed. Leroux (Paris 1893)

Guignebert (Ch.) ; Tertullien, étude sur ses sentiments à l'égard de l'empire et de la société civile, ed. Leroux (Paris 1901).

Judas (A.C.) ; Sur l'écriture de la langue bèrbère dans l'antiquité et de nos jours, imp. de Pillet, Fils (Paris 1863).

Kadra (Fatima Kadaria) ; Les djedars, Monuments funeraires bèrbres de la région de Frenda, ed. O.P.U. (Alger 1983)

Lancel (S.) et Bouchenaki (M.) ; Tipaza de Mauretanie, sous direction des beaux arts et antiquité 2ème ed. (Alger 1971)

Lapeyre (G.G.) ; Pellegrin, Carthage punique (814-146 av. J.C), Coll. Bibliothèque historique) ed. Payot, (Paris 1942)

Lebeau ; Histoire du bas-empire, (2vol.) ed. Firmin Didot (Paris 1824)

Leclercq (D.H.) ; L'Afrique chrétienne, (2vol.) ed. Lecoffre. (Paris 1904)

Leglay (M.) ; Saturne l'Africain, (2vol.) ed. De Bauccard, (Paris 1966)

Marcus (L.) ; Histoire des vandales depuis leurs première apparition jusqu'à la déstruction de leur empire en Afrique, 2ème ed. Poret (Paris 1938)

Marquardt (J.) ; «L'Organisation de l'empire romain» Manuel des antiquités romaines, (16vol.) , trad. Humbert Gustave, ed. Thorin (Paris 1889-92)

Martin (J.P.) ; La Rome ancienne, (753 av. J.C - 395 ap. J.C) ed. P.U.F. (Paris 1973)

Martroye (F.) ; Genseric, la conquète vandale en Afrique et la déstruction de l'empire de l'occident, ed. Hachette (Paris 1907)

Maspero (G.) ; Histoire ancienne des peuples de l'orient classique, ed. Maspero, (Paris 1876)

Mommsen (Th.) ; Histoire romaine (8 vol.) trad Alexandre, ed. Herold (Paris 1863)-1872)

Monceaux (P.) ; Histoire litéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe, (7vol.), ed. Leroux (Paris 1901-1923)

Moret (A.) Davet (G.) ; Des clans aux empires (L'Organisation sociale chez les prémitifs et dans l'Orient, (coll. l'évolution de l'humanité) , ed. La renaissance du livre, (Paris 1923)

Muller (L.) ; Numismatique de l'ancienne Afrique, (3vol. Supl.) ed. Imprimerie de B. Luno, (Copenhague 1860-70)

Palanque (J.R.) ; «L'Occident et la république romaine» dans l'histoire universelle, ed. Gallimard (Paris 1956)

Patit (P.) ; «La crise de l'empire» dans histoire générale de l'empire romain (3 vol.) ed du Seuil, (Paris 1974).

Picard (G. Ch) ; Castellum - Dimidi, ed. De Boccard (Paris 1947)

Picard (G. Ch.) ; La civilisation de l'Afrique romaine, ed. Plon (Paris 1959).

Poinssot (CL) ; Les ruines de Dougga, ed. Institut national d'archéologie et d'arts (Tunis 1958)

Prêcheur, Canonge (T.) ; La vie rurale en Afrique romaine d'après les mosaiques, ed. P.U.F (Paris s.d.)

Salama (P.) ; Les voies romaines de l'Afrique du nord, ed. Imppremerie officielle (Alger 1951)

Schmidt (L.) ; Histoire des vandales, ed. Payot (Paris 1953)

Tissot (Ch.) ; Géographie comparée de la province romaine d'Afrique, (2vol.) ed. Impremerie nationale (Paris 1884-86)

Tlatli (Salah eddine) ; La Carthage punique : étude urbaine, la ville, ses fonctions, son rayonnement, ed. Librairie d'Amérique et d'orient (Paris 1978)

Toutain (J.) ; Les cultes paiens dans l'empire romain ed. Bibliothèque de l'école des hautes études sciences religieuses 25ème vol. (1920)

Yanoski (J.) ; Histoire de la domination des vandales en Afrique, ed. Firmin Didot (Paris 1844)

Yanoski (J.) ; Précis de l'Histoire d'Afrique sous la domination byzantine, ed. Firmin Didot (Paris 1844)

Yanoski (J.); «l'Afrique chrétienne» dans Afrique ancienne, (Coll Histoire et description de tous les peuples), (2vol.) ed. Firmin Didot (Paris 1842)

Zeiller (J.) ; l'Empire romain et l'eglise, (Paris 1928)

ب ـ الـدوريات (المقـالات) :

Albertini (E.) ; «Inscription chrétienne des environs de Berrouaghia C.R.A.I et Belles lettres (1925).

Albertini (E.) ; «La route frontière de Mauretanie Cesarienne entre Boghar et lala Maghnia», B.S.G.O. (1928)

Albertini (E.) Massiera (R.) ; «Le poste romain de Messad», R.E.A., t. 40-41 (1938-39)

Aube (B.) ; «L'église d'Afrique et les première épreuves sous septime Sevère», Revue historique, t. 11 (1879)

Aymard (A.); «Les premiers traités entre Rome et Caarthage», R.E.A., t. 59 (1957)

Baradez (J.) «Gemellae, un camp d'Hadrien et une ville des confins sahariens aujourd'huit ensevelis sous les sables», R. Afr., t. 93 (1949)

Becker (F.) ; «Essai sur la Madr' san», Rec. de Constantine, (1854-55)

Berbrugger (A.) : "Tombeau de la Chréticnne", Rév. Afr. t. 93 (1949)

Berger (Ph) : "Inscription néo-punique", Mém. d'ac. des Inser XXXVI, 2ème partie

Berger (Ph.) : "Note sur la grande inscription néo-punique et sur une autre inscription d'Altiburos", J.A., t. 9 (1887).

Berthier (A.), Logeart (F.) «Gravures rupestres de sigus,» R. Af., t. 81 (1937).

Bertholon, «Origine et formation de la langue Berbère», R.T., t. 10 (1903).

Bertholon : «Essai sur la répartition des premiers colons de souches européènne dans l'Afrique du Nord moins la Tunisie actuelle», R.T., t. 6 (1899).

Blanchet (M) «Excurssion archologique dans le Hodna et le Sahara» Rec. de Constantine, t. 33 (1899).

Bluma L. Trell «Ancient coins. New light on north Africa architecture» in actes du premier congré d'histoire et la civilisation du Maghréb (2 vol.) Université de Tunis t. 1 (1979)

Bonnel (M.) «Monuments Gréco-Punique de la soumâ» Rec de Constantine, t. 49 (1915)

Cagnat (R.) : «Note sur les limites de la province romaine d'Afrique en 146» C.R.A.I. (1894).

Camps (G.) «Le Gour Mauselée Berbère du VIIème Siècle, Ant. Af., T. 8 (1974).

Camps (G.) «Recherche sur les plus anciennes inscriptions libyques de l'Afrique du Nord, Bull. Archéologique (N.S.), t. 10 - 11 (1974-75).

Camps (G.) « Les Suffètes de Volubilis au IIIè et IIè Siècle» B.A.M., t. 4 (1960).

Camps (G) «Les Numides et la civilisation de Carthage» Ant. Afr, t. 14 (1979).

Camps (G.) : Origines du royaume Massyle» R.H.C.M, t. 03 (1967).

Camps (G.) « Un mausolée Maroain :la grande bazina de Souk El Gour» B.A.M., t. 4 (1960).

Camps (G.) : Nouvelles observations sur l'architecture et l'age de Madracen, mausolée royale de Numidie» C.R.A.I. et belles-lettres (1973).

Carcopino (J.) «Du droit de cité accordé par les romains aux peuples conquis de ses effets, extrait des annales universitaires de l'Algérie (Mars 1915).

Carcopino (J.) « L'Afrique au dernier siècle de la république» rev. hist., t. 162 (1929).

Carcopino (J.) «Survivances par substitution des sacrifices d'enfants dans l'Afrique romaine», B.S.A.F. (1933).

Cavaignac (E.) «La constitution punique en 218 av. J.C.», Rev. des cours et conférences (1934 - 1935).

Chabot «Inscription néo-punique», C.R.A.I. et belles lettres(1916)

Chabot « Inscription néo-punique, de Tebersouk», J.A. (1918).

Chabot «Mélanges Epigraphiques», J.A. (1921).

Chabot (J.B.), « Note sur l'alphabet libyque,» C.R.A.I. et belles lcettres (1917).

Chabot (J.B.) : Une prétendue réforme de l'alphabet libyque, C.R.A.I. et belles lettres (1937).

Chaligne (C.) «Occupation romaine de l'Afrique» Rec. de Constantine, t. 53 (1921 - 22).

Crie (L.) «Afrique» dans la grande encyclopédie (31vol.) ed. H Lamiroult et Cie, (Paris s.d.)

De Saulcy : «Inscription bilingue du Mausselée de Dougga», J.A., (1843 - 1).

Desanges (J.) : «Permanence d'une structure indigène en marge de l'administration romaine», Ant. Afr., t. 15 (1980)).

De Vaux (R.) : «La phenicie et les peuples de la mer», Mel. de l'université de saint-Josef de Beyrout, t. 45 (1969).

Duchesne (L.) : «Le Dossier du donatisme», M.A.H., t. 10 (1890).

Dussaud (R) ; "Dedicace bilingue Punico-Berbère en l'honneur de Massinissa ". B.A.C. (1914).

Ferron (R.P) : "L'Evolution du Punique au Néo-Punique" , cahiers Bysra, T. 3. (1953).

Février (J.G.) : " L'Inscription Punico-Libyque de Mactar " , J. A., T. 237 (1949).

Février (J.G.) : "Institution Municipal de Dougga à l'époque Numide", Mélange de Carthage, (1964 - 65).

Février (J.G.) : " Origines de l'Habitat Urbain en Mauritanie Césarienne " J. S. (1965).

Foy : "Notice Archeologique sur Madrazen," Rec de Constantine (1855-1856-1856-1857).

Gsell (St) : " Note d'archéologie Algérienne " B.A.C (1899).

Halevy (J.) : " Etudes Berbères " J. A. 1874, I. II. et 1884, I

Heurgon (J.) : " Les inscriptions de Pyrgi, et l'Alliance Etrusco-Punique autour de 500 av. j.c" C.R.A.I et belles lettres (1965)

Kontorino (V.N.) : " Le Roi Hiempsal II de Nimidie et Rhodes", Antiquité classique, T. 44 (1975).

Lacroix (F) : " Colonisation et Administration Romaine dans l'Afrique septentrionale ", R. Af.

Lancel (S.) : " Aux Origines du Donatisme et du Mouvement des Circoncellions, " C.T., t. 15, (1967).

Le Blant, (E) : " Le Problème des Berbères Etudes d'ethnographie physique ,"Histoire et Historiens de l'Algérie (1831).

Lecocq (A.) : " Le Commerce de l'Afrique Romaine ", B.S.G.O., T. 12 (1932)

Lepelley (Cl) : " Saint-Léon le Grand et l'Eglise Mauritanienne Primauté Romaine et d'Autonomie africaine au Vè. siècle," C.T., T. 15 (1967).

Lettrone : " l'Arc de Triomphe de Theveste (Tebessa) dans la Province de Constantine ", Rev. Arch, T. 4 (1847).

Marcy (G.) : " Les Inscriptions Libyques de l'Afrique du Nord ", Cahier de la Société Asiatique, T. 5 (1938).

Marcy (G.) : " Le périple d'Hannon ", J. A. (1943-45).

Mercier (G.) : " Les Divinités Libyques ", Rec. de Constantine T. 34 (1900).

Merlin (A.) : " La Véritable Portée du périple d'Hannon ", J.S. (1944).

Mesnage (J.) : " Le Christianisme en Afrique, Origines, Dévelop-pement Extention ", Rev. Afr. n° 290-291, 3è et 4è Trimestre (1913)

Moll (A.) : " Enumération des principaux monuments de l'an-cienne theveste ", Rec. de Constantine, (1958 - 59).

Pallotino (M.) : " Les relations entre les Etrusques et Carthage du VIIè au IIè siècle av. J.C.," C.T.,T.II (1963).

Pamart (H.) : " Etudes sur le Médracen (Tombeau de Syphax) et le Kebeur roumia, (Tombeau de la Chrétienne)," Rev. Af. T. 61 (1917).

Pauphilet (D.) : "Monument Megalithique à Maktar," Karthago, T. 4, (1953).

Picard (G. Ch.) : " Civitas Mactarina " , Karthago, T. 8 (1957).

Piganiol (A.) : " La religion et les mouvements sociaux dans le Maghreb Antique ", C.H.M.,T. 3 (1956 - 57).

Poinssot (L.) : " Les fouilles de Dougga en 1919 " Nelle Archéologie des Missions II, fasc 2.

Poulle (A.) : "Inscriptions de Constantine et de la Province," Annuaire Archéologique (1869).

Poulle (A.) : " à travers la Mauritanie Sétifienne ," Rec. de Constantine,T. 7, (1863).

Rakob (F.) : " Numidische Konigsarchitektur in Nord Afrika ," Die Numider, Rheinsches, Landes Museum (Boun 1979).

Rebuffat (R.) : " Deux ans de recherches dans le Sud de Tripolitaine " C.R.A.I. et belles lettres, (avril-juin 1969).

Rouland (M.) : " Le Limes de Tingitane au sud de Sala Colonia ", C.R.A.I. et belles lettres, T. 14 (1924).

Sainte-Marie (E. DE.) : " Sur la Toponomie de la première guerre punique " , Rec de Constantine, T. 18 (1876-77).

Saumagne (Ch.) : " Prétextes Juridiques de la 3ème guerre punique ", Rev Hist.,T. 167, (1931).

Saumagne (Ch.) : " La Manoeuvre de Zama ", C.T.,T. 10 (1962)

Seston (W.) : " Des portes de Dougga à la Constitution de Carthage " , Rev. Hist. (1967).

Seston (W). : " Le secteur de rapidum sur le limes de la Mauritanie Césarienne ", M.A.H.,T. 45 (1928).

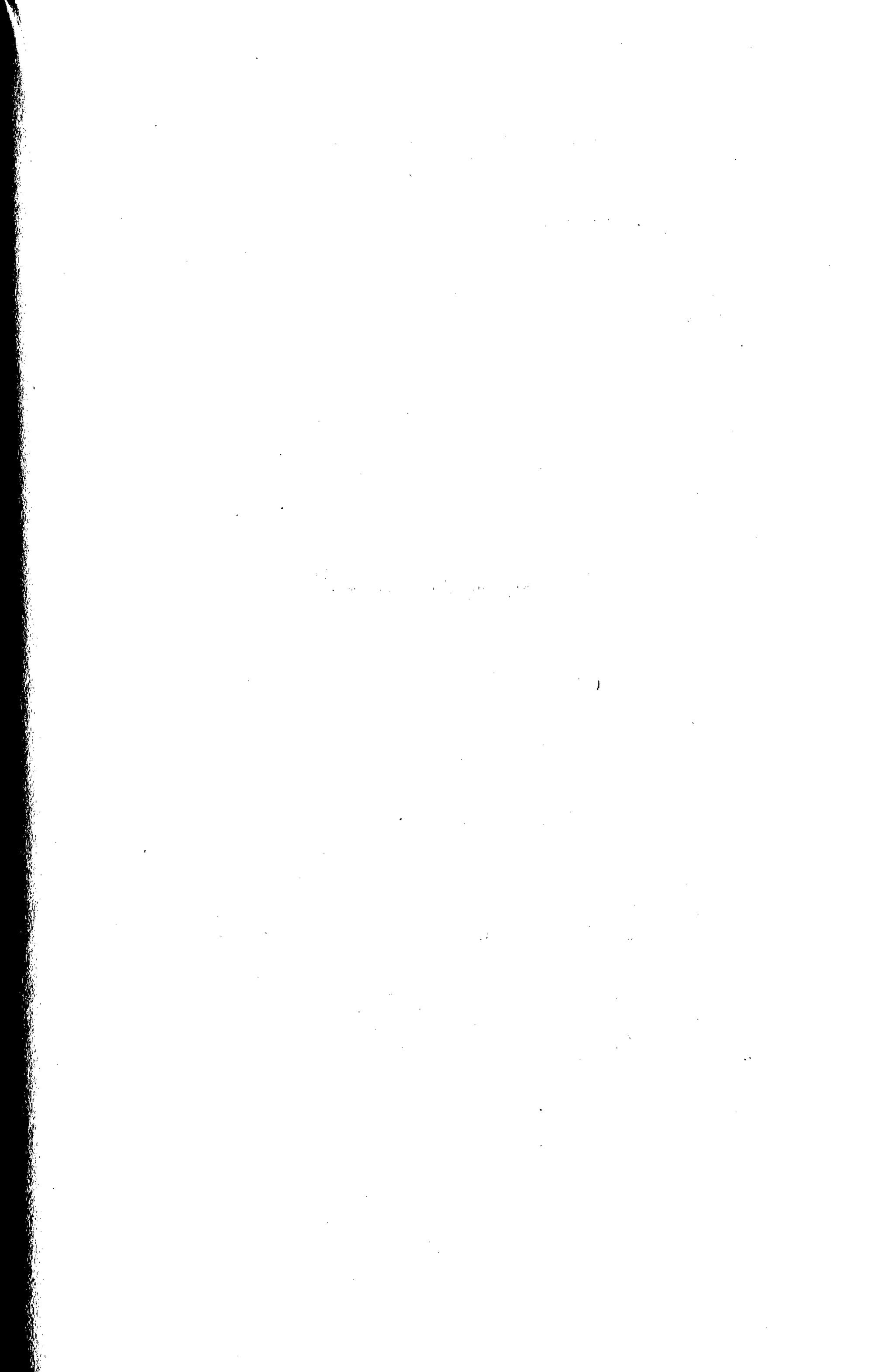
Thouvenot (R.) : " Notes sur les Marques d'Amphorés trouves à Volubilis ", B.A.C.T.H, (1946-49)

Vel (A.) : Monuments et Inscriptions libyques relevés dans les Ruines de Tir-Kabine ", Rec. de Const., T. 39 (1905).

Winkler (A.) : " Bataille de Zama 19 oct.. 202 av. J.C. ", B.S.G.O, T. 16 (1894).

Winkler (A.) " Bataille de Tricamara ", B.S.G.O., T. 13 (1893)

الفهرس



فهـــرس الاعلام والامـــاكن

ـ ا ـ

— ت —

— ث —

— ج —

— ر —

— ز —

— س —

— ش —

— ص —

— ط —

— ع —

— غ —

— ف —

— ق —

— ك —

— ل —

— م —

ـ ن ـ

— هـ —

— و —

— ى —

فهـرس الشعـوب والقبائـل

— ا —

— ب —

— ج —

— د —

ثالثا فهرس المعبودات

رابعـــا ـ فهـــرس الاشكــــال والخرائـــط

ا ـ فهـــرس الخرائــــط :

ب ـ فهـــرس الاشكـــال :

ـ فهـرس المحتـوى

المؤسسة الجزائرية للطباعة
وحدة بن بوالعيد





محمد الهادي حارش

اشتغل أستاذ التاريخ والجغرافيا
في التعليم المتوسط ثم أستاذا في
الثانوي قبل أن ينتقل إلى جامعة الجزائر
حيث يشغل بها حاليا منصب أستاذ مكلف بالدروس.

من مؤلفاته:

الحياة السياسية والاقتصادية في نوميديا (203 - 46 ق.م)
دار لافوميك، الجزائر، 1994.

حرب يوغرطة، (ترجمة)، تحت الطبع.

نصوص ودراسات في التاريخ المغاربي القديم، تحت الطبع.

حرب إفريقية (47-46 ق.م) تحت الطبع.

الثمن: 215,00 د.ج